التعريب

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر
بدمشق

مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

اللغة العربيّة هُويّتُنا القوميّة

المنظمة العربيّة للتربيَة وَالثقافة وَالعلوم

55

السنة الثامنة والعشرون
العدد الخامس والخمسون

ربيع الأول 1440هـ - كانون الأول (ديسمبر) 2018م

التعريب

التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد الخامس والخمسون

كانون الأول (ديسمبر) 2018

المدير المسؤول:

الأستاذ الدكتور زيـــد إبراهيم العســـــاف

مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي	**الأستاذ الدكتور عدنان الحموي**
الأستاذة الدكتور زهيدة درويش جبور	**الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليّل**
الأستاذ الدكتور صالح بلعيد	**الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني**
الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد	**الأستاذ الدكتور ميلود حبيبي**

مجالات اهتمام المجلة

إن اهتمامات المجلة مركَّزة في الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم، للتعريف به وترجمة الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية.

وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكراً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

* تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
* بحوث مترجمة ودراسات في التعريب.
* التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
* من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
* عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
* الإعلام بالأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها

التنضيد والإخراج الفني حسّانة تلّو

التعريب: مجلة **نصف سنوية** مُحَكَّمَة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

دمشق – ص.ب: 3752 – هاتف 3334876 / E-mail: acatap2@gmail.com - www.acatap.org

السنة الأولى: 1991 . دمشق **ع 2018/12/15**

الاشتراك: قيمة الاشتراك السنوي: داخل الوطن العربي: 25 دولاراً أمريكياً

خارج الوطن العربي: 35 دولاراً أمريكياً

قيمة النسخة الواحدة بدون أجور البريد 5 دولارات أمريكية أو ما يعادلها

في هذا العدد

* **افتتاحية العدد** 9

* **قواعد النشر في المجلة** 11

* **بحوث في والمصطلحات**

- **المصطلح العلمي في المعاجم الاصطلاحية التراثية** 17
  د. حاج هنّي محمد
- **الصرف والمعجم** 45
  د. أحمد العلوي
- **دراسة تحليلية لمعجم علم المناخ (عربي- فرنسي- إنجليزي)**..... 69
  د. عز الدين الحفار
- **اللغة العربية في ظل علم الوراثة اللغوي – الاستنساخ اللفظي** 81
  د. حيزية محمد كروش

* **بحوث لغويه**

- **الأداء اللغوي مصطلحاً وتطبيقاً** (القسم الأول) 103
  د. محمود أحمد السيد

- **اللغة العربية في التعليم العالي: محطات واحتمالات** 119
د. قاسم طه السارة
- **مفهوم البنية بين الخليل والفكر الرياضي المعاصر** 135
د. قاسمي الحسني عواطف

* بحوث في الترجمة والتعريب

- **متلازمة التعريب والترجمة والتنمية اللغوية** 161
د. ممدوح خسارة
- **أثر اللسانيات في الترجمة** 185
د. فتحية عبد الكامل
- **الوساطة، الحياد والأمانة في الترجمة الشفهية** 201
د. نورية بلحاج
- **برنار سابلونيير: الإبداعية، والموسيقى، والسعادة** 215
ترجمة د. محمد أحمد طجو
- **تنظير الترجمة** 229
ترجمة د. عادل داود

* بحوث في الحضارة العربية الإسلامية

- **الفكر الجمالي عند القدماء والمحدثين**
فلسفة الجمال عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء نموذجاً 251
ألاء ياسين دياب

* **التعريف بالكتب**

- **ثقافة التأليف ودوافعه في التراث الأدبي الأندلسي**

ابن بسام الشنتريني وكتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" نموذجاً 277

د. بغداد عبد الرحمن

* **من أنشطة المركز خلال النصف الثاني من عام 2018** 293

الافتتاحيـة

بقلم الدكتور سعود هلال الحربي
المدير العام للمنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم

دأبت مجلة **التعريب** منذ صدورها على إبراز اللغة العربية عِلماً مترامياَ الأطراف، يصلُ العلوم الأخرى بعضَها ببعض، لأن اللغة هي الرابط الذي ما زلنا نتعلق به للتعبير عن همومنا ومشكلاتنا، وهي – اللغة – التي ما زالت تصدُقُنا بحروفها لتكون مع أخواتها اللغات قاسماً مشتركاً يخدم المجتمع والفكر العربيين.

لم يستطع **المصطلح** الخروج من عباءة اللغة ولم يستطع التخلي عنها ولو كان مترجماً، فكيف إذا كان عربياً، فهو – المصطلح– الرافد الجديد الذي لا يزال يرفد لغتنا بالكلمات في معظم العلوم سواءٌ الإنسانية أم العلمية. من هنا كان وجود بحث أو أكثر في كل عدد من أعداد المجلة ضرورة واجبة وملحّة، وكذا الكلام في **المعجم** هذا الوعاء الواسع الكبير الذي ينمو يوماً بعد يومٍ، ويستقبل من دون إحراج كل لفظ يزيد من ثراء لغتنا.. وسيقف القارىء على أبحاث تميّزت مضامينها في المصطلح والمعجم معاً.

ولا يبتعد هذان العلمان عن علم اللغة، بل هما ملتصقان به، فلولا اللغة لما كان بحث، ولا كتاب. من هنا كانت ضرورة الأبحاث اللغوية التي تطورت تطوراً لافتاً للنظر، وفتحت الأبواب التي كانت موصَدة أمام البحث والتفكير والتحليل والاكتشاف الجديد، في عناوين كانت ممنوعة من قبل، لكننا في المجلة ننشد دائماً التطور والفكر الجديد دون الخروج على المنطق العلمي القائم على التحليل والتفكير والدرس والبحث لتأتي النتائج دقيقة وصحيحة، فكان كلامٌ

على الأداء اللغوي، وكان بحث عن اللغة في الجامعات والتعليم العالي، وكان الفكر الذي يقوم على التحليل من خلال دراسة مفهوم البِنية استناداً إلى ما جاء عند الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وكما في كل عدد لا بدَّ من أبحاث في الترجمة لتتكامل العناوين والموضوعات التي تصل بنا إلى ما نهدف إليه في المجلة، فثمة أبحاث دراسةً، وثمة ترجمات تنوعت بين التنمية اللغوية والحياد والأمان في الترجمة الشفوية والتنظير..

إننا في كل عدد نقدم موادّ متنوعة نظن أنها الأفضل، لكننا نكتشف في العدد الذي يليه أننا أمام أشياءَ وعلومٍ كثيرة جديدة تتم على تطور الفكر الذي ننشده، وهذا لم يكن لِيَحْدُث لولا جهود باحثين جندوا أنفسهم لخدمة لغتنا والمجتمع، ومن بينهم الأستاذ الدكتور عدنان الحموي، عضو هيئة تحرير مجلة التعريب وعضو المجلس العلمي للمركز، الذي توفاه الله، وكان عوناً للمركز ومشاركاً في نشاطاته. نسأل العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته.

والله وليُّ التوفيق.

قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

1. ألاّ يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدّما للنشر في أيٍّ من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه **تصريحاً خطياً** يفيد بأنه **لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.**
2. أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.
3. ترسل المادة المراد نشرها مرقونة بالحاسوب باستعمال برنامج مايكروسوفت word، ترسل نسخة إلكترونية على بريد المجلة الإلكتروني إلى عنوان المركز التالي:

acatap2@gmail.com

مع مراعاة مايلي:

أ. **ألاّ يتجاوز عدد صفحاتها /20 صفحة/** من الحجم العادي (6000 كلمة) ولا يقل عن **/7 صفحات/.**

ب. أن تكون المادة خالية من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية.

ج. ضرورة استعمال علامات الترقيم أصولاً.

د. أن تكون الجمل مترابطة ومتماسكة.

4. تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه، مكتوبة باللغة العربية، على أن ترفق المادة **بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.**

5. ترفق المادة المقدمة للنشر متضمنة:

أ. اسم المؤلِّف الثلاثي بالعربية وبالحروف اللاتينية.

ب. نبذة مختصرة من سيرته.

ج. الصفة أو المرتبة العلمية، مثال (دكتور، أستاذ دكتور، باحث أكاديمي... الخ)

د. عنوانه البريدي الكامل.

هـ. عنوان بريده الإلكتروني.

و. رقم هاتفه.

6. تُستهل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل بثَبَتٍ للمصادر والمراجع المستعملة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور فرقم الصفحة.

7. تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها في مكانها في النص، وترسل أيضاً بملف أو ملفات منفصلة بحيث تكون واضحة و**بدقة صالحة للطباعة أعلى من 200 dpi** بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة والحجم المناسب، على أن يشار إشارة واضحة إلى أمكنتها في متن النص، مع ضرورة مراعاة حقوق الملكية الفكرية للشكل.

8. تُعَرَّب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز، والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرِّب بها **في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث** أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9. تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة، التي لايتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:

– أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.

– أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.
– ألاّ يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.
– أن يَصْحَبَ العرضَ معلوماتٌ ببليوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.

10. يبلَّغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتَسَلُّم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على النشر، وذلك قبل صدور العدد الجديد بثلاثين يوماً.

11. تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكَّم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سِرِّي، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها، ومن ثَم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكَّمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتخذ قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.

12. يحق للمجلة – إذا رأت ضرورة لذلك – إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكَّم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر، فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.

13. يبلَّغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.

14. تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.

15. لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر **إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة، وبموافقة خطية من رئيس التحرير**، مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

16. إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17. تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى /**100/ دولار أمريكي كحد أقصى**، علماً أن (**الصفحة الواحدة تعادل 300 كلمة حسب الفقرة (3 – أ)**.

18. **تعتذر هيئة التحرير عن عدم نشر أية مقالة لا تلتزم بالشروط الواردة آنفاً.**

19. ترسل المواد وتوجه المراسلات **باسم الأستاذ الدكتور زيد إبراهيم العساف مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر** إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق – ص.ب: 3752

هاتف: 3334876 – 11 – 963+

فاكس: 3330998 – 11 – 963+

البريد الإلكتروني: E-mail: acatap2@gmail.com

الموقع على الإنترنت: www.acatap.org

الصفحة على فيس بوك: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

بحوث في المصطلحات

المصطلح العلمي في المعاجم الاصطلاحية التراثية

- مفاتيح العلوم للخوارزمي نموذجاً -

د. حاج هنّي محمد
جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف
الجزائر

مقدمة

لقد خلّف العرب القدامى تراثاً معجميّاً زاخراً، تمثل المعاجم الموسوعية الاصطلاحية أحد أهمّ أنواعه، ولقد امتدّ هذا التأليف المعجمي على مدار ثمانية قرون كاملة؛ فمنذ أن وضع االخوارزمي الكاتب (386هـ) معجمه "مفاتيح العلوم" توالت المصنّفات في هذا النوع من التأليف، ومن ذلك: "التعريفات" للشريف الجرجاني (816هـ)، و"مقاليد العلوم في الحدود والرسوم" للسيوطي (911هـ)، و"التوقيف على مهمات التعاريف" للمناوي (1031هـ)، و"أبجد العلوم" للقنوجي (1307هـ)، و"الكليات" لأبي البقاء الكفوي (1094هـ)، و"كشّاف اصطلاحات الفنون" للتّهانوي (المتوفى بعد 1158هـ).

ولما كان "مفاتيح العلوم" أول معجم موسوعي اصطلاحي عربي يظهر للوجود؛ كان لابد من دراسته دراسةً علميةً مفصّلةً؛ بغية الإلمام بقضايا المصطلح العلمي لدى العرب القدامى، وفي هذا الصدد يمكن طرح هذه الأسئلة:

ما هي الخصائص العامة لهذا المعجم؟ وفيم تكمن أهميته؟ وما الأسس النظرية والإجراءات المنهجية التي اعتمدها واضعه؟

1. الخصائص العامة لمفاتيح العلوم

أ. العنوان:

يعلل الخوارزمي تسمية كتابه مفاتيح العلوم بقوله: "وسميت هذا الكتاب مفاتيح العلوم، إذ كان مدخلاً إليها ومفتاحاً لأكثرها، فمن قرأه وحفظ ما فيه ونظر في كتب الحكمة هذّها هذّاً، وأحاط بها علماً وإن لم يكن زاولها ولا جالس أهلها"[1]، فهو يحرص على تزويد المتعلم بالقدر الكافي من المصطلحات التي تمكنه من استيعاب علوم العصر؛ ذلك لأنّه رأى أنّ "اللغويّ المبرز في الأدب، إذا تأمّل كتاباً من الكتب، التي صُنفت في أبواب العلم والحكمة، ولم يكن شدا صدراً من تلك الصناعة، لم يفهم شيئاً منه، وكان كالأميّ الأغتم عند نظره فيه"2، فإذا كان هذا حال اللغوي فما بالك بالقارئ العادي.

ولهذا السبب عمل الخوارزمي على تزويد الأديب اللطيف – وهو المثقف في هذا العصر– بكل ما يحتاجه من المصطلحات لتكون عوناً له في بناء المعرفة.

ب. المقدمة:

استهلّ الخوارزمي معجمه بمقدمة متوسطة الطول، تقع في صفحتين ونصف[3]، تضمنت العناصر التالية:

1. حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله.
2. بيان هدف المعجم الذي يكون "جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات"[4].
3. تحديد القارئ المستهدف؛ والذي عيّنه بقوله "وأحوج الناس إلى معرفة هذه الاصطلاحات

---

[1] الخوارزمي الكاتب، **مفاتيح العلوم**، تحقيق: عبد الأمير الأعسم، بيروت، لبنان، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ط:1 ، 1428هـ/2008م، ص:13.

[2] المصدر نفسه، ص: 11.

[3] طبعة دار المناهل، 1428هـ/2008م، تحقيق: عبد الأمير الأعسم، ص: 11-13.

[4] الخوارزمي الكاتب، **مفاتيح العلوم**، ص:12.

الأديب اللطيف"[1]؛ لأنّه انتبه إلى أنّ مدلول اللفظ يختلف باختلاف مجال استعماله، لاسيما بعد تعدد فروع المعرفة؛ إذ أصبحت اللفظة الواحدة دالةً على أكثر من معنى، كما هو الحال مع مفردات: الرَّجْعَة، والفكّ، والوَتَد.

لذا راح الخوارزمي يبرهن على ضرورة تحديد السياقات المعرفية الممكنة للمصطلحات العلمية، وذلك بتحديد مفاهيمها ضمن مجالاتها؛ ومن ذلك "لفظة الفكّ فإنّها عند أصحاب اللغة والفقهاء مصدر فكّ الأسير أو الرهن أو الرقبة، وأحد الفكّين وهما اللحيان، وعند أصحاب العَروض إخراج جنس من الشعر من جنس آخر تجمعهما دائرة، وعند الكُتَّاب تصحيح اسم المُرتَزِق في الجريدة بعد أن كان وُضِع عنها"[2]، فكان هذا المعجم جامعاً لشتات المصطلحات، وضابطاً لدلالاتها، فهو يمنح المتعلّم مفاتيح العلوم، ويكون معيناً له على إدراك دلالة المفردة في علم بذاته.

4. ضبط منهج بناء المعجم.
5. تعليل سبب التسمية.
6. تحديد أقسام المعجم، التي جعلها في مقالتين: إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من علوم العربية، والثانية لعلوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم.

ج. الغاية:

حدّد الخوارزمي غايته من بناء هذا المعجم بقوله: "يكون جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، متضمّناً ما بين كلّ طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات، التي خلت منها أو من جلّها الكتب الحاصرة لعلم اللغة"[3].

كما بيّن أهمية هذه المواضعات والاصطلاحات، وجعلها أساساً لفهم العلوم واستيعابها؛ وذلك

---

[1] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص: 12.

لكون "معرفة اللغة وحدها بل والتبريز بها وآدابها لا يُغني شيئاً، وإنّ مثل هذا الدارس للعلوم، لهو بمنزلة الأميّ الذي لا يُفصح لعجمة في منطقه"[1].

هنا يقرر الخوارزمي عدة معطيات منها:

1. إنّ المصطلحات العلمية غير الألفاظ اللغوية؛ فالأولى خاصّة بأصحاب الصناعات، والثانية عامّة تشمل أصحاب اللغة كلّهم.
2. إنّ كثيراً من كتب اللغة تخلو من المصطلحات العلميّة.
3. إنّ اللغوي المبرز يحتاج إلى معرفة ألفاظ كتب الحكمة والعلوم ليعرف ما فيها[2].

يمكن القول إنّ الخوارزمي تنبّه إلى أنّ المعاجم اللغوية لا تستجيب لحاجات المتعلّم، ولاسيما المُقبِل على العلوم الجديدة آنذاك، فقصد إلى جمع المصطلحات المتداولة بين أهل هذه العلوم في كتاب واحد يغني عن التعدد المصطلحي الذي شهدته اللغة العربية في هذه المرحلة نتيجة تعدد المواضعات.

د. الرصيد المصطلحي:

احتوى مفاتيح العلوم على ألفين وثلاثمئة واثنين وثمانين (2382) مصطلحاً، توزعت على مقالتين، تفرعتا إلى خمسة عشر (15) باباً، تتجزأ مجتمعةً إلى ثلاثة وتسعين (93) فصلاً.

ويبدو هذا الرصيد المصطلحي يفوق ما تضمنته المعاجم الاصطلاحية اللاحقة؛ فقد كان مجموع مصطلحات كتاب التعريفات للجرجاني ألفين واثنين وخمسين (2052) مصطلحاً لعدة علوم، منها: الفلسفة والفقه والمنطق والنحو والبلاغة والعروض.

كما اشتمل مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي على ألف وثمانمئة واثنين وستين (1862) مصطلحاً لواحد وعشرين (21) حقلاً معرفيّاً هي: التفسير، الحديث، الفقه، أصول الكلام،

---

[1] عبد الكريم خليفة، **اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين**، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 3002م، ص: 118.

[2] ينظر: أحمد مطلوب، **بحوث لغوية**، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط: 1، 1987م، ص: 171.

الجدل، النحو، الصرف، المعاني والبيان، العروض، المنطق، الحكمة، الهيئة، الهندسة، الحساب، الاستيفاء، الموسيقا، النجوم، الطبّ، الأخلاق، التصوف.

أمّا كشّاف اصطلاحات الفنون للتهانوي الذي يعدّ أكبر مصنفات المصطلح العربي حجماً وأوفاها مادةً، وبالنظر إلى تاريخ ظهوره ؛ فقد بلغ عدد مداخله – عربية وأعجمية – ثلاثة آلاف وخمسة وأربعين (3045) مصطلحاً[1]؛ أي بزيادة قدرها ستمئة وثلاثة وستين (663) مصطلحاً على ما تضمنه مصنّف للخوارزمي؛ أي ما يعادل عشرين (20%) من مجموع مصطلحات مفاتيح العلوم.

ويمكن تفسير ذلك بكون معجم الخوارزمي ظهر في مبكرة نوعاً ما؛ إذ كانت جلّ العلوم العربية – الأصيلة منها والمترجمة – في طور النضج والتأسيس، خلافاً لما عرفته المعاجم الاصطلاحية اللاحقة له من نموّ في عدد المصطلحات؛ نتيجة تطور العلوم وتشعب المعارف، وإن اقتصر واضعوها – في الغالب – على رصد مصطلحات علوم العرب فقط، كالنحو، والفقه، وعلم الكلام، مثلما هو الشأن في كتاب "التعريفات" للجرجاني.

2. أهمية المعجم

على الرغم من أنّ معجم مفاتيح العلوم للخوارزمي أوّل ما أُلف في هذا المجال، فإنه يُظْهر صورة واضحة المعالم لما بلغته اللغة العربية من نمو وارتقاء؛ إذ لم تعد أداة للتعبير عن العلوم الشرعية والإنسانية فقط، بل صارت وعاءً يتسع لشتى العلوم، طبيعية كانت، أم دقيقة.

وتأسيساً على ما سبق، يمكن اعتبار مفاتيح العلوم مصدراً هاماً لتاريخ العلوم عند العرب، كما يعدّ أحد الكتب التي ترسم صورة جليّة للمصطلحات العلميّة في القرن الرابع للهجرة؛ لأنّ

[1] محمد علي التهانوي، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: رفيق العجم وآخرون، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان، ط: 1، 1996، المقدمة ص: xxxlx.

مؤلِّفه حرص على "جمع كلّ ما تيسّر لديه من مصطلحات مستقلة في كلّ علم من العلوم"[1].

يُظهر المعجم بجلاء تمكّن العلماء العرب من "القدرة على خلق المصطلح العلمي في كافة فروع العلم والمعرفة آنذاك، في فترة من فترات حياتها لا تبعد عن حياتها البدوية سوى قرنين أو أقلّ من ذلك"[2].

كما يمثّل هذا المعجم– بالفعل– صورةً واضحة المعالم للأسلوب الذي اتخذه العلماء في الاصطلاح؛ وذلك بإضافة معانٍ جديدة على الألفاظ لم تكن لها من قبل، إمّا بالتوسيع أو التضييق أو النقل، أو بابتكار صيغ عربية جديدة من جذور عربية، أو بالتعريب حين يعجزون عن إيجاد لفظ عربيّ للمصطلح الجديد[3].

فضلاً على ما سبق، يبرز مفاتيح العلوم الطرائق التي اعتمدها العرب في الجمع بين المصطلح المعرّب ومرادفه اللّاتيني جنباً لجنب[4].

وممّا لاشك فيه أنّ العناية بمفاتيح العلوم للخوارزمي، وغيره من المعاجم التراثية كفيلة بتحقيق هذه النتائج:

أ. السماح بتحديد المعالم الذهنية لحضارة الأمة العربية في عصورها السابقة، ومقدار ما حققته من تقدم في مختلف فروع المعرفة، وكشف مواطن التأثير والتأثر بين المسلمين وغيرهم من أبناء الحضارات الأخرى.

---

[1] الخوارزمي الكاتب، **مفاتيح العلوم**، مقدمة المحقق، ص: 14.

[2] حلمي خليل، **مقدمة لدراسة التراث المعجمي**، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2003م، ص: 480.

[3] ينظر: محمد حسن عبد العزيز، **التعريب في القديم والحديث**، دار الفكر العربي، د ط، 1990م، ص: 111-112.

[4] ومن ذلك: (الإصطقس والركن)، (لوغيا والمنطق)، (أسترونوميا وعلم النجوم)، ينظر: الخوارزمي الكاتب، مفاتيح العلوم، ص: 131-137-193.

ب. السماح بالتأريخ للعلوم المختلفة ودراسة تطوّرها[1].

ج. ربط حاضر الأمة بماضيها وهو أمر تحرص عليه كل ثقافة أصيلة، بغية تحقيق التواصل الثقافي بين الخلف والسلف.

د. اختصار الجهد والوقت في البحث عن المصطلحات؛ إذ من غير المعقول أن يبحث مترجم أو معرِّب عن مصطلح جديد يولّده ويروّضه للاستعمال في الوقت الذي يزخر تراثنا بمصطلحات قادرة على تأدية مفهوم المصطلح الأعجمي[2].

3. مكانة المعجم

نال معجم مفاتيح العلوم شهرةً واسعةً في أوساط العلماء والباحثين، قديماً وحديثاً؛ ونظير ما امتاز به من قيمة علمية، جعلته يحظى بالدراسة والتحقيق من طرف المستشرقين قبل العرب، ولهم يرجع الفضل في التعريف بهذا الكتاب وإظهاره للوجود؛ فمنذ أن حَقَّقَ المعجم أوّل مرّة فان فلوتن سنة (1895م) أحصى عبد الأمير الأعسم تسع عشرة (19) دراسة بين بحث، وتحقيق، وترجمة للمستشرقين طيلة سبعين سنة (1895م إلى غاية 1964م).

ومما هو قمين بالذكر أنّ المستشرقين الألمان اهتموا بالفصول التي تتصل بالعلوم الدخيلة، ولاسيما تلك التي تتعلق بالطب والرياضيات والكيمياء، وهي مما ازدهر في عصر الخوارزمي الكاتب.

وبالمقابل لم يلتفت الباحثون العرب لهذا المصدر التراثي إلاّ في ثلاث دراسات هي:

– ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي للباز

---

[1] ينظر: علي توفيق الحمد، **المعجم المختص في التراث العربي – قراءة في المادة والمنهج**، جمعية المعجمية العربية بتونس، ندوة المعجم العربي المختص، 17-19 أفريل 1993، أشرف على نشره: إبراهيم بن مراد، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 1996، ص: 107-109.

[2] ينظر: ممدوح خسارة، **المعاجم اللغوية وأهميتها في وضع المصطلحات– معجم لسان العرب نموذجاً**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد خاص"ندوة المعجم العربي"، 22-2001/10/25م، المجلد 78، الجزء الثالث، جمادى الأولى 1424هـ– تموز(يوليو) 2003م، ص: 720.

العريني ويحيى الخشّاب 1958م.

- المصطلحات العلمية في مفاتيح العلوم لأحمد مطلوب 1984م[1].
- المصطلح الفلسفي عند العرب لعبد الأمير الأعسم 1958م[2].

ولعلّ إغفال العرب المحدثين لهذا المعجم التراثي المتخصّص، وعدم إيلائه حقه من الدراسة والبحث يرجع أساساً لهذه العوامل:

- لم يألف الباحثون العرب توثيق قراءاتهم الاصطلاحيّة من هذا المصدر، بل يلجؤون عادة إلى مصادر معجمية متأخّرة.
- عدم دراية الباحثين العرب بدراسات المستشرقين وبحوثهم حول هذا المعجم؛ بسبب ما ترسّخ لديهم من آراء- سلبية غالباً- حول الاستشراق[3].
- عدم شهرة المُؤَلِّف؛ وذلك لكونه من المُقِلِّين في التأليف، إذ لم يخلّف سوى كتابين، هما: مفاتيح العلوم، والوجوه في اللغة[4].
- نتيجة الخلط الحاصل بين الخوارزمي الكاتب صاحب المفاتيح، والخوارزمي محمد أبو موسى (235هـ) الرياضي والفلكي المعروف صاحب "الجبر والمقابلة".

4. أسس بناء مفاتيح العلوم

أ. الجمع:

1. المصادر:

لم يذكر الخوارزمي في معجمه المصادر التي اعتمدها في التأليف؛ وهذا ما يفسّر تعويله

---

[1] أعاد نشره في كتابه: **بحوث لغوية**، عمان، الأردن، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط: 1، 1987، ص: 161-203.

[2] ينظر: الخوارزمي الكاتب، **مفاتيح العلوم**، مقدمة المحقق، ص: 20-39.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص:36.

[4] ينظر: عبد الأمير الأعسم، **المصطلح الفلسفي عند العرب**، بغداد، ط:1، 1985، ص:54.

على مجهوده الشخصي في انتقاء المصطلحات، وعلى ثقافته الواسعة، وعلى النقل عن السابقين قليلاً[1]، كما توحي بعض عباراته أنّه على علم واسع ببعض اللغات، كالفارسية، واليونانية، والسريانية، وحتى التركية.

ولعلّ تاريخ ظهور المعجم كفيل بتحديد المصادر التي استقى منها المصطلحات المندرجة تحت فصول المعجم، وعليه يسهل استنتاج اعتماده على جلّ المصنّفات التي كانت متداولة آنذاك، في شتى العلوم والمعارف، ومنها:

في الفقه: "تفسير غريب الموطأ" لعبد الله أحمد بن عمران الألهالي (250هـ)، و"الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي" لأبي منصور الأزهري (370هـ)، و"طلبة الطلبة" لأبي حفص عمرو بن محمد النسفي (370هـ).

في علم الكلام: "مقالات الإسلاميين" للأشعري (324هـ)، و"الانتصار" لأبي الحسين الخياط (ت ق3هـ).

في النحو: الكتاب لسيبويه (180هـ)، و"حدود النحو" ليحي بن زياد الفراء (207هـ)، و"المصون في النحو" لأحمد بن يحي ثعلب (291هـ)، و"الحدود النحوية" لعلي بن عيسى الرماني (384هـ).

في اللغة: "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)[2].

في التصوف: "الرعاية لحقوق الله" للمحاسبي (243هـ)، و"اللمع" لأبي نصر عبد الله بن السرّاج (378هـ).

في الفلسفة: "رسالة في الحدود" لجابر بن حيّان (200هـ)، و"رسالة في حدود الأشياء ورسومها" لأبي يوسف الكندي (252هـ)، و"إحصاء العلوم" والألفاظ المستعملة في المنطق" لأبي نصر

---

[1] وردت في ثنايا المعجم إشارات إلى بعض الأعلام العرب من لغويين وأدباء، ونقاد، وبلاغيين، ومنهم: بشر بن المعتمر، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ابن درستويه، أبو زيد الأنصاري، الجاحظ.

[2] ورد الخليل بن أحمد في متن المعجم أربعة عشرة (14) مرة، ينظر: الخوارزمي الكاتب، **مفاتيح العلوم**، صفحات: 23-26-33-37-79-154-155-158-159-164-165-178-183-209.

الفارابي (339هـ).

في الطب: "الحاوي" لأبي بكر الرازي (311هـ)، و"الاعتماد في الأدوية المفردة" لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الجزّار (369هـ)[1].

ويبدو أنّ عبد الكريم خليفة قد اختلط عليه الأمر عندما أورد مصادر لمؤلفين متأخّرين عن عصر الخوارزمي لمعجم "مفاتيح العلوم"، على غرار: ابن النفيس (626هـ)، وابن البيطار (646هـ)[2]، فكيف يُعقل أن يكون الخوارزمي قد اعتمد على مؤلفات هؤلاء الأعلام، وكتبهم ظهرت بعد مفاتيح العلوم بأكثر من قرنين من الزمن؟

2. المجالات المفهومية:

استوعب مفاتيح العلوم مصطلحات علوم العرب التي صنّفها في ستة أبواب هي: الفقه– الكلام– النحو– الكتابة– الشعر والعروض– الأخبار.

كما احتوى علوم العجم التي تفرعت إلى تسعة أبواب هي: الفلسفة، المنطق، الطب، الأرثماطيقي، الهندسة، علم النجوم، الموسيقى، الحيل، الكيمياء.

ويمكن مقارنة توزيع المصطلحات في هذه العلوم وفق هذه العينة:

علوم العرب		علوم العجم	
الباب	**عدد المصطلحات**	**الباب**	**عدد المصطلحات**
الفقه	163	الفلسفة	45
الكلام	165	المنطق	63
النحو	107	الطب	289
الكتابة	184	الهندسة	60
الشعر والعروض	141	الحيل (الميكانيك)	38

[1] ينظر: محمد حسن عبد العزيز، **المصطلح العلمي عند العرب– تاريخه ومصادره ونظريته**، دار الهاني للطباعة، 2000م، ص: 107-167.

[2] ينظر: عبد الكريم خليفة، **اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين**، ص: 122.

فهذا الجدول يبيّن بوضوح مدى نضج العلوم العربية، ومقدار ما بلغته من تقدّم آنذاك، وعلى النقيض من ذلك كانت علوم العجم – الوافدة إلى العرب عن طريق الترجمة – في طور التشكيل، وعليه فمن الطبيعي أن تكون مصطلحاتها ضئيلة العدد مقارنة بالعلوم الأصيلة.

وجدير ذكره أنّ باب الطب – وهو من العلوم الدخيلة – كان الأكثر كمّاً مصطلحيّاً؛ فقد فاق غيره من علوم العجم؛ وذلك لكون العرب قد ترجموا كتب الطب من اليونانية في زمن مبكّر، فقد ظهر في النصف الأوّل من القرن الثالث معجمان في الأدوية المفردة مترجمان من اللغة اليونانية هما: "كتاب المقالات الخمس" للعالم ديوسقريدس، و"كتاب الأدوية المفردة" للطبيب والفيلسوف اليوناني جالينوس[1].

3. المستويات اللغوية

لما كان مفاتيح العلوم معجماً شاملاً لمصطلحات عدّة علوم، عربية وأعجمية، كان من البديهي أن يضمّ نوعين من المصطلحات:

أ. **مصطلحات فصيحة:** نابعة من صميم العربية، وُضعت للتعبير عن المفاهيم المتعلقة بالعلوم الأصيلة؛ كالفقه والكلام والنحو والشعر والعروض، ومن نماذجها:

في الفقه: في فصل الصلاة والأذان: التثويب، الترجيع، التحريم، التحليل، التشهد، القنوت[2].

في النحو: في فصل الوجوه التي يتبع بها الاسم ما قبله في وجوه الإعراب كلّها: العطف، البدل، الصفة[3].

في الشعر والعروض: في ذكر القوافي: القافية، الروي، الوصل، الخروج، الردف، التأسيس، الرسّ الإشباع، الحذو، التوجيه، المجرى، النفاذ، المتكاوس، المتراكب، المتدارك، المتواتر،

---

[1] ينظر: إبراهيم بن مراد، **المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري**، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1993، ص: 32.

[2] ينظر: الخوارزمي الكاتب، **مفاتيح العلوم**، ص: 22.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص: 61.

المترادف، المقيّد، المطلق.

ب. مصطلحات مولّدة: ترتبط بما استحدثه العرب من علوم قبل نهاية القرن الثالث الهجري خاصّة، ويأخذ هذا النوع ثلاثة أشكال:

1. **المولّد بالمجاز:** وهو نقل اللفظ من دلالته الأصلية إلى دلالة جديدة تربطها بالدلالة الحقيقية قرينة، ومن ذلك:

في باب الطبّ فصل في ذكر الأدوية المشتبهة الأسماء، جاءت هذه المصطلحات: آذان الفأر، خانق النمر، لسان الحمل، مزمار الراعي، عين البقر، ذنب الخيل[1]، وكلّ هذه المصطلحات هي أسماء لأدوية تواضع الأطباء عليها في تلك الحقبة.

2. **المولّد بالتعريب:** ويشمل الألفاظ الأعجمية التي خضعت لقوانين العربية صوتاً وصرفاً، ومن المصطلحات المعرّبة في مفاتيح العلوم ما يلي:

- الهندسة: يقول الخوارزمي: "وأما الهندسة فكلمة فارسية معربة (وهي بالفارسية أندازه)، أي المقادير"[2].
- البيروح: وهو بالفارسية (هزّار كالشاي)، وتفسيره يحلّ ألف عقدة[3].
- الفراريج: فارسية معربة جمع فرّوج، مثل تنّور، أفراخ الدجاج[4].

يتضح مما سلف أنّ العلماء العرب – والخوارزمي واحد منهم – لم يجدوا حرجاً في استعمال المعرب ما دام ليس له في العربية ما يُرادفه؛ ومن ذلك أسماء الأغذية والأدوية والعقاقير ومختلف الأدوات والآلات.

---

[1] حشيشة تنفع وتمنع من الظفرة– نبات يعفن– نبات قابض يجفف– من أدوية الحصى، هو البهار الأصفر– نبات قابض، ينظر: المصدر نفسه، ص: 162.

[2] المصدر نفسه، ص: 183.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص:161.

[4] المصدر نفسه، ص: 158.

3. الدخيل: ويضم الألفاظ الأعجمية المنقولة من اليونانية والفارسية والتركية والسريانية[1]:

اللغة	المصطلحات
اليونانية	أرغانون (آلة موسيقية)- أرثماطيقي (علم العدد)- أسطقس (الأصل)- إصطرلاب (مقياس النجوم)- أصطرونوميا (التنجيم)- أنولوطيقا (العكس)- أفوقطيقي (الإيضاح)- إيسغوجي (المدخل)- باري آرمينياس (التفسير)- بركسيس (اختلاف المنظر)- برطيس (فلْكة كبيرة للجرّ)- بطليموس (الحرْبي)- جومطريا (صناعة المِساحة)- طوبيقي (المواضع)- ريطوريقي (الخطابة)- بيوطيقي (الشعر)- سوفسطيقي (التحكّم)- فنطاسيا (القوة المخيِّلة)- قاطيغورياس (المقولات)- لوغيا (المنطق)- موسيقى (تأليف الألحان).
الفارسية	إجانة (إناء)- أندازاه (المقادير)- أنجيذج (الملفوظ)- بارم (العتّلة)- بغبور (ملك الصين)- بغستان (بيت الأصنام)- تأريج (النظام)- دار دفيره (كتابة الأحكام)- درفش (العلَم)- دستور (نسخة الجماعة المنقولة من السواد)- دينارويه (الحزّاء وهي بقلة تشبه الكرفس)- الروزْنامج (كتاب اليوم)-روانكان دفير (كتاب الأوقات)-زيج (حساب الكواكب)- سرسام (حمى)- شاهنشاه (رئيس الرؤساء)- فيروزج (حجر أخضر)- فهرست (ذِكْر الأعمال) - كَدْخُذاه (الكوكب المبتزّ) - كردجه (القطعة)- كستبزود (النقصان والزيادة)- كنارشبي (كوكب يُرى صباحاً)-كندر (الحصة)- مرز (الحد)- نُهْبَهَر (تُسع البروج)-هربذ (خادِم النار)-هَيْلاج (أدلة العمر)- المؤبَذ (قاضي المجوس)
التركية	خاقان (ملك الترك الأعظم)- خان (الرئيس)- طَرْخان (الشريف).
السريانية	بُحران (مرض)- كِيان (الطبْع)- مرارات فيلا (فيل زهرج)- مِليلوثا (المنطق)

يبرز الجدول أنّ الألفاظ الأجنبية قليلة في المقالة الأولى؛ لأنّ معظم ما جاء فيها يخص العرب وعلومهم وأخبارهم وأيامهم، ولكنّها تكثر في المقالة الثانية؛ لأنّها ترتبط بالعلوم المستحدثة في الثقافة العربية، على غرار الفلسفة والمنطق، والطب، والفلك.

[1] ينظر: فايز الداية، **معجم المصطلحات العلمية العربية للكندي والفارابي والخوارزمي وابن سينا والغزالي**، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، دار الفكر، ط: 1، 1410هـ- 1990م، ص: 283-286.

وفي هذا السياق يرى أحد المختصين أنّه "ليس هناك من سبب يدعونا إلى القلق على مصير المصطلحات في اللغة العربية، فالزمن والاستعمال كفيلان بالإبقاء على المصطلح الأصلح، واللغة العربية قادرة على استيعاب المفاهيم الجديدة وتمثّلها"[1]، وهذا ما يتجسّد بالفعل في مفاتيح العلوم، فقد عرف عصر الخوارزمي أزهى أطوار الحضارة العربية، إذ نشطت حركة الترجمة، وتطورت العلوم، واستقرت مصطلحاتها تدريجياً نتيجة تداولها على أوسع نطاق، بقَطْع النظر عن أصولها اللغوية، يونانية كانت أم فارسية؛ ما دامت المسألة متعلقة أساساً بالتطور العلمي وما يضيفه للأمة من ارتقاء وريادة؛ وأمام هذا الوضع الجديد "لم يعد مثقفو القرن الرابع الهجري يلوذون بالبادية بحثاً عن اللغة بل على العكس كانوا يقومون هم أنفسهم بخلق ألفاظ جديدة تعبّر عن أفكارهم وتخصصاتهم عن طريق التوليد تارة والتعريب تارة أخرى وإذا أعوزهم الأمر استعملوا الدخيل ولم يبالوا"[2].

هذه الحالة تشبه بعض الشيء ما تعيشه اللغة الإنجليزية في عصرنا؛ تقول آن إيزنبرج: "إنّ غلبة اللغة الإنجليزية (لغة العلوم) لا تعود أساساً إلى أي ميزة لغوية طبيعية فيها، فصحيح أنها غنية غنى غير عادي في كلماتها، فهي لا تقاوم الكلمات الجديدة، بل ترحب بها، خاصة في العلوم والتقنية. إنّ ما أدى إلى انتشار اللغة الإنجليزية لم يكن المعجم المتسامح، بل إنّه الريادة العملية (لأمريكا خاصة)[3]، فنمو اللغة العربية ومواكبتها للمعارف والفنون رهين بنصيب ناطقيها في الإبداع في شتى ميادين العلم والتقنية.

---

[1] علي القاسمي، **المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق**، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط: 1، 2003م، ص: 21.

[2] حلمي خليل، **المولّد في العربية**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط: 2، 1405هـ/ 1985م، ص: 298.

[3] حمزة بن قبلان المزيني، **التحيز اللغوي وقضايا أخرى، علامات للنقد الأدبي**، نادي جدة الأدبي، الجزء 8، محرم 1414هـ/يونيو 1993م، ص: 20.

4. أنواع المداخل المعجمية:

تتجلى المداخل المعجمية في مفاتيح العلوم للخوارزمي في ثلاثة أنماط هي:

أ. مداخل بسيطة: وتشكل أغلبية مداخل المعجم، وتظهر في شتّى الأبواب، ومن أشكالها:

الباب	مداخل بسيطة
الفقه	البيوع – المحاقلة – المخابرة – التقليس– النجش .
الكلام	المعتزلة – الحسنية– الهذلية – النظامية – الجاحظية.
النحو	الرفع – الضم – الكسر – الفتح – الروم – الإشمام.
الطب	السعفة – البهق – الشعيرة – الحفر – السرطان – الشقيقة.
الهندسة	الأبعاد – القطر – القاعدة – المحيط – الوتر – العمود.
الكيمياء	التقطير– التصعيد – التشميع – الإلغام – الحجر – التكليس.

ب. مداخل مركبة: وتأتي في المرتبة الثانية من حيث العدد، ومن أمثلتها:

الباب	مداخل مركبة
النحو	الاسم السالم – جمع التكسير.
المنطق	القضية السالبة – المقدمة الحملية – العلة الفاعلة – جنس الأجناس
الرياضيات	الزاوية المنفرجة – الجيب المستوي – السطح الهلالي.
الفلسفة	الجسم التعليمي – الروح الحيوانية – النفس الناطقة.

ج. مداخل معقدة: وكان عددها عشرين (20) مدخلاً، من أمثلتها:

الباب	مداخل معقدة
الفلسفة	علم الأمور الإلهية – علم تدبير المنزل– علم الآثار العلوية.
علم النجوم	نقطة الاعتدال الخريفي – نقطة المنقلب الصيفي.
الموسيقا	خفيف الثقيل الأوّل– خفيف الثقيل الثاني.

يتبين مما سبق أن الخوارزمي ملأ معجمه المتخصّص بثلاثة أنماط من المداخل المعجمية؛ مثّل المصطلحَ البسيطَ أغلبيةُ رصيد المصنّف، وبعده المصطلح المركب، بنسبة أقل؛ مُماشاةً لتطور العلوم، وتشعّب المعارف، وكان توظيف المصطلح المعقّد أقل بكثير من سابقيه؛ إذ ضمّ

المعجم عشرين (20) مصطلحاً؛ أي ما نسبته (0,83%) من مجموع مصطلحات المعجم.

5. الوضع

أ. التصنيف:

لقد أدى تطور المعرفة السريع إلى نموّ فروعها، وكانت النتيجة تراكم كمّ هائل من المعارف دينيّة وطبيعيّة وفلسفية، يونانية وفارسية وهندية وعربية أصيلة، فكانت الحاجة ماسة إلى تصنيف هذه المعارف في نظام، وتعيين مكانة الفروع تحت الأصول.

وتعدّ محاولة الخوارزمي في مفاتيح العلوم محاولة متميّزة في تصنيف العلوم، وإن كان أبو نصر الفارابي (339هـ) قد سبقه إلى ذلك في كتابه" إحصاء العلوم"؛ والذي قسّم فيه العلوم إلى خمسة أقسام، هي:

في علم اللسان وأجزائه – في علم المنطق وأجزائه – في علوم التعاليم (العدد، الهندسة، المناظر...)– في العلم الطبيعي وأجزائه– في العلم المدني وأجزائه وفي علم الفقه وعلم الكلام[1].

ولكن يعدّ كتاب الخوارزمي في تصنيف العلوم أكمل نهجاً، كونه "مصدراً يعطينا تصوّراً كاملاً منظّماً وموجزاً عن موضوع العلم في القرون الوسطى ومقولاته"[2]، فعلى الرغم من تأثّر الخوارزمي بالفارابي في مسألة تصنيف العلوم فإنه أعاد تقسيمها وفق منهج مخالف تماماً؛ فإذا كان الفارابي يجعل تيسير مصطلحات العلوم لقارئها العام هو القصد الأخير، فإنّ الخوارزمي– على عكس ذلك– أراد أن يكون معجمه "مفاتيح العلوم" دليلاً في كشف المصطلحات المتداولة في كلّ علم يحتاجه المتعلّم[3].

---

[1] ينظر: أبو نصر الفارابي، **إحصاء العلوم**، تحقيق: عثمان أمين، القاهرة، الأنجلو مصرية، ط: 3، 1968م، ص: 24.

[2] خير الله يف، **مسألة تصنيف المعرفة العلمية في الشرقين الأدنى والأوسط في القرون الوسطى– الفارابي والخوارزمي وابن سينا**، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 6/5، السنة الثانية، حزيران يوليو، 1982م.

3 ينظر: الخوارزمي الكاتب، **مفاتيح العلوم**، مقدمة المحقق، ص: 14.

فالخوارزمي قصد جمع كلّ ما توفر في عصره من مصطلحات متداولة في كلّ علم من العلوم، وقدمها لطالبها في قالب واضح، ولم يرد أن يفلسف تلك العلوم كما فعل الفارابي.

ب. الضبط:

حرص الخوارزمي على ضبط المصطلحات العلمية بعدّة أشكال:

1. **الضبط بذكر الحروف:** بتحديد الحرف للتمييز بين الحروف المتشابهة: الشِغار: مُعْجمة الغين[1]، الغرب: بالغين المعجمة[2]، اللُورا: غير معجمة الراء[3]، الشَرَطان: معجمة الشين[4].
2. **الضبط بالحركات:** يورد المصطلحات مُرفَقةً بحركاتها المناسبة، ومن ذلك: الوَرَقُ: "بفتح الراء"[5]، السِّلْعة: "بكسر السين وتسكين اللام"[6].
3. **الضبط بالوزن الصرفي:** ومثال ذلك: الكُسْعة:" على وزن فُعْلة"[7].
4. **الضبط بذكر كلمة مشهورة:** ومن نماذجه: الرِقة على بناء الصِفة[8]، الأُطْرِية على وزن الأُكْسية[9]، الدَبَران: على وزن سَرطان وضَرَبان[10].

ج. الترتيب:

اعتمد الخوارزمي الترتيب الموضوعي؛ وذلك بإيراد المصطلحات المتصلة بعلم واحد في باب

---

[1] مثل أن يزوج الرجل ابنته من آخر على أن يزوجه هو أخته من غير مهر، ينظر: المصدر نفسه، ص: 29.

[2] ما يُسقى بالدلو، ينظر: المصدر نفسه، ص:80.

[3] معناه باليونانية الصَنج لضوئه وتسميه العرب النسر الواقع ويسمى أيضا السلحفاة، المصدر نفسه، ص: 194.

[4] وهي تثنية الشرط، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] وهو المال من دراهم أو إبل أو غير ذلك، المصدر نفسه، ص: 24.

[6] زيادة تحدث في الجسد تتحرك إذا حُركت بلا ألم وقد تكون مثل حُمصة إلى بطيخة، المصدر نفسه، ص: 153-154.

[7] هي العوامل من الإبل والبقر والحمير، المصدر نفسه، ص: 24.

[8] الورق والورِق هو الدراهم المضروبة، المصدر نفسه، ص: 24.

[9] من طعام أهل الشام ولا واحد له هكذا قال الخليل، المصدر نفسه، ص: 158.

[10] منزلة من منازل القمر، المصدر نفسه، ص: 194.

مستقل، مما يجعل القارئ يتصور شبكة العلاقات التي تربط المفاهيم فيما بينها، ويتجلى ذلك في تقسيم المعجم إلى مقالتين:

1. المقالة الأولى: احتوت علوم العرب، وهي: الفقه، الكلام، النحو، الكتابة، الشعر والعروض، الأخبار.
2. المقالة الثانية: اشتملت على علوم العجم وهي: الفلسفة، المنطق، الطب، الأرثماطيقي (الحساب)، الهندسة، علم النجوم، الموسيقا، الحيل (الميكانيك)، الكيمياء، وكلّ علم يمثل بابا يتفرع إلى عدّة فصول كما في الجدول:

المقالة الأولى: علوم العرب		**المقالة الثانية: علوم العجم**	
الباب	**عدد الفصول**	**الباب**	**عدد الفصول**
في الفقه	أحد عشر فصلاً	في الفلسفة	ثلاثة فصول
في الكلام	سبعة فصول	في المنطق	تسعة فصول
في النحو	اثنا عشر فصلاً	في الطب	ثمانية فصول
في الكتابة	ثمانية فصول	في الأرثماطيقي	خمسة فصول
في الشعر والعروض	خمسة فصول	في الهندسة	أربعة فصول
في الأخبار	تسعة فصول	في علم النجوم	أربعة فصول
		في الموسيقى	ثلاثة فصول
		في الحيل	فصلان
		في الكيمياء	ثلاثة فصول

فكل فصل يشتمل على مجموعة من المصطلحات– تشكّل مجتمعةً مصطلحات ذلك العلم– يذكرها الخوارزمي بدون ترتيب، ومن ذلك مثلا الباب الثالث الذي خُصص للنحو، والذي تضمّن اثني عشر (12) فصلاً جاء توزيعها هكذا:

الفصول	**المحتوى**
الأول	في مبادئ النحو ووجوه الإعراب على مذهب النحويين عامة.
الثاني	في وجوه الإعراب وما يتبعها على ما يحكى عن الخليل بن أحمد

الثالث	في وجوه الإعراب على مذهب فلاسفة اليونان.
الرابع	في تنزيل الأسماء.
الخامس	في الوجوه التي ترفع بها الأسماء
السادس	في الوجوه التي تنصب بها الأسماء
السابع	في الوجوه التي تخفض بها الأسماء
الثامن	في الوجوه التي يتبع بها الاسم ما قبله في وجوه الإعراب
التاسع	في تنزيل الأفعال
العاشر	في الحروف التي تنصب الأفعال
الحادي عشر	في الحروف التي تجزم الأفعال
الثاني عشر	في النوادر

ففي الفصل الرابع مثلاً، أورد الخوارزمي عشرة مصطلحات هي: الاسم السالم المتمكن، الاسم المضاف، الاسم المعتل، الاسم المقصور، الاسم الممدود، الاسم المنقوص، ما لا ينصرف من الأسماء، الاسم المعدول، الأسماء المبهمة، الأسماء المضمرة[1].

د. التعريف: استعمل الخوارزمي ثلاثة أنماط من التعاريف لضبط المصطلحات:

1. التعريف اللغوي: ومن نماذجه:

أ. **التعريف الاشتقاقي (الإيثيمولوجي):** إذ يذكر الخوارزمي المصطلح ويحدد أصوله اللغوية، وتطوره، ومن ذلك:

- الفلسفة: "مشتقة من كلمة يونانية وهي فيلاسوفيا، وتفسيرها محبة الحكمة، فلما عُرِّبت قيل: فيلسوف ثمّ اشتقت الفلسفة منه"[2].
- الكيمياء: "وهو عربي واشتقاقه من كمى يكمي إذا ستر وأخفى، ويقال: كمى الشهادة يكميها إذا كتمها"[3].

---

[1] ينظر: الخوارزمي الكاتب، **مفاتيح العلوم**، ص: 57.

[2] المصدر نفسه، ص:127.

[3] المصدر نفسه، ص:225.

- الإصطرلاب: "معناه مقياس النجوم وهو باليونانية اصطرلابون. وأصطر هو النجم ولابون هو المرآة ومن ذلك قيل لعلم النجوم أصطرونوميا"[1].
- المربَّى: "هو أن يُربى الشيء كما يربى الصبي وأصله من ربا الشيء إذا انتفخ ونما"[2].

ب. التعريف بالمرادف: ومن أمثلته:

تُرمُسَة: قيراطان[3]، النارجيل: جوز الهند[4]، حب البلسان: هو المنشِم[5].

ج. التعريف باستعمال كلمة "معروف": ويأخذ ثلاثة أنماط:

1. النمط الأول: إيراد كلمة معروف فقط؛ مثل:

السُفتجة: معروفة [6]، التسجيع: "معروف لا يحتاج إلى إيراد مثال فيه"[7].

2. النمط الثاني: توظيف كلمة معروف مع إضافة الشرح، كما في مصطلحات:

القُوباء: "معروفة، وهي خلط غليظ يظهر إلى ظاهر الجلد ويأخذ فيه"[8].

الفالِج: "معروف، وهو استرخاء أحد الجانبين من الإنسان وقد فُلِج فلان إذا ذهب الحس والحركة عن بعض أعضائه"[9].

3. النمط الثالث: يكون بتمييز المصطلح مع بالإضافة إلى "معروف"، ولاسيما باب الطب، ومن ذلك: قاتل أبيه: "نبات معروف"[10]، رِجل الجراد: "بقلة معروفة"[1].

---

[1] المصدر نفسه، ص:205.

[2] المصدر نفسه، ص:164.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص:166.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص:157.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص: 161.

[6] المصدر نفسه، ص: 74.

[7] المصدر نفسه، ص: 81.

[8] المصدر نفسه، ص: 153.

[9] المصدر نفسه، ص: 154.

[10] المصدر نفسه، ص: 162.

2. التعريف المنطقي: ويجري توظيفه بقَدْرٍ كبير في الفلسفة والمنطق، ومنه:

- الجسم الطبيعي: "هو المتمكِّن الممانع المقاوم والقائم بالفعل في وقته ذلك، كهذا الحائط وهذا الجبل وذلك الإنسان"[2].
- القضية الموجبة: "التي تثبت شيئاً لشيء مثل قولك الإنسان الحي"[3].
- العلة الصورية: "معرفة ما الشيء"[4].

3. التعريف المصطلحي: ومن أشكاله:

أ. التعريف القصدي: ويسمي أيضاً التعريف بالتضمين؛ لأنّه يضمّن المفهوم المعرّف، فيجري التركيز فيه على المفهوم العامّ الأقرب، مضافاً إليه الخصائص المميّزة للمفهوم المراد تعريفه، ومن نماذجه:

- الطَرْفة: "أن تحدث في العين نقطة حمراء من ضربة أو غيرها"[5].
- النقطة: "شيء لا بُعد له من طول ولا عرض ولا عمق ولا تُدرك بالحس إلا مع الخط لأنّها نهايته، وأما على انفراد فإنّها لا تُدرك إلا بالوهم"[6].
- العنكبوت: "هي الشبكة التي عليها البروج والعظام من الكواكب الثابتة"[7].

ب. التعريف الامتدادي: ويهدف إلى تعيين الأنواع التي يحيل عليها المفهوم، كما يظهر في هذه المصطلحات:

- الأبعاد: "هي الطول والعرض والعمق"[8].

---

[1] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] المصدر نفسه، ص: 132.

[3] المصدر نفسه، ص: 140.

[4] المصدر نفسه، ص: 143.

[5] المصدر نفسه، ص: 155.

[6] المصدر نفسه، ص: 184.

[7] المصدر نفسه، ص: 205.

[8] المصدر نفسه، ص: 183.

– الخطوط: "ثلاثة مستقيم ومقوَّسٌ ومنحنٍ"[1].

– الأجساد: "هي الذهب والفضة والحديد والنحاس والأسرُبُّ والرصاص القلعيّ والخارصيني"[2].

ج. التعريف السياقي: وهو تعريف بمثال عن الاستعمال الفعلي للمفهوم، ومنه:

– الاسم المضاف: "نحو عبد الله وصاحب الفرس"[3].

– الإغراء: "كقولك: دونك زيداً وعليك عمراً"[4].

– الاستعارة: "في مثل قوله في وصف الليل:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

وليس لليل صلب ولا ردف ولا عجز ولا كلكل ولكنّه استعار هذه الألفاظ"[5].

6. إشكالات المعجم

ولما كان مفاتيح العلوم أوّل معجم موسوعي اصطلاحي، كان من البديهي أن تعترضه جملة من الإشكالات، منها:

أ. تداخل العلوم:

يتجلّى التداخل بوضوح في باب الكتابة الذي أورد فيه العديد من المصطلحات البلاغية والنقدية ضمن الفصل الثامن الخاص "بمواضعات كتّاب الرسائل"، فمن بين ما ورد من مصطلحات: التسجيع، الترصيع، المكافأة، الاستعارة، صحة المقابلات، المبالغة، المساواة، التكرير[6]، وهذا دليل قاطع على "عدم تمرّس المؤلف في علوم البلاغة وفن النقد الأدبي"[1]، ولكن

---

[1] المصدر نفسه، ص: 185.

[2] المصدر نفسه، ص: 226.

[3] المصدر نفسه، ص: 57.

[4] المصدر نفسه، ص: 65.

[5] المصدر نفسه، ص:97.

[6] المصدر نفسه، ص:132.

يبقى عمله– هذا– تصنيفاً لمصطلحات العلوم العربية مما يختصر على الباحث عناء البحث.

ولكن على العكس من ذلك، فإنّ العلوم الأعجمية جاءت مستقلةً في المعجم؛ فلم تتداخل مصطلحاتها، ولعل ذلك راجع لنضج هذه العلوم في بيئاتها الأصلية؛ بفعل تطوّرها عبر الزمن، بخلاف علوم العربية التي كانت – بعض علومها آنذاك– في طور التشكيل والتأسيس، كالبلاغة، والنقد.

ب. كثرة الاقتراض:

لجأ الخوارزمي إلى الاقتراض حينما أورد مصطلحات أعجمية للدلالة على المفاهيم الجديدة التي تتضمنها العلوم المستحدثة في العربية، على غرار الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات وغيرها.

تصادف قارئ مفاتيح العلوم – ولاسيما المقالة الثانية منه – مئات الألفاظ الأعجمية، من عدّة لغات، تأتي اليونانية في صدارتها، وإن كانت مسألة الاقتراض مقبولة لدى المترجمين الأوائل كما في أعمال حنين بن إسحاق (264هـ)؛ الذي استعمل في مجال طبّ العيون– مثلاً– نحو مئة وخمسين (150) مصطلحاً يونانياً[2]، فإنّ الأعمال اللاحقة– ومفاتيح العلوم واحد منها– ليس بحاجة إلى إيراد هذا الكمّ الهائل من المفردات المقترضة، مادامت لغة العلوم قد استحكمت واستقرت مصطلحاتها.

ج. الترتيب:

إذا كان الترتيب الخارجيّ في مفاتيح العلوم واضح المعالم، فإنّ ترتيب المصطلحات داخل العلم (الفصول) لا يخضع لأيّ نسق؛ فالخوارزمي يسرد مصطلحات الفصل بدون ترتيب واضح،

---

[1] بشير كحيل، **المصطلح البلاغي النقدي في مفاتيح العلوم للخوارزمي**، أعمال ملتقى"اللغة العربية والمصطلح"، 19-20 مايو 2002م، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عنابة، 2006م، ص:97.

[2] ينظر: عبد الصبور شاهين، **العربية لغة العلوم والتقنية**، القاهرة، دار الاعتصام، ط: 3، 1989م، ص: 144.

ومثال ذلك:

في **باب الفقه:** فصل البيع والشركة جاءت المصطلحات على هذا النحو: المصراة، بيع العرايا، بيع الغرر، بيع المُزابنة، المُحاقلة، المُخابرة، الكالِئ، النَّجَش، شركة عنان، شركة مفاوَضة، المقارَضة، المضارَبة، التفليس[1].

أمّا في **باب النحو:** فصل الوجوه التي تُنصب بها الأسماء، فذكرت المصطلحات هكذا: المفعول، خبر ما لم يُسَمَّ فاعلُه، خبر كان وأخواتها، المصدر، الظرف، التعجب، الحال، التمييز، الاستثناء، النفي بلا، النداء، المدح والذمّ[2].

فترتيب الفصول في العلوم العربية يخضع للتدرّج في المفاهيم؛ من المفاهيم الأساسية إلى المفاهيم الفرعية.

كما جاءت فصول العلوم الدخيلة على نفس النسق، باستثناء الفصل الأوّل من كلّ علم، الذي خُصص للتعريف بالعلم، أمّا باقي الفصول فتتوالى المصطلحات كيفما اتفق. من ذلك مثلاً علم الطب الذي جاءت فصوله على هذا النحو: في التشريح، في الأمراض والأدواء، في ذكر الأغذية، في الأدوية المفردة، في ذكر أدوية مشتبهة الأسماء، في ذكر الأدوية المركبة، في أوزان الأطباء ومكاييلهم، في النوادر[3].

ويبدو أنّ باب الهندسة خضع لترتيب واضح، فجاءت فصوله الأربعة مرتبةً ترتيباً منطقيّاً وفق هذا النحو: "في مقدمة هذه الصناعة، في الخطوط، في البسائط، في المجسّمات"[4].

في حين جاء ترتيب المصطلحات داخل الفصول عشوائيّاً؛ وبسبب هذه العشوائية يجد القارئ صعوبة في إيجاد المصطلح داخل الفصل؛ فللعثور على مصطلح ما قد يضطر الباحث أحيانا

---

[1] ينظر: الخوارزمي الكاتب، **مفاتيح العلوم**، ص: 28.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 59.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص:148.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص:180.

إلى قراءة الفصل بكماله.

ويتجلّى تشتت المصطلحات داخل الفصل بصورة واضحة في الطبّ، إذ تتوزع تسعة مصطلحات لأمراض تبتدئ بحرف السين على أربعة صفحات كاملة[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الترتيب لا ينقص من قيمة المعجم شيئاً، بل على العكس تماماً؛ فهو – في تلك الحقبة – مفيد لواضع المعجم من جهة، وفعّال للقارئ من جهة ثانية؛ لأنّه يُظهر الخصائص النسقية والوظيفيّة في الآن ذاته؛ وذلك بإيراد المصطلحات معرّفة داخل المجال العلمي.

ونستنتج مما سلف أنّ الخوارزمي وظّف– منذ القرن الهجري الرابع– ترتيباً شبيهاً بالترتيب المفهومي، يهدف إلى تمثيل مصطلحات المعجم بحسب علاقاتها المنطقية والوجودية القائمة بين المفاهيم، وهو ما تنادي به هيئات التقييس، ويسعى لتطبيقه علماء المصطلح في عصرنا.

خاتمـــة

وصفوة القول إنّ مفاتيح العلوم – على الرغم من إيجازه – يشكّل معجماً مهماً للعلوم التي ذكرها الخوارزمي في أبواب مصنّفه، إذ يصلح كل باب منها أن يكون معجماً متخصّصاً مستقلاً في مجال معرفي معين، وبخاصة المقالة الثانية منه؛ التي تبرز صورةً ناصعةً لتطور العلوم عند العرب في هذا العصر الذهبي، لذا وجب دراسته بتعمق والاستفادة منه في بناء منظومة مصطلحية أصيلة.

فضلاً على ذلك هو مصدر غني بالمصطلحات العلمية؛ إذ يزخر برصيد غزير ومتنوع، من شأنه تنمية رصيد المتخصّصين المحدثين في شتى العلوم؛ وذلك بإمدادهم بالمصطلحات التراثية الأصيلة، التي تحقق شروط الفصاحة والبيان، فالحاجة ماسة إذن للعودة إليه، واستثماره في

[1] السُعفة، السحج، السرطان، السلعة، السرسام، السكتة، السُبات، السلّ، سلس البول، ينظر: المصدر نفسه، ص:153،154،155،156.

وضع المصطلحات العلمية المستحدثة، حتّى يستطيع المتكلم العربي أن يحقق معادلة الأصالة والمعاصرة.

وختاماً، يمكن استخلاص أنّ أزمة الأمة العربية ليست أزمة مصطلحات، بقدر ما هي أزمة فكر؛ فمنذ القرن الهجري الرابع جمع الخوارزمي بين طيات معجمه المصطلحين، الأصيل والدخيل، جنباً لجنب، ولكن سرعان ما انسحبت المصطلحات المقترضة التي لا تنسجم مع قوانين العربية وضوابطها، وبالمقابل اندمجت عدة ألفاظ أعجمية في نسيج العربية، وذابت في بوتقتها، وصارت لبنة من لبنات بناء العلم؛ لأنّ الأمة العربية – آنذاك – كانت حاملةً لمشعل العلم، وقائدةً لقطار الحضارة.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1993م.
2. أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان أمين، القاهرة، الأنجلو مصرية، ط:3، 1968م.
3. أحمد مطلوب، بحوث لغوية، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط:1 ,1987م.
4. جمعية المعجمية العربية بتونس، ندوة المعجم العربي المختص، 17-19 أفريل 1993، أشرف على نشره: إبراهيم بن مراد، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 1، 1996م.
5. حلمي خليل، المولّد في العربية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط: 2، 1405هـ- 1985م.
6. حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2003م.
7. الخوارزمي الكاتب، مفاتيح العلوم، تحقيق: عبد الأمير الأعسم، بيروت، لبنان، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ط:1، 1428هـ-2008م.
8. عبد الأمير الأعسم، المصطلح الفلسفي عند العرب، بغداد، ط: 1، 1985م.
9. عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، القاهرة، دار الاعتصام، ط: 3، 1989م.
10. عبد الكريم خليفة، اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2003م.
11. علامات للنقد الأدبي، نادي جدة الأدبي، ج: 8، محرم 1414هـ- يونيو 1993م.
12. علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط:1، 2003م.
13. فايز الداية، معجم المصطلحات العلمية العربية للكندي والفارابي والخوارزمي وابن سينا والغزالي، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، دار الفكر، ط:1، 1410هـ- 1990م.
14. مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 6/5، السنة الثانية، حزيران يوليو، 1982م.
15. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد خاص" ندوة المعجم العربي"، 22-2001/10/25 م، المجلد 78، ج: 3، جمادى الأولى 1424هـ- تموز(يوليو) 2003م.
16. محمد حسن عبد العزيز، التعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربي، د ط، 1990م.
17. محمد حسن عبد العزيز، المصطلح العلمي عند العرب- تاريخه ومصادره ونظريته، دار الهاني للطباعة، 2000م.
18. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم وآخرون، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان، ط:1، 1996م.
19. ملتقى" اللغة العربية والمصطلح"، 19-20 مايو 2002م، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عنابة، 2006م.

الصـرف والمعجم

د. أحمد العلوي
رئيس اتحاد اللسانيين المغاربة
المغرب

(ملاحظة أولية: تتخذ كلمة الصرف هنا للدلالة على الأبحاث النحوية الخاصة بالأحكام الصواتية والأخرى المتعلقة ببناء الكلمة المفردة)

اعتقد المعجميون من العرب والمصطلحيون في ركابهم، منذ أن بدأت حركة تأليف المعاجم العامة والمصطلحية في القرن العشرين، أن الصرف العربي الموروث علم كامل وأنه لا نقص فيه. ولذلك فإن المصطلحات المقترحة والمفردات المضافة كانت على الدوام تغفل الجانب السماعي من الصرف – بحكم أنه لا تعرف معاني صوره أي صيغه أي معانيه الصيغية – أو تقيس (من التقييس) نوعاً من ذلك السماعي كما سيأتي بيانه وتنحصر، إن فارقت السماعي، في الجانب القياسي كما تقدم.

أما عند المحدثين فإن الدراسات التي قدموها لا تخلو من أحد أمرين:

1. فهي إما دراسات تسرق التطبيق الأجنبي وتدعى تطبيق النظرية اللغوية الحديثة– أي تأتي بنظرية لغوية غربية مطبقة على الإنجليزية غالباً ثم تبدل الامثلة الإنجليزية بأمثلة عربية. هذا نسميه تطبيق التطبيق أو سرقة التطبيق الأجنبي وهو الشائع في أغلب الدراسات اللغوية المنعوتة باللسانية في البلاد العربية. ولقد كتب لي أن كنت عضواً في لَجْنات الماجستير خلال عملي بالجامعة المغربية ورأيت أمثلة من ذلك اذكر منها أمثلة في ذيل هذا البحث.
2. وإما دراسات تعيد فصول الصرف العربي ولا تتعداه.

الملاحظ أن المعجمين والمصطلحيين وبعض المبرمجين يستطيبون الاستكانة لذلك. وعلى كل حال فالغالب على ممارساتهم أنهم يكتفون بالصيغ الشائعة القياسية وأحياناً بالصيغ المشتركة بين العربية والدوارج. والجامع في هذه المسألة طرد الصيغ السماعية من عالم الاصطلاح وخصوصاً الصيغ التي لا يذكر لها الصرف العربي عِلّة ولو كانت ثلاثية كرجل وسبع، ومنع استيلاد الألفاظ منها في المعجم العام بحكم سماعيتها. وهو طرد معروفة علته فالمصطلحي عالة في الصيغ على الصرفي وما لا علة له لا مكان له في عالمه.

من الأسباب التي جعلت المصطلحيين يقعون في هذه الورطة، ورطة الفقر الصرفي، إن الصرف العربي ليس كاملاً، وإنما هو في الحقيقة المحأولة الأولى في تحليل أنجزه الجيل الأول من النحاة – وهنا أقصد بهم الصرفيين لأنهم نحاة بالمعنى العام – ثم تبعتهم أجيال من بعد ترتب الفصول وتنظمها وتغني جانب الأمثلة ولكنها لا تضيف إلى التحليل الصرفي شيئاً ولا تغير بناءه ولا تسد ثغراته. ما كان سماعياً عند الجيل الأول ظل كذلك عند الأجيال من بعد وكأن السماعية صفة ثابتة. والحال أنها ليست إلا عجزاً من الجيل الأول عن معرفة العلل ولو عرفوها لوضعوا الأصول ولأدخلوا السماعي في القياسي أي لجعلوه قياسياً وعرفوا أسباب قياسيته. إنه عجز الرائد لا عَجْز المعتل المنتكس. عَجْزُ الجيل الأول الذي جعلهم يدخلون صيغاً في السماع ليس عجزاً انتقاصياً. ليس وصفهم بذلك ذمّاً لهم بل هو مدح لهم لأنهم ما عجزوا هنالك إلا وهم غير عاجزين في الجزء القياسي من صرفهم. اجتهدوا ولم يعرفوا وجه العلة في السماعي فتركوه في باب السماع ليستكمل النظر فيه من يأتي بعدهم ولكن لم يحدث ذلك فلم يأت أحد بعدهم لإتمام عملهم.

جاء الصرفيون بعلل صيغية لأنواع من الثلاثي ولأنواع من مزيد الثلاثي لكن لم يأتوا بعلل صيغية لما فوق الثلاثي أو للملحق بالثلاثي تساعد على التوليد منه.

ما العلة في وزن فيصل؟ ما معنى تلك الصيغة؟ لو عرف الصرفيون الأوائل المعنى الصيغي لأمكن للمعجميين والمصطلحيين اليوم أن يشتقوا كلمات من نوع (كيتب وهيتف وخيرج وديخل)

أو أن يشتقوا بعضها دون بعض لأسباب لها اتصال بالمعنى ومقتضياته أي لأسباب منطقية. مثلاً: لو قارنا بين (فاصل) على وزن فاعل – وهو أحد الأوزان الشائعة عند المصطلحيين اليوم لقياسيته الضاربة – وبين فيصل، ولو اجتهدنا لمعرفة الفرق الصيغي، ولو خرجنا عن أحكام الصرف الموروثة ثم ادعينا أن (فيصل وفاصل) هما معاً صيغتان مشتقتان من (فصل يفصل) وأن (فاصل) اسم فاعل عرضي وأن فيصل اسم فاعل ثابت، لو فعلنا ذلك لأمكن اشتقاق اسم الفاعل الثابت من بعض الأفعال ولامتنع الاشتقاق في أفعال أخرى. مثلاً يجوز العرضي والثابت في معنى الفصل وقد لا يجوز في معنى الكتابة، وقد يجوز في معنى الحكم ولا يجوز في معنى النوم، وقد يجوز في معنى الضرب ولا يجوز في غيره. ومن ذلك مثلاً {أحمر وحِمْير} فقد بين النحاة في الأبواب المتصلة بالصرف المدرَجة في النحو أن {أحمر} صيغة ذات معنى لا يقاس عليه فلا يقال {أفول وفولاء} فيما له لون الفول ولكنهم مع ذلك بيَّنوا معناها الصيغي فذكروا أن صيغة أفعل في الألوان تختلف في معناها عن صيغة أفعل التفضيل، وإن كانت مثلها لفظاً. لكنهم عند وقوفهم على {حِمْير} لم يذكروا لها أيَّ معنى صيغي واكتفى ذاكرو الكلمة بالإشارة إلى أن القبيلة المدعوة بذلك الاسم سميت به لقبابها الحمراء التي نعتت بها. لكن إن شئنا أن نجرب خطة لاكتشاف المعنى الصيغي لحمير جاز أن نقول إن صيغة فعيل تفيد بيان الحمرة المنتقلة بخلاف (أحمر) التي تفيد الحمرة الثابتة. لو ثبت هذا ومثله لجاز اشتقاق (خضير وزريق وبيض) الخ ولجاز في (فيصل) وغير ذلك من الصيغ التي جهل معناها الأقدمون. لقد جعلوها في السماع فضاعت قوتها الاشتقاقية وجرَّ ذلك على العربية فقدانَ كَمٍّ كبير من الكلمات والمعاني يفوق الكمّ الذي انقذه القياس منها، لولا نَفْيُهُم اياها إلى باب السماع. ولو اجتهدوا لمعرفة معانيها الصيغية لأمكن حينئذ اغناء المعجم العربي العام ومعجم المصطلح أيضاً بروافد جديدة وكثيرة ومتنامية، ولتغير نحوَ الاتساع وجهُ العربية بأشد من اتساعها الآن ولأمكن أن يضاف إلى الجانب المصطلحي والمعجمي غنى يمسح من صفحة الوجه المصطلحي العربي والمعجمي الفقر البين الملاحظ في الاكتفاء بالصيغ القياسية من فاعل ومفعول وفعل واستفعال وما شابهها، والواضح في توسيع مجال الصيغ القياسية بصورة مستهجنة وغير علمية، كما فعلوا في صيغ

{فعال وفاعل ومستفعل} إذ وسعوها لتشمل كل الأمراض والوسائل والأعراض والآلات.

لابد أن نشير هنا إلى أن النحاة الصرفيين وقفوا من الصيغ السماعية موقفين:

الأول الحكم بالسماعية دون معرفة بالعلة الصيغية وهذا الغالب على ما فوق الثلاثي كشعرور وجلمود وعنقود وما شابه

والثاني الحكم بالسماعية مع معرفة العلَّة الصيغية كحالهم مع صيغة فُعال كسُعال فإنهم جعلوها سماعية مع معرفتهم بعلتها الصيغية ألا وهي الدلالة على المرض. هذا حال القدماء من صرفيين ومعجميين. المصطلحيون في عهدنا، منذ عهد المجمعي الشهابي وبريادة منه، أفتَوا بتوسيع مجال هذا النوع من السماعي وأدخلوه في القياسي من الصيغ وحسناً فعلوا. لكنهم لم يبلغوا إلى الحد الذي يجعلهم يحررون الصرف والممارسة المصطلحية والمعجمية بالتبع من الفقر الذي يطبعه بغلبة الاحصاء السماعي على أنواع من الصور تمتد من الثلاثي نفسه إلى غيره من الاحجام في العربية. ولننظر مثلاً إلى الجهود التي بذلها مجمع دمشق في تقييس الصيغ السماعية باكتشاف معانيها الصيغية أحياناً أو بالحكم بذلك عمداً أو بنسبة معنى صيغي ضمناً إلى الألفاظ المولدة. نجده قَيَّس (فعلان) التي أحصى النحاة والصرفيون ألفاظها سماعيّاً ومَدَّ ذلك الوزن إلى كل الأفعال التي فيها معنى الاضطراب. ترتَّب على ذلك تجويزه مثل روذان ونوسان. وفعل مثل ذلك في تقييس الصيغة بالنسبة لألفاظ مثل ممعود ومزهور ومسكور، في معنى المصاب بمَعِدَته أو بالسُّكر أو بالزهري، وفى تقييس فعالة كـ (صبابة) فاشتق منها (كثافة). هذا كلُّه جميل. الحاصل في هذه الممارسات – التي أثنى عليها مصيباً الدكتور محمود السيد في كتابه عن قضايا التعريب ونسبها إلى السيد الشهابي – أنها قيست السماعي المعروف معناه الصيغي عند القدماء في أحوال، أو الذي استنبط معناه الصيغي (كما نظن) في (أفعولة)، أوما دعا إليه الشهابي من القياس على السماعي منها في أطروحة وأكذوبة وأكتوبة وأضروبة وأقصوصة.

لم يسبق هذه الممارسات الاصطلاحية الأصيلة من الشهابي ومجمع دمشق مشروع مراجعة جذرية للصرف العربي تتممه وتجعله قادراً على مساعدة الممارس المصطلحي وصانع المعاجم

{= المعجمات} بصورة سريعة ونافعة. السبب في هذه هو الحاجة المُلحَّة إلى وضع المصطلح والوقوف عنده مع الغفلة عن علاقة الأحكام الصرفية بالمعجم العربي وعناصره، وهو أيضاً اعتقاد الكمال في التحاليل الصرفية العربية الموروثة. ولذلك كان أهل المصطلح والمعجم من الشهابي والعلايلي في معجمه إلى غيره في مصر ودمشق يقدمون اقتراحات وجيهة ولكنها جزئية يكون لها أثر جزئي على المعجم العام والمصطلحي، ولكنها لا تمكن من استغلال الإمكانيات الصرفية العربية كلها المتروكة بسبب توقف البحث في المعاني الصيغية للأحجام والأوزان العربية بعد سيبويه والنحاة الأولين. لقد كانوا غافلين عما قدمناه من قبل حين أشرنا إلى أن الصرف العربي في صورته الموروثة عن الجيل الأول من النحاة إنما يقدم المحاولة الأولى والآخرة الأصيلة التي كانت تنتظر الإتمام الذي لم يتم، وأن تحرير المعجم العربي المقيد بالسماع إنما يتيسر إذا كان وراءه فكر صرفي متجدد يعيد محاولة الأصالة الأولى ويتم قائمة المعاني الصيغية التي لم يحددها الأقدمون. يؤكد ذلك أن التوسيع التقييسي، كالذي تقدمت الإشارة إليه، إن أضفناه إلى الصرف وسجلناه في فصوله فإنه لا يُذهب عن ذلك الصرف الثغراتِ السماعيةَ الباقيةَ وهي أكثر ظهوراً من القياسية ولا يزيل منه نهائياً الفقر التعميمي القياسي الأصولي الذي لن يزول إلا باكتشاف كل المعاني الصيغية أو الممكن اكتشافه منها. أضف إلى ذلك أن تلك الإضافة تستلزم تغييراً في أصول الصرف نفسه، إذ لا يمكن تجويز ذلك التقييس فيه قبل مراجعة وتغيير أصوله السماعية والقياسية. لكن تغيير تلك الاصول سيظل جزئياً لأنه لن يهم إلا الأحجام الثلاثية من الكلمات العربية ولا يمتد إلى كشف المعاني الصيغية لما فوق الثلاثي ولبعض الثلاثي السماعي كـ (رجل) وما شابهه.

مثلاً، دون أن نذهب إلى ما فوق الثلاثي:

لا نستطيع أن نعلم صرفيّاً لماذا لا يجوز أن نشتق {اكونتب} على وزن {افونعل} من الثلاثي المزيد بحرفين ولا نستطيع أن نبني عليه مصطلحاً لأننا لا نعلم معنى تلك الصيغة التي لو علمناها لجاز أن تُغْنينا عن المصطلحات المركبة من إضافية ونعتية وجملية التي نجدها في قاموس المصطلحات والمعاجم منذ أول القرن الماضي الهجري والشمسي. وفى المقابل نعلم

معنى صيغة {أفعل} كأحمر ونزعم أنها صيغة للألوان فلا نقول {اكتب} ولا {اخرج} ولا ما أشبه ذلك قياساً، حتى إذا علمنا لوناً جديداً وليكن لوناً كلون الفول اليابس جاز أن نقول {أفْوَل} إن أجزنا القياس في ذلك (وفي اللغويين القدماء من لا يجيزه كما لا يجيز القياس في فُعال للأمراض). وإنما جاز ذلك لمعرفتنا بالمعنى الصيغي. ولا نعلم أيضاً لماذا لا يقال {ضِريب} كـ{حِمير} على وزن {فعيل} لأننا لا نعرف المعنى الصيغي لفِعْيل حِمير. والأمثلة في الملحق بالثلاثي المزيد كثيرة. ولا نعلم كذلك المعاني الصيغية لـ {فِعال} ككتاب و{فَعَل} كوَرَق و{فَعِل} كَورِق بمعنى الفضة ولا {لفعل} كسبُع ورَجُل ولا لـ {فعل} إلا إن كان مصدراً ولا لـ {المفعلل} والقائمة طويلة. اكتفى الشهابي والرواد بالصيغ البينة الدلالة التي أشار الصرفيون إلى معناها الصيغي وحكموا بسماعيتها فأخرجوها من السماع إلى القياس ولم يعتنوا بالصيغ الأخرى التي هي في الحقيقة صيغ ميزانية مجهولة المعنى الصيغي في الصرف العربي القديم وليست مرتجلة كما زعم النحاة، بل إن القول بالارتجال إنما هو مَهْرب من مواجهة الاعتراف بالعجز عن اكتشاف المعنى الصيغي. {فعال} ككتاب مرتجل في ذلك الصرف وهو كـ {رجل} الذي على وزن {فعل} أي ليس مربوطاً اشتقاقياً بفعلي {كتب} وبـ {رجل}. وهذا في ظننا هروب من المشكلة. إن الطابع الاشتقاقي للعربية إنما يثبت ثبوتاً كلياً حين تعرف معانى الصيغ الصرفية كلها فحينئذ يمكن إقامة العلاقات الاشتقاقية كلها. أما الآن فالاشتقاق قائم بين {كتب وكاتب واستكتب} ولكنه غير قائم بين فعل {كتب} واسم {كتاب}. لقد بعدت هذه الصيغ عن أذهان المصطلحيين، ولم يقس عليها أهل المعجم، لأن الصرف لا يقدم لهم معاني صيغيةً تساعدهم على تزويجها بما يناسبها من ألفاظ في ممارساتهم المصطلحية، ولأن أهل المعجم محاصرون بالأحكام الصرفية التي تمنعهم من اشتقاق ألفاظ على وزن تلك الصيغ وتفرض عليهم الاكتفاء بما سمع منها وَنْقِلِهِ، بل إن الأحكام الصرفية تمنعهم أيضاً من الاشتقاق في صيغ عَرَفَ الصرفيون معناها:

لا يستطيعون مثلاً اشتقاق ترباء من التراب ولا قمحاء من القمح قياساً على حسناء المسموعة من الحُسن. للعرب أن يشتقوا عملاً بصيغ نعرف معناها كفعلاء وليس لنا أن نشتق مثلهم بتلك الصيغ وعلينا أن نحفظ ما عملوا وأن ننتهي عما لم يعملوا؟؟؟. كل ما تلبث في أيدي المعجميين

والمصطلحيين هو الاشتقاقات القياسية مما سُمي أحياناً بالاشتقاق الصغير أي الاشتقاق النحوي، وجزء صغير الحجم من الألفاظ الغالب عليها اشتراك الفصحى والدوارج فيها. وفى ظني أن ذلك مظهر أساسي في النشاط المصطلحي المعاصر، وأنه موروث عن طبيعة المعاجم القديمة المتبوعة بالمعاجم المعاصرة في الأمر الذي قصدناه: الفقر الصرفي وما يترتب عليه من فقر حجمي في ألفاظ المعاجم العامة والمصطلحية.

إنه فقر غير خاص بالمجال المعجمي والمصطلحي ولكنه عام لكل الممارسات اللغوية. ولننظر إلى أكبر صحيفة عربية ولنقارنها بصحيفة فرنسية متوسطة فإننا واجدون – بإحصاء الألفاظ في الصحيفتين – أن الفرنسية أكثر ألفاظاً وصيغاً. أعني أنها تستعمل من ألفاظ الفرنسية عدداً أكبر مما تستعمله الصحيفة العربية من ألفاظ العربية. والأمر يجاوز الصحافة إلى الأعمال الأدبية أيضاً. معجم الأدب العربي أقل ألفاظاً وأعني الأدب الحديث في القرن العشرين، لا أدب كبار الكتّاب القدماء كالعماد الأصبهاني وابن الخطيب والتوحيدي وغيرهم.

لكن لابد من أن نقيد ما قدمناه عن بقاء الصرف على حاله منذ العهد الأول في مجال المعاني الصيغية الضرورية لتسهيل الاصطلاح ولإغناء المعجم العربي. إن مجرد البحث في مجالات صرفية أخرى غير ميزانية ولا صيغية والتجديد في ذلك لا ينكر. ابن جنى وابن فارس جَدَّدا ولكن على هامش المعاني الصيغية وجَدَّد بعض المحدثين كالأب مرمرجي الدومنيكي بالنظرية الثنائية وفى الجامعات العربية على عهدنا أطروحات نوقشت في الصرف وتجديده كنتُ مشرفاً على بعضها أيام عملي في الجامعة المغربية، ولا تخلو الجامعات العربية الأخرى من مثل ذلك. لكن في هذه الأحوال ظل هيكل الصرف الميزاني الصيغي قائماً على صورته بكمالاته ونواقصه وبقياساته وسماعياته القديمة، وكلها تقود إلى الفقر المصطلحي والمعجمي. تصور كائناً مشلول اليد والرجل ولا يتحرك إلا بيد واحدة ورجل واحدة. كذلك حال المعجم العربي والمعاجم المصطلحية مادام جانب السماع غالباً فيها وما دام مقدار عظيم من صيغها مجهولاً معناه، وما دام بعض صيغها معلوم المعنى مقهوراً على العقم القياسي والاشتقاقي.

إن المعنى الصيغي واكتشافه في كل صور الكلمات العربية ضروري لإغناء المعجم وتمتين قوته التعبيرية وتوسيع مجاله الدلالي ولإنجاح عملية التعريب والترجمة، ولتمكين مستعملي العربية من التحرر من سجن الصور القياسية، ولتحرير العربية من مرض السماعية الذي يقدم لخصومها سلاحاً لا بُدَّ من إبطاله، سلاح اللامنطقية.

نحن بين أحد أمرين فإما أن نعترف بقيام معانٍ صيغيةٍ في كل الصيغ اللفظية العربية، وفي هذه الحالة علينا إتمام الجهود الصرفية للأقدمين باكتشاف ما خفي عنهم من المعاني الصيغية، وأن نوجب إدخال ما ناسب من تلك الصيغ في العمل المصطلحي وأن يضم معجم العربية العام الاشتقاقات التي توجبها المعرفة الجديدة بمعاني تلك الصيغ، وإما أن نتخلص من تلك الصيغ فنتخلص من الحاجة إلى اكتشاف معانيها الصيغية، ونقيم مصطلحاتنا على أيِّ صورة كانت ونظل متورطين في الفقر المعجمي والمصطلحي.

الحالة السيبويهية

لا يُعنَى سيبويه– جامع تراث الجيل الأول– بذكر المعنى الصيغي في كل الأحوال، وما جاء عليه من معانٍ صيغية هي التي بقيت متوارثة في الأجيال من بعده. مثال ذلك نجده مُفَرَّقاً في كتابه، لكن نضرب هنا بعض الأمثلة لتكون دليلاً على بعض ما سقناه. عند ذكره لما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة، أي من الثلاثي يذكر حال زيادة الالف ويعنى بذلك الهمزة ويمثل لذلك بافكل وأيدع وأبيض وأثمد وأصبع وغيرها، لكن لا نراه يذكر المعنى الصيغي لهذه الصور. هي دون شك مرتجلة في ظنِّه أو ظَنَّها مرتجلة لأنه لم يجد لها أصلاً اشتقاقياً يبني عليه اكتشاف المعنى الصيغي فيها. ولولا أنه علم {خرج} وقارنها بـ {أخرج} وقارنها بأسرتها الاشتقاقية لما اضطر إلى القول باللزوم والتعدي والاستفعال في أبواب من كتابه. هل ينبغي أن نعيد موقف سيبويه أم هل يجب أن نتابع البحث عن المعاني الصيغية لمثل هذه الموازين؟ يبدو أنه من الواجب إكمال عمل سيبويه في جهات من كتابه من أجل تسهيل عملية وضع المصطلح وتوسيع قاعدة المعجم العربي. لا نقول ذلك من باب التغطرس على الأقدمين بادعاء أنهم لم يكونوا

عالمين بذلك. لا. كل ما نتجه إليه هو أنهم لم يكملوا بعض الجوانب في تحليله وتحليل جيله وما قبل جيله. يجب إذن إتمام عمل سيبويه في أبواب مثل باب "ما لحقته الزوائد من الثلاثي من غير الفعل: وما بعده.

قد يقال: أيجب أن نعرف المعنى الصيغي لإفعيل في نحو إخريط وإكليل وإصليت وإجفيل وإخليج "الناقة المختلجة عن أمها"؟ الجواب سؤال آخر:

أليس ذلك ضرورياً لوضع المصطلحات؟ ما مقدار الخسارة التي يتكبدها المعجمي والمصطلحي في علم الوراثة أو الصيدلة أو الطب ونحن نقدم إليه عربية لا نعرف معنى معظم صورها اللفظية؟ سيكتفى بالصيغ العربية الدارجة في الصحافة وهي قليلة لإنها تناسب أو تشابه الصيغ التي احتفظت بها الدوارج العربية بل تَقِلُّ عنها عدداً وسينتهى الأمر إلى الغموض لأنه مع قلَّة الصيغ المقدمة إليه سيحمِّل الصيغة الواحدة معانيَ في علوم مختلفة، بل ربما حمَّل الصيغة الواحدة القياسية كفاعل ومفعول ومستفعل معاني تتنافى كلها مع معانيها الصيغية لعجزه عن معرفة صيغ أخرى مناسبة. ترى ذلك في استعمال المصطلحيين تلك الصيغ القياسية للدلالة على الفاعل غير العاقل الميكانيكي أو الأتوماتيكي أو الجامد، والحال أنها أصلاً ذات معنى صيغي معروف هو الفاعل العاقل. ولنا في المعجمات العلومية التي قدمتها مؤسسات أو أفراد دليل على ذلك فلو أحصينا الألفاظ ذات الصور الواحدة المشتركة بين تلك المعاجم لوجدنا طائفة معتبرة، وذلك دليل فقر لا سبب له إلا وقوف المصطلحيين والمعجميين عند صيغ واحدة وحمل المعاني عليها وإن كان حقها أن تحمل على غيرها من الصيغ المسجونة في السماع. وأحياناً يلجأ، من أجل الفرار من الغموض، إلى الجمل أو النعوت أو الإضافات أو اللفظ الأجنبي نفسه.

إن المصطلحي والمعجمي محتاجان إلى المادة اللغوية ولكنهما محتاجان أيضاً إلى صورها. المادة اللغوية تقدم إليهما المعنى الخاص والصورة أو الصيغة تقدم له المعنى الصيغي أو المعنى المنطقي وبذلك يجدان نفسيهما أمام حقل ثري من الصيغ تعفيهما من الوسائل العبارية التي يلجأان إليها أحياناً للتوضيح، وترفع عنهما تهمة الوقوع العبثي في المشترك اللفظي الذي نلحظه

حين يقرران كلمة واحدة ذات صيغة واحدة لِمَعانٍ مختلفة في علوم مختلفة. معجمُ اللغة معانٍ وصيغٌ ولئن تعددت المعاني تعدداً عظيماً فإنها تزداد تعدداً وعظمة وثراء حين يحترم المعجمي والمصطلحي منطقها الخاص، ويكون عارفاً به. وما منطقها إلا صيغها ومعاني صيغها في المفرد من أحوالها، كما أن منطقها الخاص يظهر أيضاً في المؤلف من أحوالها مما يدرسه النحو.

لنعد إلى سيبويه

لو عرف المعنى الصيغي لإفعيل وما شابهها لأمكن اشتقاق كلمات على ميزانها يفتقر إليها في المصطلح العلمي العربي فنكون أضفنا إلى الأسلحة التي يستعملها المصطلحي معنى منطقياً {صيغياً} جديداً. ما فائدة الألفاظ للمصطلحي إن لم تكن مصاحبة بالصياغة الدالة على المعاني الصيغية أو المنطقية؟ ليس في العربية القديمة ولا الحديثة {إكتيب} ولا {إخريج} ولا {إدخيل} ولا {إكميل}. ولا ندرى الموجبات المنطقية التي تسمح بصياغة {س} من المادة اللغوية الفلانية على هذه الصورة ولا التي تمنع ذلك لأننا لا نعرف المعنى الصيغي لذلك الوزن. تهيئة العربية لعالم العلوم يستوجب قيام تلك الدراية وبدونها تظل المصطلحات والمعاجم العربية فاقدة للدقة ومشتركة غامضة لدلالتها على معانٍ مختلفة في علوم متباعدة.

الحقيقة أن ما عمله سيبويه اعظم مما يتحمله كاهل فرد واحد، فلقد أحصى وأجاد وفتح طريق الصرف ومهد طرقه ولكنه لم يَدَّعِ هو وجيله إنهم بلغوا الغاية القصوى في كل شيء وأن على من بعدهم أن يقفوا حيث وقفوا.

إن القول بالارتجال– مما لم يصرح بارتجاليته سيبويه في باب الزيادات الصرفية– في صيغ مثل {افعول} و{افعيل} و{فعل} كرجل يتناقض مع أصول قررها سيبويه نفسه. كيف؟ هناك صيغ قرر سيبويه أنها لا قيام لها في العربية إذ قال "وليس في الكلام افعيل بفتح الألِف وتسكين الفاء وكسر العين ولا أَفعول بفتح الالف وتسكين الفاء وفتح العين ولا افاعل بضم الألف وكسر العين ولا افعيل بفتح الألف وضم الفاء". إن كانت هذه الأوزان ممتنعة – وهي كذلك – فذلك دليل على

أن الأوزان غير الممتنعة تحمل معنى منطقياً أي صيغياً وإلا لما كان هناك من موجب لمنع هذا وتجويز ذاك في العربية. بعبارة أخرى نَدَّعي أن الأوزان الممتنعة استُغِني عنها لاكتمال المعاني الصيغية المنطقية في الأوزان القائمة.

إن الذي يؤكد أن ظن الارتجال الذي نسبناه إلى سيبويه هو مجرد ظنٌّ في حقه – لا في حق من صرحوا به من النحاة اللاحقين – هو أنه لا يفرق في إحصاءاته بين الأوزان التي يُعرف عنده معناها الصيغي وبين الأوزان التي لا يَذكر لها معنىً صيغياً. ولننظر مثلاً في حديثه عن الألِف التي تلحق ثانية فإنه هناك يجمع في الإحصاء بين {كاهل وغارب وساعد} مما لا يحمل معنى الفاعلية وبين {ضارب وقاتل وجالس} وهي كلها مشتقة معلومة المعنى الصيغي ألا وهو الفاعلية.

سيبويه وجِيُله نظروا في العربية ولم يزعموا أنهم أحاطوا بها علماً واستمدوا أحكامهم من النصوص التي كانت بين أيديهم وعلى جيلنا إتمام عملهم من الجانب الصيغي. وليس في هذا تَجَنٍّ على الأجيال الوسطى فقد أحسنت في غير ذلك ونظّمت وفصّلت ووضّحت ولكل مُحسِنٍ نصيب. "سيبويه 249.4"

ما فوق الثلاثى والصيغ المنفية

تقدم لنا في الفقرة السالفة الإشارة إلى أن الثلاثي منه ما عُلم معناه الصيغي في الصرف العربي، ومنه ما لم يعلم فُضمَّ إلى المرتجل كـ {رجل}، ومنه المزيد الذي علم معناه الصيغي كـ {اخرج وادخل}، ومنه الملحق كـ {سيطر} الذي لم يعلم منه ذلك.

{رجل وباب} هما، صرفياً، كلمتان سماعيتان غير مشتقتين صرفيّاً. إذن مرتجلتان. دع هنا أبحاث ابن فارس وابن جني اللذين اتجها إلى البحث عن طرق التقريب بين هذه الألفاظ وبين أصول اشتقاقية. غرضنا هنا الصرف بمعناه الدقيق لا الاجتهادات الجانبية. غرضنا الصرف الممثل في الجزء الرابع من كتاب سيبويه وفى أعمال المازني وابن جني في الملوكي وكتب بحرق اليمنى وما شابهها. ومع ذلك فإن مشكلات تطرح في الثلاثي لم نشأ الإثقال بها وتجعل جزءاً منه

سماعيّاً إحصائياً. نحن هنا لا نستوجب معرفة كل المعاني الصيغية في الثلاثي، فهو يطرح صعوبات أعظم مما يواجهنا في الخماسي مثلاً. ويكفى أن نتذكر هنا حركة عين الفعل الثلاثي والاختلاف فيها وكثرة الأفعال الثلاثية في العربية وما يؤدى إليه ذلك من صعوبات في أمر اكتشاف المعاني الصيغية. إنما ندعو إلى إدخال مناطق مهملة صيغياً في الصرف العربي ومطرودة إلى السماع. وهي في ظننا أشد اخصاباً للمجال المصطلحي والمعجمي من غيرها لما تمتاز به من ترابط تراكمي وتزايدي وتتابعي بين أجزائها يقترب مما نراه في الطابع التتابعي للكلمات في اللغات الغربية.

ومن المعلوم أن الغالب على المصطلح العربي على عهدنا هو كما قلنا الجانب القياسي في الصرف العربي وهو جانب أمثلته اللفظية غير تتابعية أي تكسيرية كـ {مكتوب} من {كتب} ولا يمثل إلا جزءاً صغيراً من طائفة الألفاظ التكسيرية إذ لا يدخل فيه المرتجل وما أشبهه كـ {رجل} و{سبع}. نجد، مثلاً، في المصطلحات المقترحة في المجلدات التي أصدرها مكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع لجامعة الدول العربية، النعوت المحولة إلى اسماء والتراكيب الاضافية وذلك من دلالات الفقر الصرفي الذي من أسبابه الأساسية بِنية علم الصرف العربي وما فيه من طرد إصراري للصيغ الخماسية والسداسية إلى باب السماع العقيم ظلماً. ونجد فيها الأفعال والانفعال والإفعالة كالإباضة والفعالية كالأحادية والمفعل كالمورث والافتعال وما عرف معناه الصيغي على وجه التقريب أو وُسِّع بالتوليد كالمورث. ألم يكن من الممكن لو عرفت معانى الذيول والرؤوس في الكلمات العربية المنفية أن ننجي العربية من الفقر الذي يلاحظ في إدخال كلمة (المورث) إلى علم الوراثة ليدل على غير عاقل؟ أما كان البحث الصرفي قادراً على الإتيان بصيغة للوراثة تفصل المورث العاقل عن المورث غير العاقل؟ كان قادراً لو لم يَئْفِ الصيغ السماعية ولو اشتغل بالبحث في معانى الذيول والرؤوس الكلمية.

ويلاحظ في هذا الباب أن هذه الصيغ المنفية التي لم يبحث عن معانيها الصيغية توارت في الاستعمال اللغوى حتى صارت من جملة المحفوظات التي يتفاخر طلبة الصرف وعلماؤه باستحضارها غيباً. ومع ذلك فلا ننكر أن النحاة العرب بذلوا جهداً في اكتشاف بعض المعاني

الصيغية للذيول في بعض الصيغ وضمها إلى النحو وأخرجوها من الصرف وذلك مثل تاء المبالغة في {علامة} والألف والنون في {سكران} و{نسوان} ومثل المقصور والممدود بل إنهم أوفدوا إلى النحو والقياس ألفاظاً أخرى ذات رؤوس لا ذيول كالاستفعال والإنفعال. لكن علينا أن نعترف بأن مثل هذه الصيغ هي وسط بين الصيغ القياسية المعروفة المعنى كالفعل والفاعلية والمفعولية وبين الصيغ السماعية المنفية من القياس كعنقود وجلمود وشعرور إلخ وإنها تجمع إلى الزيادة الذيلية أو الرأسية الصفة التكسيرية.

أما في عهدنا فقد يحتج بالاستثقال إذ يزعم أنها على غير جمال الصيغ القياسية. وهنا نلحظ في عبارة خصوم هذه الصيغ ظلماً للعربية، فإن جملة ما يُعرَّب من الألفاظ الأجنبية بل إن أغلب الألفاظ في لغة مثل الفرنسية هي على مثال الألفاظ الخماسية والسداسية، فلو جاز استثقال ألفاظ من صيغة عنقود وجلمود ومنع العمل بصيغها في الاصطلاح لكان أوجب أن يعمل مثل ذلك في المعرب. مثلاً: ألفاظ مثل خنزير وشعرور هي سماعية ولم يسبق أن بُنِيَ على مثلها في القديم ولا يبنى عليها الآن في المصطلحات المقترحة فرديّاً أو مؤسسيّاً للأسباب التي اشرنا إليها من قبل ولسبب الاستثقال. لكن ما العمل مع الاكسجين والهيدروجين وما شابهها مما عُرِّب ومما يجب أن يدخل في خانة القبيح الصيغي إن عملنا بالمعايير التي أُبعد بها ما فوق الثلاثي في الممارسة الاصطلاحية العربية؟ قد يقال: إن هذه اللغات الأجنبية لغات غير ميزانية ولا اشتقاقية. والجواب: إن هذا الاعتراض اعتراض غير محترف فكل اللغات فيها جانب من الاشتقاق وكل اللغات يجوز فيها تطبيق النظرية الصرفية العربية. ولقد جرّبتُ شخصياً تطبيق مفاهيم الزيادة والأصالة على الفرنسية وإحصاء الموازين فيها والمعاني التحويلية من قلبٍ وإبدال فوجدتها لا تأبى ذلك. إذن كيف يكون {فعلول} و{فعليل} ثقيلاً ولا يكون {فعلولين} و{افعلين} المقابلين لـ {هدروجين} و{اكسجين} مثلهما في الثقل حكماً. الحاصل أننا نعترض على بعض أوزان العربية بدعوى الثقل ولا نعترض على أثقل منها – إنْ صحت دعوى الثقل – في المستورد المعرب. ولنذكر هنا مارّين الأوزان التالية التي استخرجناها من معجم للوراثة لنؤكد ما سقناه هنا: {افيعول} وزناً لـ {ابيسوم} و{فعيلين} وزناً لـ {اثيلين} و{افيعولين} وزناً لـ {ادينوزين} و{افاعيلين} وزناً لـ

{ازاسيرين} و{افعلولين} وزناً لـ {استروجين} و{الفعولول} وزناً لـ {جلوكوز} و{الافعولين} وزناً لـ {لالبومين} و{الافعلولين} لـ {الاندروجين}. أليست هذه الأوزان المستوردة أقبح بكثير من {فعلول} كشعرور بل أقبح من القبح نفسه؟ هذا إن صحّ أن {شعرور} صيغة قبيحة وهي ليست كذلك وهي على كل حال أخف من كل المعرب المستورد.

إن دعوى الثقل التي تسقط بالدليل المتقدم إنما تقوى في الأوساط الصرفية والاصطلاحية والمعجمية بسبب الجهل بِبِنية تلك الصيغ. الصرف العربي يعد {خنزير} من باب {فعليل} ويعد {عنقود} من باب {فعلول} مع {شعرور وجلمود} وينتهي الأمر عند ذلك.

الحقيقة أن هذا النوع من الكلمات مؤلف على طريقة غير طريقة الصيغ القياسية الميزانية، وأنه عبارة عن راديكال وذيل كالحال في الكلمة الفرنسية {كنسومطور} {consommateur}.

لو علمنا معنى {أور} و{أود} و{اير} الصيغي في الكلمات العربية المذكورة آنفاً، ومعنى مئات الذيول الواردة في امثلة كتب الصرف وفى كتاب سيبويه خصوصاً لتحول وجه الصرف العربي ولتحول معه وجه الممارسة المصطلحية والمعجمية ولزال كثير من العسر الملاحظ في وضع المصطلحات ولاغْتَنت المعاجم بألفاظ كثيرة تحمل معانيَ جديدةً وتعزز القوة التعيينية والدلالية للغة العربية.

لماذا؟ لأن الابتكار المصطلحي والإثراء المعجمي عن طريق ألفاظ تتابعية التركيب أسهل من البحث عن مصطلحات بالوقوف عند صيغ تكسيرية ميزانية، وأيسر من البحث عن كلمات مناسبة في المعجم العربي العام بواسطة الاشتقاق الميزاني المنحصر في صيغ الثلاثي المزيد والمجرد وشيء قليل من الرباعي.

إن الأغلبية القياسية التي تمثلها هذه الصيغ في العربية ليست حقيقية وإنما فرضتها النظرية الصرفية العربية القديمة. وإن بحثاً في المعاني الصيغية للذيول في الألفاظ المدعوة بالخماسية وفي ما فوقها – وهي ذيول كثيرة تكاد تربو على المئة – نهايته، بالتأكيد، تحويل نسبة الأغلبية القياسية إلى هذه الصيغ السماعية. لنفترض أن {فعليل} في {خنزير} وزنها {فعلير} لا {فعليل}

كما يقول النحاة العرب وأن {إير} ذيل وأن معناه الصيغي ثبوت ودوام المعنى القائم في الجذر السابق. حينئذ تصيح الصيغة قياسية ويمكن الفصل بينها وبين {خانز} فيكون المعنى في صيغة {فاعل} هو معنى الخنز العرضي (أي التعفن العرضي) ويكون المعنى في {فعلير} هو معنى الخنز الثابت. وفي هذه الحالة يمكن بسهولة بناء صيغ كثيرة على صورة {فعلير} كـ {عطرير} صفة للموصوف بالعطر الثابت و{جملير} و{قبحير} صفة للموصوف بالجمال الثابت. وذلك من كل الجذور الدالة على الروائح والمشمومات والمرئيات وكل الأعراض التي يجوز فيها الحكم بالتحول والثبوت. ويمتنع في هذه الحالة أيضاً بناء صيغ مثل {كلمير} إنْ حكمنا بأن الكلام مما لا يجوز فيه الثبوت والدوام. وبالمثل يمكن اشتقاق {كتبور} على مثال {شعرور} ولا يمكن اشتقاق {خنزور} لأن {أور} خاصة بالمفهومات كما أن {اير} خاصة بالمحسوسات. ولا يمكن أيضاً اشتقاق {كتبود} على مثال {عنقود} و{جلمود} ولا اشتقاق {كتبير} على مثال {خنزير}. ولكن يمكن اشتقاق {شجرود} قياساً على {عنقود} لأن {أود} معناه الصيغي التشابك والتعانق، وهو البين في {جلمود} أيضاً. وعلى كل فهذه الأحوال كلها تقع في منطقة من البحث اللغوي واقعة بين البحث اللفظي وبين البحث المنطقي. لذلك قد يختلف واضعو الكلمات الجديدة من هذا النوع التي شأنها أن تضاف إلى المعجم وتستغل في وضع المصطلح، وذلك بحسب اختلاف أحكامهم المنطقية أي بحسب اختلافهم في إدراك العالم واختلافهم في نوع وعدد الألفاظ وروابطها الاستلزامية المتصلة بتسمية العالم الخارجي وعالمهم النفسي.

إن الغرض هو أن اكتشاف المعاني الصيغية لهذه الذيول أوجبُ واجبات الصرف اليوم وهو الباب الذي يقدم للمصطلحيين وللمعجميين وسائل جديدة أشدَّ إنتاجاً في باب إنشاء الألفاظ الجديدة وإغناء المعجم العربي من الوسائل الممثلة في الافتعال والاستفعال والانفعال وغيرها من الصور القياسية. والغرض أيضاً أن ينتبه إلى أن الاقتصار على الصور القياسية المستعملة عادة في وضع المصطلح وفي وضع المعاجم كان ذا دور إفقاري للعربية ومعجمها العام والخاص. إن الإعراض عن الألفاظ الذيلية أي الخماسية وما فوقها والجهل المتعمد بالمعاني الصيغية لذيولها هو في الحقيقة تنازل اختياري عن ثروة لغوية عظيمة واسهام عن غفلة في إفقار العربية ظلماً.

الأسباب

أحكام النحاة الصرفيين التي افضت إلى تهميش الكلمات ذات البنيات التتابعية وإلى سيطرة الثلاثي على الفكر العربي كله لها أسباب عملية. هذه الأسباب لها اتصال بحجم المعرفة اللغوية التي تيسَّرت للقدماء أي بمعجم العربية كما عرفوه. أقصد بالمعرفة اللغوية أمرين: الأول نوع المعجم الذي اعتمدوه في الصرف. هو معجم قائم في علاقة جدلية مع الصرف نفسه فألفاظ المعجم يحدد كلميتها ومفرديتها الصرف. ولكن الصرف أيضاً يعمل في حدود الألفاظ التي يقدمها المعجم. الثاني هو اعتبارهم العربية عِلماً عربيّاً يجمع كما يجمع الحديث. نذكر هنا قولة الشافعي الذي ذكر في رسالته أن العربية واسعة ولا يحيط بها أحد من اللغويين وهو يقصد دون شك المعجم وأحكام الكلم. لقد كان اللجوء إلى القول بسماعية الخماسي وما فوقه مما ذكرنا أمثلة عنه من قَبل، ممارسة مشتقة منطقيّاً من قولهم بعلمية العربية. مادامت العربية علماً خاصاً بالعرب فليس عيباً أن يجعلوا أكثر كلمات هذه اللغة موروثاً سماعياً وأن يكتفوا بما قام عندهم الدليل على قياسيته. كانت أحكام العرب وأحكام الشارع أمرين متقاربين فما لم تُعرف عِلَّته أُخذ به على صورته وحُفِظ حفظاً.

نكتفى هنا بضرب أمثلة دالّة.

الخماسي المجرد مثل {شمردل} و{فرزدق} و{سفرجل} و{همرجل} و{جنعدل} ما كان ليكون خماسيّاً مجرداً لو علم الصرفيون في متنهم اللغوي، أي في معجم العربية الذي اعتمدوه، الكلمات التالية:

شمرد وفرزد وسفرج وجنعد.

لو ضَمَّ المعجم العربي الذي اتخذوه مرجعاً مثلها لقالوا باللواحق ولبحثوا عن المعاني الصيغية للصورة ولاضطروا إلى تعديل نظريتهم في الأصالة والزيادة.

قد يقال: ولماذا لم يكتفوا بملاحظة كلمات قريبة مما في متنهم مثل شمر وفرز وسفر؟

إن الجواب هو أنهم مضطرون في هذه الحالة إلى تعديلٍ أعظم في نظرية الزيادة والأصالة

وإلى إضافة صعوبة جديدة هي الخروج إلى القول بنحت هذا الصنف من الكلمات. وهذا الخروج يَجرُّ عليهم إعادة النظر مجدّداً في النظرية الصرفية كلها. لنجرّب أن نقول نحن إنَّ هذا الصنف من الكلمات مؤلف من أصل وذيل وإنَّ الذيل هو {أل} وإنَّ هذا الذيل يفيد المعنى الصيغي الذي هو المشابهة. في هذه الحالة يكون معنى {شمردل} هو {الذي يشبه الشمرد} وقِسْ على ذلك الأمثلة الأخرى ثم يكون لك من بعد أن تولد ألفاظاً جديدة تغنيك عن الاصطلاح بجملةٍ أو نعتٍ أو إضافة.

قلنا إن المعنى قد يكون هنا هو المشابهة وما قلنا ذلك إلا لعلمنا بمعنى الجزء من بعض الكلمات كـ {جنعدل}. {الجنعد} نوع من السمك معروف في عُمان، وهو لفظٌ موجود في لهجة أهل عُمان وعرفته أيام مقامي في بلدهم. ولكنهم لا يعرفون {جنعدل} المحفوظة في كتب اللغة. والغالب على الظن أن الجهات التي نقل منها معجم العربية التي اعتمده الصرفيون لم يكن من معجمها {جنعد}. ولكن كان فيها جنعدل. لماذا؟ لأن الممارسة اللغوية للسان الواحد لا تضم في المكان الواحد وعند الشخص الواحد وعند الزمرة الواحدة كل الصور الصرفية. نلاحظ ذلك في الدوارج العربية. كلمة {الوقيد} التي تعني في الدارجة المغربية ما يدعى بعود الثقاب في الشرق منفردة وليس بجنبها في لهجة أهل فاس العربية الدارجة شيء مشتق منها، ولكننا قد نجد لها غير ذلك من التصرف في مناطق أخرى. وكلمة {خبز} ليس بجنبها في العربية الدارجة بفاس شيء مشتق منها أيضاً، ولكنك تجد مشتقاتها في جهات أخرى من المغرب، والأمثلة من هذا لا تحصى. إن ما قلناه عن {جنعدل} يجوز أن يقال مثله عن {نوفل}. {نوفل} رباعي مجرد في الصرف العربي ومجهول المعنى الصيغي لكنه بالمعنى الذي أشرنا إليه ليس إلا معادلاً لقولنا {الشبيه بنوف}. وفي هذه الحالة يصير ثلاثياً مزيداً بحرفين إنْ راعينا الكتابة الدقيقة أو بحرف إن راعينا الكتابة العربية، لا رباعياً مجرَّداً مرتجلاً. لكن إن أدخلنا هذا القول عن {نوفل وكنعدل} في الصرف العربي فإنه ينهار أو يتفجر ويتطاير شذر مذر. لماذا؟ لأن ذلك يتنافى مع شروط الزيادة كما أحصاها ذلك الصرف فزيادة الحرف على الثلاثي لا تقع عندهم في ذيله. وما نقوله هنا عن الخماسي المجرد {فعلل} كـ {كنعدل} نقوله عن الثلاثى الملحق كـ {عثوثل}. جعلوه ثلاثياً

ملحقاً بالخماسي لأنهم لم يجدوا في المعجم العربي كلمة ذات معنى على صورة {عثو}. وفعلوا مثل ذلك بـ {جدول} فألحقوه بالرباعي المجرد لأنهم لم يجدوا في المعجم العربي كلمة ذات معنى مثل {جدو}، ونقوله أيضاً عن الكلمة {السجنجل} الخماسية المعروفة في الشعر الجاهلي.

لكنني أزعم أن معجمهم العربي، الذي هو معجمنا حتى وقتنا هذا وسيظل معجم مَن بَعَدنا إنْ أُهملت الملاحظات التي أرسمها هنا، لا ينبغي أن يصدَّنا عن متابعة البحث في الموضوع. وينبغي أن لا يصدنا غياب تلك الأصول من معجمهم عن العمل لقيام معجم عربي جديد يستدخل هذه الملاحظات ويضيف إلى العربية مئات الكلمات واللواحق والصيغ التتابعية التي غفلت عنها النظرية العربية القديمة، وعن البحث عن المعاني الصيغية للذيول كما فعلت هنا مقتصراً على بعض الامثلة لا مستقصياً.

لكن ينبغي أن لا يختلط علينا أمر الذيول الحقيقية بذيول متوهمة فإن (يربوع ويعقوب) وما شابهها صيغ لا ذيل فيها وإن ظنَّ ظانٌّ متحمّس بها ذلك. إنما هي صيغة {يفعول} الواقعة تحت أحكام الصرف القديم

إن الذيول بالمعنى الذي ذكرت هنا وللأسباب التي بينت كثيرة في العربية، ولئن أشرتُ إلى بعض المعاني الصيغية أو المنطقية لذيول بعينها، فإن ما لم أُشِر إليه لا تتسع له هذه الورقة، وأغلب الظن والملاحظة إنها تبلغ المئة ذيل. ولنتخيل أننا كشفنا عن معانيها الصيغية المنطقية. لو فعلنا لقدمنا للمصطلحيين وللمعجميين خدمة تسهل عليهم عملهم تسهيلاً لم يتقدم له مثيل. وهذه قائمة خفيفة ببعضها:

{اس} بكسر الألف في مثل {قهبلس}.

{أس} بضم الالف في مثل {سندس}.

{رق} بفتح الراء في مثل {استبرق}.

{بيل} في مثل {سلسبيل} و{ابابيل}

{اب} في مثل {زينب} مع ملاحظة أنها عند الصرفيين ثلاثي ملحق بالرباعي المجرد كـ

{جعفر} وأن الزيادة فيها غير قياسية وهي الياء. ولعلهم غفلوا عن صلة الكلمة بالزين. وإن كان الأمر كذلك فالذيل يعني المعنى الصيغي المنطقي الشدة فتكون زينب الشديدة الجمال ويتبين معناها بعد أن كانت مجرد أسم عربي مجهول أو أسم يوشك محتال أن ينسبه إلى غير العرب كما فعل بسندس واستبرق اللذين هما عربيان بمقتضى نتائج القول الذي أعرِضه هنا. لكنهما كانا غريبين بمقتضى احكام الصرف القديم.

{ار} في مثل جعفر وعنبر.

{أود} في مثل عنقود.

{أور} في مثل عصفور وزنبور. وهي تعنى في الغالب الشديد الصغر.

{أوب} في مثل سرحوب وقرضوب.

{أوك} في مثل حلكوك.

{أوس} في مثل قلطوس.

{ايل} في مثل فعلويل.

{أوج} في الخيسفوج

{أوت} في العنكبوت.

{آن} في عريفصان.

{ايد} في صنديد.

{ايس} في عنتريس.

{ايل} في عفشليل.

{ايز} في مثل جلفزيز.

{آف} في مثل شنعاف، والأمثلة كثيرة.

إن هذه اللواحق التي لا يحيط بها ما أحصيته من قبل هي السبيل إلى إعادة بعث العربية ومعجمها. إنها سبيل ترك البحث فيها وفي معاني الصيغ التتابعية التي تدخل فيها، وصارت بعيدة عن التأصيل والتقعيد ففقدت العربية بفقدانها من التدأول والمعجم والكتابة النصيب الأكبر

من قوتها الدلالية، بل إنه لا يمكن الحديث عن معجم مطابق لحقيقة العربية قبل إتمام البحث في الصيغ التتابعية العربية وقبل إقامة سناد نظرية صرفية تجمع بين الصور القياسية التي أقامها الصرف القديم وبين هذه الصور التتابعية التي أشرنا إليها هنا، وتفتح الباب لإقامة إصلاح معجمي يمكن المعجم العربي من استقبال الكلمات الكثيرة والجديدة التي يفرضها التحليل التتابعي كما بيّناه من قبل في هذه الورقات.

مراجع استئناسية

(ليس هذا المقال تعليقاً على كتابات متقدمة ولكنه بيان لطرق تطوير المعجم في صلاته بالصرف، بيان يمثل وجهة نظر. لذلك فالمراجع الواردة هنا استئناسية لا مصدرية. إنما تمثل المجال العام الذي يرتبط به المقال)

- أبو الطيب اللغوي، الابدال والمعاقبة
- أبو البقاء الكفوي، الكليات، نشر عدنان درويش ومحمد المصري مؤسسة الرسالة بيروت 1998
- أبو البقاء العكبري، مسائل خلافية في النحو، نشر عبد الفتاح سليم القاهرة 2007
- أبو القاسم الزجاجي، الجمل، نشر علي توفيق الحمد مؤسسة الرسالة بيروت 1404-1984
- ابن الانباري، اسرار العربية 1886-1303، من عمل كريستيان فريديريك. لايدن
- الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة
- ابن جني، شرح التصريف للمازني 1954 القاهرة
- مختصر التصريف الملوكي. طبعة أوربا هوبرغ. القرن 19
- إبراهيم بن مراد، دراسات في المعجم العربي دار الغرب الاسلامي بيروت 1987
- المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر دار الغرب الاسلامي بيروت 1993
- مقدمة لنظرية المعجم دار الغرب الاسلامي بيروت 1997
- الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد 1982
- شرح الكافية لابن الحاجب. بيروت 1979
- بحرق اليمني، شرح بحرق على لامية الافعال بحاشية الرفاعي مصر 13.04
- بلاشير وديمومبين، Grammaire de l'arabe 1937
- بوهاس، Contribution a l'étude de la méthode des grammairiens arabes en morphologie et en phonologie 1979 Développements récents en linguistique arabe/ google
- دافيد كوهن، Remarques sur la dérivation nominale par affixe/ semitica1
- Groupe d'auteurs, Etudes de linguistique arabe/ Leiden 1982
- Henri fleisch, Beirouth 1979
- الزمخشري، المفصل بشرح ابن يعيش دار الكتب العلمية بيروت 1422-2001
- حسين نصار، المعجم العربي نشاته وتطوره (الكتاب من العرب في المعجم عالة عليه في أمور لتقدمه) القاهرة 1988

– محمد احمد أبو الفرج، المعاجم العربية في ضوء علم اللغة الحديث 1966
– سيبويه، كتاب سيبويه. محمد عبد السلام هارون الناشر مكتبة الخانجي
– السيوطي، المزهر تحقيق جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم الناشر المكتبة العصرية القاهرة همع الهوامع تحققيق عبد الحميد الهندأوي امكتبة التوفيقية مصر
– عبد الله درويش، المعاجم العربية 2010
– عبد السميع احمد، المعاجم العربية. دراسة تحليلية دار الفكر العربي 2007
– عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دار صفاء للنشر والتوزيع 1999 عمان
– علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق مكتبة لبنان 2002
– علم اللغة وصناعة المعاجم مكتبة لبنان 2004
– كانتينو، Mélanges William Marçais 1950
– المبرد، المقتضب. نشر محمد عظيمة. القاهرة
– خديجة الحديثي، ابنية الصرف في كتاب سيبويه 1965

عناوين مقالات وكتب في الشبكة الالكترونية:

– المعجم العربي بين التقليد والتجديد
– الفروق اللغوية في المعاجم العربية
– اشكالية التعريف في المعاجم العربية الحديثة
– رؤية نقدية في المعجم العربي
– تشكل بناء المعجم العربي

محاضرات في علم المفردات وصناعة المعاجم

– علم المعاجم
– صناعة المعاجم
– المعاجم العربية
– شبكة الالوكة
– تجديد المعجم العربي
– مؤتمر مجمع اللغة العربية بدمشق عن التجديد اللغوي بين الهدم والبناء
– مؤتمرات المجامع اللغوية العربية
– مؤتمرات مكتب تنسيق التعريب بالرباط

- المدارس المعجمية
- المدارس المعجمية ومنهجيتها

دراسة تحليلية لمعجم علم المناخ

(عربي – فرنسي – إنجليزي)

د. عز الدين حفار
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
الجزائر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المصطفى الحليم.

يروم المُعجميُّ في صناعته للمعاجم سواء أكانت هذه المعاجم عامة أم متخصصة، أن تبلغ درجة الكمال، والتمام، ولكن لن يتحقق ذلك الكمال إلا إذا أخذ بجملة من العناصر أهمها ما يأتي:

- الالتزام بخصائص الصناعة المعجمية التي وضع معالمها المختصون في مجال الصناعة المعجمية.
- عرض المعجم على المختصين لدراسته، وتحليله، وتمحيصه، وتقويمه، على أن يجريَ هذا قبل عرضه على مستعملي المعجم، ليستدرك المُعجميُّ ما فاته من نقص، أو خطأ أو، هفوة. وبِأَخْذِهِ بالملاحظات، والتوصيات، والاقتراحات بعين الاعتبار، يبلغ المعجم كماله؛ بحيث يغني مستعمليه عن الرجوع إلى معاجم أخرى.

والمعجم الذي نحن بصدد دراسته واحد من المعاجم المتخصصة، أراد له صانعه أن يكون كاملاً غير منقوص، وحتى يتبين لنا ذلك سنحاول قراءة المعجم قراءة متأنية علَّها توحي لنا

بدرجة الكمال أو النقص.

التعريف بالمعجم

معجم ألفاظ علم المناخ متعدد اللغات (عربي– فرنسي– إنجليزي)، صدر سنة 2003 عن دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، من صنع الدكتور: علاوة عنصر، أستاذ بجامعة منتوري، قسنطينة – الجزائر.

يصنف هذا المعجم في سلسلة: المعاجم المختصة. يقع في نحو 165 صفحة، ومقسم إلى جزأين:

الجزء الأول: وهو الجزء الأساسي من المعجم، يضم 785 مصطلحاً في علم المناخ بمدخلٍ عربي، وقد أعطي لكل مصطلح ما يقابله باللغتين الفرنسية، والإنجليزية.

الجزء الثاني: يشتمل على فهرس للمصطلحات المذكورة في المتن باللغة الفرنسية، والانجليزية، والعربية، مرتبة وفق الحروف الفرنسية.

مصادر المعجم

يشير المؤلف في مقدمة معجمه ألفاظ علم المناخ، أنه استعان بمصادر متنوعة نهل منها المادة المعجمية، إذ يقول: "... وهو يحتوي على جل الألفاظ المستعملة – بصفة مباشرة أو غير مباشرة في علم المناخ ... مستقاة من مصادر متنوعة"[1].

ولكننا عندما تصفحنا المعجم، لم نلف ذكر المصادر المتنوعة المعتمدة في استخراج المادة اللغوية، ولسنا ندري سبب السكوت عنها.

وفي الحقيقة، أن ثمة معاجم كثيرة تهمل ذكر المصادر التي استقت منها المادة المعجمية، "فثمة العشرات من المعاجم العربية الصادرة إما بإشارات مقتضبة عامة إلى المصادر التي اعتد

[1] علاوة عنصر، **معجم ألفاظ علم المناخ**، ص 4.

بها في جمع المادة، وإما بإغفال ذلك على الإطلاق..."[1].

إن ثبت المصادر يزيد المعجم دقة؛ لأن "... المصادر المعتمدة لاستخراج المادة يجب أن تتطابق مع الهدف أو الأهداف المروم بلوغها بتأليف هذا المعجم..."[2].

المداخل

إن المتصفح لمعجم ألفاظ علم المناخ، يهتدي إلى أن صانعه أحصى المداخل الخاصة؛ أي المداخل التي تنتمي إلى علم المناخ، مبتعداً عن المداخل العامة التي لا تمت بصلة إلى علم المناخ، وفي هذا لفتة إلى أن المؤلف التزم بضوابط الصناعة المعجمية التي تفرض على المعجمّي التقيد بمداخل ترتبط بالعلم الذي يبحث فيه.

وجدت عدد المداخل في معجم ألفاظ علم المناخ تتوزع على الوجه الآتي:

مداخل اشتقاقية:

فمن المداخل الاشتقاقية نذكر على سبيل المثال:

الوزن	المداخل
مُفَاعَلَة	مواجهة – موازنة
تَفَاعُل	تآكل – تراكم – تساقط – تصادم – تصاعد – تكاثف
تَفْعَال	تبخار
مِفْعَال	مبياض – مبخار – مثلاج – محرار – مرسام – مضغاط
مِفْعَلَة	محسبة – محصلة – مزولة
مَفْعَل	مدرج
فُعَالَة	دوارة – دوامة
فَاعِلَة	عاصفة – كاسحة – صاعقة

[1] جواد حسني سماعنة، **المعجم العلمي المختص**، ص 15.

[2] عز الدين البوشيخي، **ضوابط الصناعة المعجمية في معجم الاستشهادات**، ص 208.

اسْتِفْعَال	استدلال – استعصار – استفرار
تَفْعِيل	تقسيم – تصريف – تشميس – تعديل – تمثيل
افْتِعَال	احتكاك – ارتشاح – اضطراب – اعتدال – افتراق
انْفِعَال	انتشار – انجراف – اندفاع – انصهار – انعكاس
فَعِيل	دليل – سليل – ظليل – كظيم – نسيم – نظير
فُعَال	حطام
المصدر الصناعي المختوم بـ (ية)	التجوية – تعرية – إشعاعيّة – مغياثيّة

مداخل معربة:

ومن المصطلحات المعربة نذكر مثلاً:

Argon	أرجون
Autan	أظان
Bergeron Mécanisme	آلية برجرون
Bora	بورة
Chinook	شينوك
Coriolis force	قوة كوريوليس
Fahrenheit	فهرنهايتي
Nino	نينو
Hélium	هليوم
Calvin	كالفن

مداخل مجازية:

ومن أمثلة المداخل التي وضعت عن طريق المجاز نذكر ما يلي: تدفق ضوئي – تدفق طاقيّ – كظيم.

مداخل مركبة:

ومن الامثلة التي وضعت عن طريق التركيب نذكر ما يأتي: مخبأ رصد جوي – موقع

محمي – تراكم ويحي – كظيم رطب – تلطيف الجو – علم الأجواء – مدى حراري – سنة كبيسة – قارة قطبية جنوبية – شفق قطبي – لا تنطيقي – كرة رصد الأجواء – مضغاط زئبقي – ضغط جوي منخفض – موازنة حرارية – سكون استوائي – دورة مناخية – منحنى الأمطار – درجة فهرنهايتي – مدة الإشعاع– تدفق طاقيّ – كسوف الشمس– كسوف القمر – الطبقة الجوية غير المتجانسة...

مداخل منحوتة:

ومن المداخل المنحوتة نذكر: سمحاقي – بيجلادي – بيمداري – التجوية – تخوير.

نستنتج مما سبق، أن مداخل معجم ألفاظ علم المناخ تنوعت بين الاشتقاق، والمجاز، والنحت، والتركيب، والتعريب. ومن خلال الأمثلة التي سقناها آنفاً اهتدينا إلى جملة من النتائج أهمها ما يلي:

- تقدم وسيلة الاشتقاق عن باقي الوسائل؛ نظراً لما في الاشتقاق من خصيصة توليد المصطلحات العلمية؛ حيث " يمثل الرافد الرئيسي من روافد العربية، في نموها وتطورها من حيث استيعاب المعاني والمفاهيم الجديدة".[1]
- حظي المعجم بالاستعانة بوسائل التوليد المصطلحي، وقد نتج عن ذلك إثراء الذخيرة اللغوية العلمية.

المادة المعجمية

من خصائص المعاجم المختصة أن تكون مادتها المعجمية "... وثيقة الصلة بموضوع المعجم دون أن تزاحمها الكلمات العامة وأشباه المصطلحات والجمل المصطلحية... إنَّ عدم وجود خطة منهجية واضحة في اختيار المادة المصطلحية غالباً ما يقودان إلى تداخل مستويات

[1] عبد الكريم خليفة، **اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين**، 141.

الجمع وإلى ظهور مصطلحات كثيرة لا علاقة لها مباشرة بموضوع المعجم"[1]. ففي معجم ألفاظ علم المناخ التزم المؤلف بجمع المادة المصطلحية الخاصة بعلم المناخ، غير أنه لم يُحِطْ بالمادة المعجمية كلها، وإنما اقتصر على جُلِّها كما جاء في المقدمة "... وهو يحتوي على جُلِّ الألفاظ المستعملة – بصفة مباشرة أو غير مباشرة – في علم المناخ"[2]، وقد أحصى المؤلف في معجمه 785 مادة معجمية.

ترتيب المداخل

رتبت المداخل وفق الطريقة الألفبائية بدءاً بالهمزة وانتهاء بالياء، بمدخل عربي، جاء في المقدمة: "وقد رتبت ألفاظه ألفبائيا بالعربية..."[3] فبدأ بمصطلح (اتجاه)، وختمه بمصطلح (يومي).

ومما لاشك فيه، أن هذا الترتيب يتناسب مع الفئة الموجهة إليها؛ لتجد ضالتها بسهولة، وللتيسير أكثر ذَيَّلَ المؤلف معجمه بفهرس للمصطلحات الواردة في المتن بثلاث لغات وهي: الفرنسية، والإنجليزية، والعربية، مرتبة على طريقة حروف الهجاء الفرنسية، بدءاً بمصطلح: (محسبة - Albacus Abaque)، وختمها بمصطلح: منطقة (التلاقي ما بين المدارين – Intertropicale Zone de CONVERGENCE Intertropical Zone Convergence -)

لو أضاف المؤلف فهرساً مرتباً وفق حروف الهجاء الإنجليزية، ووضع بجانب كل مصطلح رقم الصفحة التي ذكر فيها لزاد اكتمال المعجم من الناحية الشكلية، وهذا يساعد مستعملي المعجم على العثور على المصطلح بيسر تام.

أما مآخذ الترتيب فتتمثل في: الخلط بين همزة الوصل وهمزة القطع، فنجد المؤلف يرتب مثلاً مصطلح: (اتجاه) في زمرة همزة القطع.

---

[1] جواد حسني سماعنة، **المعجم العلمي المختصن** ص 15.

[2] علاوة عنصر، **معجم ألفاظ علم المناخ**، ص 4.

[3] المرجع نفسه، ص 4.

التعريف

إن استقراء التعريف في معجم ألفاظ علم المناخ، أوحى لنا بجملة من المزايا أهمها ما يلي:

- المداخل كلها معرفة.
- لم يكتف المؤلف بكلمات مثل انظر، أو راجع، أو معروف، وإنما أعطى لكل مصطلح تعريفه الخاص به.
- التعريفات كلها واضحة إلا القليل منها.
- التزام البساطة في تقديم التعريفات.

أما المآخذ فتتمثل في الآتي: تعريف بعض المداخل بتعريفات ناقصة؛ بحيث لم تكشف الغطاء عن دلالة المصطلح، من ذلك مثلاً:

المصطلح	تعريفه
حصيلة	ميزان بين الكسب والفقدان
راسم إشعاع	جهاز تسجيل الإشعاع الشمسي
مؤشر	عدد يبين النسبة بين ظاهرتين
قطاع	جزء من مجال ما

تعريف بعض المداخل بتعريفات غامضة، نذكر على سبيل التمثيل:

المصطلح	تعريفه
نطاقي	نسبة إلى منطقة معينة، أو الذي يتوافق نظامه مع منطقة معينة
لا تنطيقي	خصوصية ظاهرة ما لها تنطيق لا يتوافق مع خطوط العرض

الرسوم التوضيحية في المعجم

إن الاستعانة بالرسوم التوضيحية في المعاجم بات أمراً ضرورياً، فلا يجوز الاستغناء عنه ألبتة، لأنها تكمل التعريفات، فكم من مصطلح لم يتضح تعريفه لما أسقط رسمه التوضيحي الذي "يؤدي دوراً بارزاً في إيضاح دلالات الكلمات بحيث أصبحت إحدى الضرورات الأساسية لأي

معجم متكامل سواء كان أحادي اللغة أو ثنائي اللغة"[1].

وإذا ولينا أعيننا شطر معجم ألفاظ علم المناخ، نجده يتضمن بعض الرسوم التوضيحية، وقد بلغ عددها 47 رسماً توضيحياً.

ومن **مآخذ الرسوم التوضيحية** في معجم ألفاظ علم المناخ، نذكر ما يلي:

- إغفال رسوم توضيحية لبعض الأجهزة، مثال ذلك:
  - مبخار: جهاز قياس التبخر.
  - مبياض: جهاز يستعمل في قياس البياض.
  - مرياح: جهاز يستعمل لقياس سرعة الرياح.
  - مشعاع: جهاز يستعمل لقياس الإشعاع الشمسي.

ومعلوم أن الرسوم التوضيحية في المعجم "... تضع المعرفة في الضوء، معرفة النماذج والأشكال، وانتقالها من التجريد إلى التجسيم، ولا يقف الأمر هنا عند مجرد نقل حقائق الأشياء، حية ومجسمة ومرئية، بل الرفع من قيمتها، وإبراز خصائصها، وجعل ما هو مكتوب ينتقل بمضامين قيمه إلى قيم إضافية"[2].

- الاستعانة بصور قديمة ومتجاوزة، حيث بلغ عددها 29 رسما توضيحياً، نذكر على سبيل التمثيل: صورة المرطاب المسجل – جهاز قياس الحرارة والرطوبة والضغط الجوي – راسم الرياح – راسم المطر – قمر اصطناعي – مخبأ رصد جوي – المرطاب أو مقياس الرطوبة – المصرد أو قياس الرطوبة الجوية – المضغاط الزئبقي...
- عدم وضع الرسم التوضيحي تحت المدخل مباشرة مثل: أشعة شمسية ورد المصطلح في صفحة 10، على حين الرسم التوضيحي نجده في صفحة 66. كذلك الأمر بالنسبة لمصطلح

---

[1] خليل إبراهيم الحماش، **الرسوم التوضيحية ومكانتها في المعجم**، ص 129.

[2] عبد الغني أبو العزم، **المعجم العربي منهجيته وأسسه العلمية في أفق تحويله إلى معجم إلكتروني معجم الغني نموذجاً**، ص 44.

البرق ذكر في صفحة 20، أما رسمه فنلفيه في صفحة 67. الحصيلة الإشعاعية جاء المدخل في صفحة 42، على حين رسمه التوضيحي نجده في صفحة 68.

- إقحام بعض الرسوم التوضيحية في فهرس المصطلحات مثل: صورة الشفق القطبي، وضباب كثيف، ظاهرة الفوهن – انحراف الرياح عن مسارها الأصلي – خريطة مناخات العالم – نسيم البر – نسيم البحر. ولم ترد هذه الرسوم بجانب المصطلحات المذكورة في الفهرس، وإنما جاءت اعتباطا تحت الحرف (A)، والصحيح أن يكون الرسم التوضيحي "... تحت الكلمة الرئيسية مباشرة أو قريبا منها"[1].

أما **مزايا الرسوم التوضيحية** فأهمها ما يلي: توظيف رسوم توضيحية ملونة، فقد بلغ عددها 18 صورة، ولا شك أن الفرق واضح بين الصور القديمة السوداء اللون، والملونة الواضحة للعيان؛ فقد تغني أحياناً عن التعبير اللغوي مثل صور المصطلحات الآتية: نوعية الأشعة – البرق – التيارات المحيطية – سُحب من النوع الركامي المزني – ظاهرتا صعود وهبوط الهواء – سحب سمحاقية – الشفق القطبي – صقيع من الأغصان – ضباب كثيف ... "ومما لاشك فيه، أن الصور الملونة أوضح من الرسوم السوداء، والبيضاء، وأنفع في الكشف عن المدلول الحقيقي للكلمات، كما أنها لا غنى عنها إطلاقاً في إيضاح المقصود..."[2].

المصطلحات المترادفة

عدم الالتزام بمصطلح واحد مقابل المصطلح الأجنبي، بحيث بلغ عدد المصطلحات المترادفة 30 مصطلحاً من ذلك مثلاً:

المصطلح العربي	المصطلح الإنجليزي	المصطلح الفرنسي	المعجم الموحد لمصطلحات الأرصاد الجوية
جدب–جفاف–قحط–قحولة	Aridity	Aridité	قحولة

[1] خليل إبراهيم الحماش، **الرسوم التوضيحية ومكانتها في المعجم**، ص ص 130-131.

[2] المرجع نفسه، ص 129.

التقاء أو تجمع	Convergence	Convergence	تقارب
طبقة جو أو فضاء خارجي	Exosphère or outer atmosphere	Exosphère	غلاف خارجي
مشماس أو راسم السطوع	Héliographe or sunshine recorder	Héliographe	مخطاط شمسي
راسم الرطوبة أو مرطاب	Hygrograph	Hygrographe	مخطاط الرطوبة

بعد عرضنا لمجموعة من المصطلحات المترادفة في معجم ألفاظ علم المناخ، توصلنا إلى مجموعة من الملاحظات نجملها في الآتي:

- كان بإمكان المؤلف أن يختار مصطلحاً واحداً، بدلاً من استعمال مصطلحين، أو أكثر مقابل المصطلح الأجنبي، خصوصاً في المصطلحات المتعددة مثل: (جدب – جفاف – قحط – قحولة) مقابل المصطلح الإنجليزي: Aridity، والمصطلح الفرنسي: Aridité.
- بعد مقارنة المصطلحات المترادفة في معجم ألفاظ علم المناخ، بالمعجم الموحد لمصطلحات الأرصاد الجوية[1]، تبين لنا، أن المعجم الموحد يقتصر على مصطلح واحد مقابل المصطلح الانجليزي.
- من أسباب بعض المصطلحات المترادفة ورود المصطلح الأجنبي مترادفاً، وهذا ما جعل المؤلف يترجم المصطلحين معاً.

خاتمة

لم نبتغ من وراء هذا العمل، تتبع الثغرات الموجودة في معجم ألفاظ علم المناخ لغرض التشهير بها، وإنما كانت غايتنا علمية مَحْضاً، حتى تكون عوناً للمؤلف لكي يستدرك ما نقص من خصائص الصناعة المعجمية، ويتجنب بعض الأخطاء التي وقع فيها في طبعات أخرى، ولا نقول عن هذا العمل إنه ناقص أبداً، لأنه باكورة المعاجم المتخصصة في مجال علم المناخ، فيكفي المؤلف شرفاً أنه حاز فضل السبق في هذا المجال، ولم أجد في المكتبات الجزائرية معجماً صدر قبله أو بعده.

[1] المعجم الموحد لمصطلحات الأرصاد الجوية (إنجليزي – فرنسي – عربي).

وبعد هذه الدراسة المتواضعة، خلصنا إلى جملة من التوصيات نجملها فيما يلي:

- لم يحط المعجم بكل مصطلحات علم المناخ، وما ورد في المعجم من مصطلحات لا يمثل إلا القليل.
- الالتزام بتحيين المعجم كلما جد جديد في مجال علم المناخ.
- الاستعانة بثلة من المختصين في علوم عدة أهمها: علم المناخ، وعلم الأرصاد الجوية، وعلم الجغرافية، وعلم صناعة المعاجم... في إنجاز المعجم.
- الالتزام بضبط المصطلحات بالشكل، حتى لا تلتبس على مستعملي المعجم.
- الإخلال بعنصر من عناصر الصناعة المعجمية ألا وهو ضابط المصادر التي بني على أساسها معجم ألفاظ علم المناخ.

وبرغم هذه النقائص، يبقى هذا العمل شامخاً في مجال علم المناخ، فيكفي صاحبه فضلاً أنه أخرج لنا سفراً أغنى به المكتبة الجزائرية، والعربية، ففائدة المعجم تتعدى مكتبات الجامعات، لتصل إلى محطات الأرصاد الجوية، ومراكز مراقبة الطيران، ووسائل الإعلام بكل أنواعها لتقديم أخبار الأحوال الجوية.

ثبت المصادر والمراجع:

- البوشيخي عزالدين، ضوابط الصناعة المعجمية في معجم الاستشهادات، مجلة اللسان العربي، العدد 57، 1425هـ/ 2004م، الرباط، المغرب.
- الحماش خليل إبراهيم ، الرسوم التوضيحية ومكانتها في المعجم، مجلة اللسان العربي، العدد 22، 1983، الرباط، المغرب.
- خليفة عبد الكريم، اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 2003.
- جواد حسني سماعنة، المعجم العلمي المختص، مجلة اللسان العربي، العدد: 48، 1999، الرباط، المغرب.
- عبد الغني أبو العزم، المعجم العربي منهجيته وأسسه العلمية في أفق تحويله إلى معجم إلكتروني معجم الغني نموذجا، مجلة اللسان العربي، العدد 62، 1434-2008، الرباط، المغرب.
- علاوة عنصر، معجم ألفاظ علم المناخ، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2003.
- المعجم الموحد لمصطلحات الأرصاد الجوية (إنجليزي – فرنسي – عربي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، سلسلة المعاجم الموحدة رقم 25، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999.

اللغة العربية في ظل علم الوراثة اللغوي
– الاستنساخ اللفظي –

حيزية محمد كروش
جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف
الجزائر

1. مفهوم الاستنساخ

هو مصطلح علمي يشير إلى استعمال جملة من تقنيات الهندسة الوراثية لتوفير بدائل مناسبة، بغية تحقيق المقاصد البيولوجية المختلفة، وقد تعددت التعريفات الاصطلاحية لهذا اللفظ على غرار المصطلحات الأخرى في باقي العلوم، فقد عرفه البعض بأنه: "توليد كائن حي أو أكثر إما بنقل النواة من خلية جسدية إلى بويضة منزوعة النواة، وإما بتشطير بويضة مخصبة، في مرحلة تسبق تمايز الأنسجة والأعضاء"[1]، أي إنه استعانة مباشرة بعضو ينتمي إلى جسد آخر يحمل بعض الميزات المتجانسة مع الجسم المنقول إليه وبذلك يتولد كائن هجين يوافق الحاجات البيولوجية.

ويعرفه صالح عبد العزيز بقوله: "هو تكوين كائن حي أو مجموعة من الخلايا من خلية جسدية أو جنسية واحدة"[2]، أي إنه يعمل على انقسامات جزئية تخلق من الخلية الواحدة التي تولد

---

[1] المحمدي علي، **بحوث فقهية في مسائل طبية معاصرة**، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ع 10.

[2] صالح عبد العزيز الكريم، **الاستنساخ تقنية فوائد ومخاطر**، مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع 10.

الكائن الجديد، وذلك (لتكييف النوازل المعاصرة وتوضيح صورها)[1].

2. ماذا نقصد بالاستنساخ اللفظي؟

تم اختيارنا لهذا المصطلح (الاستنساخ) إسقاطاً على تلك العمليات التوليدية التي يعمد إليها علماء اللغة لابتكار مصطلحات جديدة تسهم في بَلْورة اللغة العلمية المشكلة للغات المتخصصة، حيث تسمح بمواكبة التطورات التكنولوجية، فلا يمكن أن يتم ذلك إلا بوجود تقنيات علمية (تعريب، اقتراض، اشتقاق، نحت...) لكي تمتاز اللغة "بمواصفات مستقلة عن اللغة الأدبية... اللغات التقنية لغات تهدف إلى تنقية معجمها وتركيبها ودلالاتها ليتم التوصل إلى معرفة مؤديات تخلو من أي لبس، كما يمكن أن تعرف اللغات العلمية عن طريق اللغات الأدبية من حيث إن اللغة العلمية نشاهد فيها:

- متانة النص.
- تركيبا لغوياً دقيقاً.
- بِنْيات نحوية متخصصة.
- امتلاك المصطلحات العلمية الدقيقة.

علماً أن اللغة العلمية تختار الوظيفي الدال المحقق للهدف، وتأتي علن طريق استعمال التفكير العلمي"[2].

المصطلحات العلمية الدقيقة خاصية لا يمكن التغاضي عن وجودها في اللغة العلمية، والاستنساخ بالمعنى الذي أرمي إليه هو آلية فذة تسمح بخلق هذا الشرط ضمن الأنسقة اللغوية، فالسياق العلمي الذي توظف فيه المصطلحات يفرق جملة من البِنْيات المقننة التي تسطر رؤية

---

[1] ينظر حذيفة ديالو، **توفير الأعضاء البشرية باستعمال تقنية الاستنساخ الجسدي (رؤية مقاصدية)**، مجلة عجمان للدراسات والبحوث، دورية محكمة، مج14، ع2، 2015، ص15.

[2] صالح بلعيد، **اللغة العربية العلمية**، دار هومة، الجزائر، ط4، 2003، ص38.

علمية خاصة للموضوع المطروح الذي يتطلب تركيباً لغوياً تزخر بمصطلحات علمية لربما وجدت بالاشتقاق من نفس الخلية اللفظية، أو بالاستعانة بخلايا لفظية أخرى تحمل نفس المورثات الصوتية مثل: كلمة كومبيوتر المعربة والتي أصلها في اللغة الإنكليزية computer.

من المعلوم أن اللغة العربية لا تحتوي على حرف p، بل تحتوي على حرف الباء، إلا أن تشابه هذين الحرفين اللذين ينتميان إلى لغتين مختلفتين من حيث الأنظمة الصوتية والتركيبية والصرفية والمعجمية من حيث المخرج (حرفان شفويان)، سمح بإجراء استنساخ مباشر لهذه اللفظة، لِتُقحم في النظام اللغوي العربي وتدخل المعجم المصطلحاتي للغة العربية المتخصصة.

"وتجدر الإشارة إلى أنه نرى في بعض الصحف العربية ومنها الزمان اللندنية، استعمال لفظ الاستنساخ للدلالة على اللفظ الأجنبي وهو أمر أفضل من المعرّب غير أنه مقارنة بلفظ الصِنْو لا يزال قاصراً في التعبير وذلك:

- عدم دلالته بدقة على المفهوم الأصلي للمصطلح الأعجمي والذي يعبر عنه لفظ الصِنْو بدقّة متناهية للغاية.
- أن مصطلح الاستنساخ هو متعدد المفاهيم والمعاني، بمعنى آخر حدوث مسألة الاشتراك اللفظي (وهو وجود لفظ واحد مشترك لمصطلحات عدة وهذا مما يزيد في إشكالية المصطلح وتعقيده) وهنا يجب تجنّب تعدّد الدلالات وتفضيل اللفظ المختص على المشترك. الاستنساخ كلمة عامة وهنا يجب مراعاة اتفاق المصطلح العربي مع المدلول العلمي دون التقيد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأعجمي.
- وبافتراض كون الاستنساخ مرادفاً أو قريباً من ذلك للفظ الصِنْو، فيجب تفضيل الكلمة التي يوحي جذرها بالمفهوم الأصلي وهو ما يتميز به لفظ الصِنْو".[1]

مصطلح الاستنساخ مصطلح عام وشامل لكل الآليات التي سيتم ذكرها في خضم البحث،

---

[1] زيد العامري الرفاعي، **المصطلح العلمي والوعي اللغوي**، جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات، *www.atida.org› منتديات عتيدة› مصطلحية› متفرقات في المصطلحية* 2009/01/07.

فهو دال على تلك النقلات اللغوية التي يقوم بها المختصون اللغويون لإنتاج لفظ أو مصطلح جديد يعبر عن مفهوم جديد، بالاعتماد على خلايا مورفيمية أو فونيمية، أو حتى تركيبية تسهم في تكوين لغة علمية متخصصة.

3. اللغة العربية المتخصصة

اللغة العربية من بين اللغات الساميات التي تتميز بنظام معقد ومتميز، لأن اللغة بصفة عامة هي كائن حي قابل للنمو والتطور كما عبر عن ذلك دي سوسير، فهي مهيأة لاستيعاب قواميس أخرى لكي تتحقق خاصية النمو لديها، وهي بحسب رأي صالح بلعيد "استيعاب اللغة لخصائص العلم حسب مجالات وحقول معرفية معينة، فاللغة العربية حدثت فيها نقلة نوعية بعدما أضاف القرآن الكريم ثورة لغوية في مفاهيمها من حيث المضمون والجانب البلاغي، وكان هذا رقياً أولياً في التخصص، وجاء دور العلماء فعملوا برصد جيش هام من المتقنين للغة العربية اولاً، ثم المتقنين للغة الأجنبية"[1].

بدأت رحلة التخصص بالنسبة للغة العربية منذ أن دخل القرآن الكريم، ليحدث تقلبات جذرية في الهيكل اللفظي للغة العربية، ليجعلها أكثر تهذيباً وشساعة بإدخاله ألفاظاً جديدة لم يعهدها اللسان العربي، مشبعاً تلك التراكيب والمفردات الجديدة بمسحات بلاغية تضفي عليها ميزة خاصة.

لكن الرؤية العصرية للغة العربية المتخصصة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتطورات العولمة، فهي تتصل بمستجدات العلم وما يأتي به من مبتكرات حديثة "فالعصر الحاضر ينظر إلى التخصص من حيث الجانب العلمي فقط على أساس أن اللغة المتخصصة هي تلك اللغة التي تتحكم في التقنيات المعاصرة، أو تلك اللغة التي في مستوى التحديات الحاضرة والقادمة، وجاء هذا المفهوم بفضل الوعي الذي أصبحت تكتسيه التكنولوجية بصفة عامة، والتجديدات المتلاحقة بصفة

[1] صالح بلعيد، **اللغة العربية العلمية**، ص45.

خاصة، أضف إلى هذا الانخفاض المتواصل الذي تعرفه أجهزة الإعلام الآلي والمنطاقيات ويصاحبه التدفق السريع والمستمر للتكنولوجية"[1].

اللغة العربية المتخصصة هي الوعاء الذي له إمكانيات فذة لاحتواء كل المسميات أو المصطلحات الجديدة وتعطي صبغة علمية لها حيث تكون مواكبة للتكنولوجية، حيث تشمل كل المعطيات العلمية التي تمنحها قدرة توصيفية متخصصة.

واللغة العربية المتخصصة بحسب رؤية صالح بلعيد يجب أن تتوفر فيها جملة من الميزات هي:

- الوضوح
- سلامة البنيان اللغوي.
- الإيجاز.
- القصد إلى حقيقة الأمور.
- عدم العناية الكبيرة بالشكل (الجانب الجمالي).
- عدم تعدد المترادفات للمعنى الواحد.

أي إنها يجب أن تكون في أبسط صورها، قائمة على التفسيرات الواضحة، ولا يمكن أن يتجسد هذا إلاّ بإنشاء بناء لغوي سليم، يقوم على نسق مستوياتي متناسق (صوتياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً ومعجمياً)، لذا يجب الابتعاد عن التعقيد والغموض الذي من شأنه أن يواري المدلول.

إضافة إلى أن الاختزال ميزة لابد من وجودها، "فالإيجاز يخص تبليغ ونقل المعارف بأقل عدد ممكن من الألفاظ والعبارات"[2]، والإطناب والتطويل الناتج عن كثرة المترادفات والتكرار

---

[1] صالح بلعيد، **اللغة العربية العلمية**، ص46.

[2] ابتسام ليلى بن عيسى، **تعليمية الترجمة المتخصصة: عوائق وحلول**، مجلة علمية محكمة تعنى بإشكالية صناعة المصطلح وتعريبه وترجمته، مخبر تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية وإنجاز معجم موحد لها، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ع12، السداسي الثاني 2016، ص 74.

المتتالي أو المتباعد لنفس الفكرة يجعل المتلقي يخسر جهداً لا ضرورة من بذله لكي يستوعب المضمون، واللغة المتخصصة إنما وجدت لتختصر الوقت والجهد على المتلقي.

4. واقع المصطلح العلمي في اللغة العربية المتخصصة

لا يمكن أن تتحدد الجغرافية اللغوية إلا بوجود مفاتيح اصطلاحية تساعد على تحديد هوية النسق المُقال، فالمصطلحات كما هو معروف هي مفاتيح العلوم، "إن مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى"[1]، فالمصطلح هو جوهر كل علم، تتجلى كينونته داخل الحقل اللساني من خلال البعد التداولي له، شريطة أن يتميز بالعلمية المحض المتميزة بالدقة المطلقة.

دخل المصطلح في أزمة صارخة حيث أصبح يعاني من فوضى تداولية جعلته غير قادر على الانضباط، فمن أهم الإشكالات التي يعاني منها المصطلح" تبدأ أولاً من البرنامج الاصطلاحي الذي يشرف على تمكين المصطلح وإبداعه، فضلاً على الارتباط القائم بين اللغة العامة المتداولة (المعجم العام)، واللغة المختصة (المعجم المختص أو الاصطلاحي)"[2].

لا يزال المصطلح الوراثي يعاني من تذبذبات قاعدية تُدخله في دوامة التناقض أو التداخل، فغالباً ما يكون هنالك تضارب في الاستعمال، فرغم الاجتهادات التي قامت في مجال المصطلح العلمي العربي، إلا أن "المشكلة بقيت قائمة، وربما لم تخرج طرح آراء نظرية ولذلك ينبغي تجاوز الخطاب النظري المصطلحي إلى خطاب يعمل على إيجاد مستوى الأرضية الصحيحة للعيش مع خمسين مصطلحاً تزداد يومياً، وإن من يتتبع تلك المجهودات يجد الغلبة فيها لعمليات ترجمة المصطلحات أو تعريبها، ولذلك فقدت جوهرها من غايتها في بعث روح الأصالة والإبداع... وأمام بقاء مشكل المصطلح العلمي والذي يطرح في كل اللقاءات العلمية والمتخصصة، هل

---

[1] مهدي صالح سلطان الشمري، **في المصطلح ولغة العلمي**، كلية الآداب، جامعة بغداد، ط1 ص59.

[2] عبد القادر شارف، **واقع المصطلح اللساني في الترجمة**، مجلة الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، كنوز للنشر والتوزيع، ع22، 2015، ص 214-215.

العربية عاجزة عن توظيف مصطلحاتها الأصيلة، أم غير مستعدة لارتجال الجديد، أو تضيق عن استيعاب المصطلحات العلمية الغربية الحديثة؟"[1].

التكاثر العشوائي للمصطلح الوراثي نتج عنه تزاحم همجي للاستعمالات، فالمتلقي أصبح غير قادر على استيعاب الكم الهائل من المصطلحات، ففي كثير من الأحيان يجد نفسه أمام قائمة طويلة من المفردات الموجهة لنفس المفهوم، مثل: علم اللغة العام نجد له عدة مسميات: اللسانيات، الألسنية، علم اللسان...، وعليه فإن الكتابة بلغة عربية متخصصة تعاني الكثير من العوز المصطلحي، حيث عمد علماء المصطلح إلى الاستنساخ من المصطلحات الأجنبية، ويمكن تلخيص هذا الواقع المرير في نقطتين:

1. تراكم المصطلحات وكثرتها، فقد تتوارد إلى اللغة العربية كوكبة من المصطلحات الهجينة، التي لا تحمل ميزات المصطلح وشروطه، وذلك من جراء الحاجة الملحة للتعبير عن المفاهيم الجديدة، فينتج عن هذا الأخير تصادم وتعارض.
2. تشابك المصطلح التراثي والمصطلح الجديد، ومن ثم تنبثق الصراعات بين أنصار التراث وأنصار المعاصرة، فيحدث جدل عقيم يسبب اهتزازات مفاهيمية تمنع التداول السليم والتلقي القاعدي للمصطلحات[2].

هذا البطء الواضح في توحيد المصطلح العلمي نتج عنه ضعف اللغة العربية العلمية، حيث أصبحت شبه عاجزة عن توظيف المصطلحات الأصيلة، بل أصبح الاستنساخ هو المفر الوحيد الذي نلجأ إليه للتعبير عن المخترعات الجديدة التي ترد إلى المجتمع العربي لتفرض عليه استعمال المصطلح الأجنبي وإقحامه في القاموس العربي "فقد أصبحنا نستعمل المصطلحات العلمية الغربية تبعا للوسائل التي تأتينا بأسمائها، فَنُبهر بمسماها ونبقى نستعملها ونحن راضون

---

[1] صالح بلعيد، **اللغة العربية العلمية**، ص78.

[2] ينظر: أحمد مختار عمر، **المصطلح الألسني وضبط المنهجية**، مجلة عالم الفكر، الكويت مج20، ع3، أكتوبر– نوفمبر، ديسمبر، 1989، ص5.

عنها، ولا نستعمل المصطلح العلمي العربي إن وجد، وهذا مباهاة بالعصرنة"[1].

ويمكن اختصار أهم مشكلات وضع المصطلح وتوحيده في النقاط الآتية:

- عدم استقرار المصطلح العربي (الترادف ولربما التضاد).
- صعوبة التنسيق في وضع المصطلح العلمي العربي.
- تعدد مصادر المصطلحات.
- ازدواجية المصطلح في اللغة المصدر.
- تعدد واضعي المصطلح في الوطن العربي.
- إغفال التراث العلمي العربي.
- عدم الاستفادة من المصطلحات الجديدة[2].

إذا يمكن القول إن هذه الفوضى أفقدت المصطلح خاصة مهمة جداً وهي التوحد والاتفاق وبذلك أصبح هشّاً، بل أصبح غير مستوعب لاسمه فالمصطلح إنما سمي مصطلحاً لأنه يقوم على الاتفاق المطلق بين واضعيه.

6. آليات توليد المصطلح العلمي

تتضافر جهود العلماء اللغويين من هيئات وأفراد لتوليد المصطلحات العلمية وفق بداغوجيات محددة تسطرها العقول المنتجة، والاستنساخ اللفظي هو الدينامية العامة الشاملة التي تصنع المصطلح العلمي الذي يهيئ البنية النسقية للغة المتخصصة، "لهذا نهج العلماء والمترجمون أساليب وآليات لوضع وتوليد المصطلحات العلمية الجديدة في اللغة العربية، وذلك في حالة تعذر وجود مقابل للفظ الأعجمي في اللغة العربية، وإتباعها بشكل تسلسلي بدءاً بالتراث المتمثل في

---

[1] صالح بلعيد، **اللغة العربية العلمية**، ص78.

[2] وهيبة لرقش، **بين الترجمة والتعريب المصطلح العلمي العربي وإشكالية عدم استقراره**، المشرف: محمد الأخضر صبيحي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، الجزائر، ص47.

الاشتقاق، فإن لم يجد ضالته يلجأ إلى المجاز فإن لم يكن ذلك ممكنا لجأ إلى التعريب ثم إلى الترجمة، ويبقى النحت آخر ظاهرة يعتمد عليها"[1]، إذن فالركيزة الممنهجة التي يسير واضع المصطلح عليها يمكن التفصيل فيها كالآتي:

1. **الاشتقاق:** من أهم الخصائص الفريدة التي تتوشح بها اللغة العربية هي كونها لغة اشتقاقية، فهي إلى جانب هذه الخاصية نجدها تشارك اللغات الأخرى في سمة الإلصاق، أي إنها لغة اشتقاقية إلصاقية[2]، وقد اهتم علماء اللغة العرب بهذه الآلية أيما اهتمام فقد تداول تعريفه ثلة من العلماء ومن بينهم السيوطي الذي حدد إطاره المفاهيمي بقوله: "هو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنىً، ومادةً أصلية وهيئةً، وتركيبٌ لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة، كضارب من ضرب، وحذر من حذر"[3]. أي هو أخذ صيغة جديدة من الصيغة الأصلية، أو بتعبير آخر أخذ الفرع من الأصل.

- **أقسامه:**

– الاشتقاق الصغير: ما يتفق فيه المشتق والمشتق منه في الحروف والترتيب مع التشابه في المعنى مثل: تجر– تاجر.

– الاشتقاق الكبير: ما يتفق فيه المشتق والمشتق منه في الحروف الثانية مع اختلاف في الترتيب وتشابه في المعنى مثل: ضرب – ضبر – بضر– ضبر – رضب وهو ما يعرف بنظام التقليبات الذي أتى به الخليل بن أحمد الفراهيدي وأسس على منواله معجمه العين، وتكون فيه معاني المادة المتحدة الحروف المختلفة التركيب يجمعها معنى عام يكون بؤرة النزع، وقد تبحر ابن جني في هذا الباب محاولاً إيجاد المعنى العام الذي تدور حوله تقلبات

---

[1] موس لبنى أمال، **المصطلح العلمي في اللغة العربية**، مجلة المصطلح، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ع12، السداسي الثاني 2016، ص64.

[2] ينظر: غانم قدوري الحمد، **أبحاث في العربية الفصحى**، دار عماد، تكريت، 2003، ط1، ص45.

[3] السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تح: محمد جاد المولى بيك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد علي اليحياوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1986، ج2، ص346.

المادة اللغوية[1].

- الاشتقاق الكبار: هو ما اشتركت حروف جذره مع حروف جذر كلمة أخرى، ما خلا حرفاً واحداً مثل: قضم وخضم، شدّ ومدّ، هدّ وعدّ...[2]، لهذه الأنواع الثلاثة فاعلية كبيرة في إثراء اللغة العربية من حيث توسيع معجمها، وذلك بتوليد مصطلحات جديدة انطلاقاً من استنساخ مفردات مقاربة لها من خلال نزح الخلايا الصوتية ودمجها بشكل مضبوط يؤدي وظيفة دلالية تفيد السياق الاستعمالي الذي تدخل فيه.

2. **المجاز**: من سمات اللغة التي أقرها دي سوسير وجُلُّ علماء اللغة الآخرين، أنها كائن حي ينمو ويتطور، فاللغة تمتاز بمرونة دلالية تكتسح الهيولة اللفظية لتأخذ المعنى الذي يطلبها السياق الموضوعة فيه.

وكما هو معروف اللفظ واقع بين قطبين مهمين الأول هو الحقيقة والثاني هو المجاز، وهذا الأخير (المجاز) اتخذه المصطلحيون آلية من آليات توليد المصطلح حيث عرف بأنه: "التوسع في المعنى اللغوي لكلمة لتحميلها معنى جديداً، وقد تم اعتماد هذه الآلية في وضع كثير من مصطلحات العلوم الإسلامية"[3].

المجاز يسمح باستعمال مفردات اللغة، للتعبير عن معنى جديد لم يكن ضمن دلالتها السابقة مثل: كلمة الذّرة التي تعني في عصرنا الحالي النواة الذرية حيث أصبحت مصطلحاً خاصاً بعلوم الفيزياء، في حين كانت دلالتها الأصلية تشير إلى صغار النمل، لذا جرى التداول المجازي للدلالة اللفظة للتناسب السياقي لها، فهي قد دمجت في نسق علمي يحدد تشكلات دلالية للمصطلح، لأنه مستعمل ضمن لغة علمية متخصصة.

---

[1] ينظر: ابن جني، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، لبنان، ج2 ص133.

[2] سمير شريف إستيتية، **اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج**، عالم الكتب، الأردن، ط1 2005، ص105.

[3] واضح عبد العزيز، **المصطلح العربي مشاكل وحلول**، الملتقى الوطني حول المصطلح والمصطلحية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ص415.

3. **التعريب:** شهد العالم تطورات تكنولوجية هائلة أدت إلى اختراع مبتكرات لا تعد ولا تحصى، وتطورت عبر الزمن، مما جعل المستعمل اللغوي في حاجة إلى وضع مسميات يعبر بها عن الغرض، وهذا لا ينحصر في مجال العلوم فحسب بل حتى في التواصلات اليومية، إذ إن الاحتكاكات الاجتماعية والحضارية خلقت نمطاً سلوكياً يستوجب اقتراض ألفاظ أعجمية ونقلها من اللغة الأم إلى اللغة الأخرى بغية تحقيق التفاهم والإفهام.

التعريب في عرف العلماء نوعان "الأول صياغي والآخر صوتي، وكل منهما اقتباسي، يعرف التعريب الاقتباسي الصياغي عند الجوهري بكونه تلفظ العرب بكلمة أعجمية على نهجها وأسلوبها، أما التعريب الاقتباسي الصوتي عند سيبويه فهو أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية مطلقا، قد يلحقونها بأبنية كلامهم وقد لا يلحقونها"[1].

هذا التصنيف يشير إلى أسلوبين واضحين في نقل الكلمة إلى النظام اللغوي العربي، فالأول هو حمل تام للوعاء اللفظي والتعبير به كما وجد في نظامه الأصلي، أما الثاني فهو تكييف للفظة المنقولة وفق النظام الصوتي للغة العربية.

من الممكن أن يكون استنساخ اللفظ تعريبياً بنقل الجذع اللفظي بإحداث بعض التغييرات الجينية الحرفية مثلاً: كلمة télévision إذا عربت بكلمة تلفزة فهي تنتمي إلى التعريب الصياغي، أما إذا عربت بتلفزيون فهي تعريب صوتين ومن الملاحظ ذلك التغيير في البنى الحرفية للكلمة، فالنظام الهجائي العربي لا يحوي على حرف v بل عوّض بحرف الفاء مناسبة للنظام اللغوي العربي، ومن ثم فإن هذا الاستنساخ أتى على نحو تناغمي مع الجذع المنقول إليه أو اللغة المنقول إليها.

يمكن للتعريب أن يكون أداة قاتلة لبعض الكلمات العربية، فليس من الضرورة إتباعه في بناء كل نسق لغوي، فهو اتهام مباشر أو غير مباشر للغة العربية بالقصور والعجز والضيق، لأن

[1] **اللغة العربية في مواجهة التعريب**، إدريس بن الحسن العلمي، مجلة اللسان العربي، الرباط المغرب، ع34، 1990، ص 155-157.

الناظر إلى الحيز الاستعمالي للمصطلحات المستنسخة من اللغات الأعجمية يدرك ذلك الكم الهائل من الألفاظ الأجنبية التي دخلت اللغة العربية، بحجة تشكيل اللغة العربية المتخصصة، ففي كثير من الأحيان نقرأ الأنساق العلمية لأي قضية لغوية لنجد مصطلحات أجنبية دخيلة على النظام اللغوي العربي.

استعمل التعريب للدلالة على المعاني التالية:

- ترجمة معاني الألفاظ والعبارات إلى اللغة العربية.
- نقل الفكرة العامة أو العناصر الرئيسية لقصة أعجمية أو مسرحية والتدخل فيها بإدخال أفكار عربية.[1]

يجب العلم بأن اللفظة المعربة عندما تخضع لتغيرات صوتية وصرفية ولربما نحوية في حال دخولها التركيب العربي تصبح كلمة لا عربية ولا أعجمية بل هي كلمة هجينة طبقت عليها ضوابط نظامين لغويين مختلفين، عند القيام بعملية الاستنساخ اللفظي التي ولّدت كائناً لغوياً يحمل مورثات أعجمية ومزود بمورثات أخرى تقاربها صوتياً، ولهذا نلحظ في كثير من الأحيان ثِقلاً على اللسان العربي عند نطقه المصطلح الجديد لأن قاموسه خاضع لنظام فطري محدد روض بالاكتساب المطول طول مدة النمو اللغوي لديه.

4. **النحت:** هو انتزاع جزء من كلمة ووضعه مع جزء من كلمة أخرى لتوليد كلمة جديدة عرفه إيميل يعقوب: "أن ينتزع من كلمتين أو أكثر كلمة جديدة تدل على معنى ما انتزعت منه"[2]، وقد عرفت هذه الآلية عند العرب منذ القديم، حيث كانوا يأخذون بعض الحروف من الكلمة ويدمجونها في كلمة أخرى لتكوين المفردة المنحوتة مثل: عبشمي من عبد شمس. لو أردنا تحليل هذه العملية لوجدنا أنهم أخذوا الحروف الأولى (ع ـ ب) من الكلمة الأولى "عبد"

---

[1] عبد الحليم سويدان، **مبادئ يركز عليها عند وضع المصطلح**، مجلة مجمع اللغة العربية دمشق، سوريا، مج 75، ج3، ص 590.

[2] إيميل يعقوب، **فقه اللغة العربية وخصائصها**، دار العلم للملايين، ط2، 1986، ص 209.

وأسقطوا الدال من آخرها ليضموها إلى أول الكلمة الثانية وبذلك تم الاستنساخ وفق قواعد مضبوطة ضبطت الفهم واقتصدت الحروف. وهو ينقسم إلى:

- النحت الفعلي: مثل: حَمْدَلَ من الحمد لله، وبسمل من بسم الله وحوقل من لا حول ولا قوة إلا بالله...
- النحت الاسمي: مثل: حبرمان المأخوذة من حب والرمان.
- النحت النسبي: مثل: حضرمي وهو الذي ينتمي إلى منطقة حضر موت.
- النحت الوصفي: مثل: ضطبر وهو مأخوذ من ضبط وضبر الذي نحت ليدل على الرجل الشديد.
- النحت الحرفي: مثل: كأنّ والتي يرى النحويون أن أصلها (لكن أنّ)[1].

إلا أن هذه الدينامية التوليدية تحتاج إلى الذوق السليم المحكم "فكثيراً ما تكون ترجمة الكلمة الأعجمية بكلمتين عربيتين أصلح وأدل على المعنى من نحت كلمة عربية واحدة يمجها الذوق ويستغلق فيها المعنى"[2].

تكون الكلمة المنحوتة مبهمة بالنسبة للمتلقي إذا لم يألف مثل هذه الكلمات المدمجة لهذا فَضَّل (الشهابي) أن تترجم الكلمة الواحدة إلى كلمتين إذا كانتا تحققان الفهم، فالهدف الرئيسي من وضع المصطلح المنحوت هو الدقة والوضوح ورفع اللبس والاختزال، فإذا ما عارضت هذه الشروط وسقفت حدود الاستيعاب لدى المتلقي واستصعبها اللسان فلا ضرورة لها بل نلجأ إلى البدائل الأخرى لنصل إلى المعنى المنشود.

5. التركيب: هو تركيب كلمتين معا لتكوين كلمة جديدة، فالمصطلح المركب هو المكون من

---

[1] عبد الهادي الإدريسي، **في تأصيل المصطلح العلمي**، مجلة ترجميات، ع 3، أكتوبر 2006، ص07.

[2] مصطفى الشهابي، **المصطلحات العلمية في اللغة العربية**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3 1995، ص18.

كلمتين أو أكثر ويدل على معنى اصطلاحي جديد مؤلف من مجموع معاني عناصره"[1]، اعتماد طريقة التركيب في وضع المصطلحات يساعدنا على معرفة الانتماء العلمي للمصطلح أي إنه يعمل على "تقييده وتخصيصه بالقياس إلى مدلول اللفظ المعجمي العام، وهو تخصيص تنتقل بموجبه المفردة من دائرة المعجم إلى سجل الاصطلاح"[2].

وهو ينقسم إلى:

- المركب المزجي العربي.
- المركب المزجي المختلط.
- التركيب الوصفي.
- التركيب الإضافي.

5. **الترجمة:** عرفت الترجمة منذ عصور قديم في ساحة الدراسات اللغوية العربية، فهي: "نقل معنى المصطلح من اللغة المصدر إلى المعنى المكافئ له في اللغة الهدف، وتعتمد ترجمة المصطلحات على النظرية الدلالية، التي تهدف إلى نقل المعاني التي يمكن التعليل لها بالرجوع إلى الدلالات المباشرة للمفردات المعجمية، التي تتراص في منظومة أفقية وفق نظام نحوي محدد لا يتخطى حدود الجملة الواحدة، فهي إذن معنية بالمكافئ المعجمي داخل سياق بنيوي صرف، بقطع النظر عن السياق الثقافي الموسع"[3].

تسهم الترجمة إسهاماً فعالاً في إثراء المعجم العربي، وذلك بدخول زخم من المفردات الأعجمية، فالنقل اللفظي من اللغة الأم إلى اللغة الثانية يتطلب تحكماً في كلتا اللغتين واحترام

---

[1] جواد حسني سماعنة، **التركيب المصطلحي طبيعته النظرية وأنماطه التطبيقية**، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، ع50، 2000، ص43.

[2] سعيد الخلادي، **المعجم والمصطلح بين الاختلاف والائتلاف**، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، ع50، 2000، ص102.

[3] محمد البطل، **فصول في الترجمة والتعريب**، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان مصر، ط1، 2007، ص 95-96.

اللغة الهدف، واستحضار الحيز الثقافي الذي ولد في النسق المترجم حتى يفهم النص فهماً صحيحاً.

لترجمة النص لابد من الخطوات الآتية:

- تحقيق النص الأصلي ونقد المصادر.
- ترجمته من قبل المترجم.
- عمل المحرر الذي يساعد المترجم.
- مراجعة الترجمة من قبل المراجع[1].

للترجمة أنواع نكتفي بذكرها في شكل رؤوس أقلام:

1. الترجمة التحريرية: وتندرج تحتها الترجمة الأدبية والترجمة العلمية، والترجمة الأدبية كذلك تتضمن أربعة أنواع:

- ترجمة تلخيصية.
- ترجمة بتصرف.
- ترجمة تفسيرية.
- ترجمة حرفية.

2. الترجمة الشفهية: وتشتمل على ثلاثة أنواع:

- ترجمة تعاقبية.
- ترجمة تتابعية.
- ترجمة فورية.

تعد المصطلحات المادة الخام التي تطبق على خلاياها البنائية الآليات الاستنساخية التي تتمخض عنها مصطلحات جديدة، تشكل بدورها اللغة العربية المتخصصة، حيث تعطي مسحة

[1] جوئيل رضوان، **موسوعة الترجمة**، تر: محمد يحياتن، مخبر الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو، الجزائر، ص10.

علمية على الأنساق والنصوص.

فكل مصطلح يولد يحدد كينونته الاستعمال والتداول من قبل المستهلك اللغوي، إذ يصبح قادرا على أداء وظيفة دلالية داخل النسيج اللغوي، شريطة ألا يستغلق الفهم على المتلقي، فالحاجة الملحة للغةٍ عربية متخصصة حتَّمت وجود حاجة لاستنساخ المصطلحات من معاجم أخرى تحمل جذوعا قادرة على أن تدمج في المعجم العربي مستحدثين بذلك مفردات نوعية تحمل ميزات مشتركة هُيئت بتنميط وتكييف خاص مضبوط بقواعد النظام المنقول إليه.

بالرغم من كل الجهود المبذولة في سبيل توحيد المصطلح، وضبط اللغة العربية المتخصصة بمعايير محكمة فإن المشكل لا يزال قائماً، فالحلول السانكرونية لا يمكنها أن تصل إلى بؤرة التذبذب المصطلحي ما لم تُخلق حلول قطعية تقضي على الاستنساخات العشوائية التي توجد في المعجم العامي.

وعلية فالوقت حان لوضع معجم موحد، وإحياء التراث الذي طَمس الغبار بعض مفرداته التي من شأنها أن تفي بالغرض، إضافة إلى استعمال المصطلحات المعربة بدل الأعجمية المطلقة التي نقلت بهيكلها إلى اللغة العربية، وبذلك ينتج معجم هجين مولد عن استنساخ لفظي كلي لما ورد إلينا.

مقترحات

هذه المقترحات ليست من بنات أفكاري بل هي مختارات انتقيتها من مختلِف المراجع، فقط لتعميم الفائدة وتوصيل الرسالة، والمساهمة في نشر بعض النقاط التي اعتقدنا أنها حلول ناجعة لحل أزمة المصطلح، ودعم ثبات اللغة العربية المتخصصة وهي كالآتي:

1. إدراج مقاييس لغة التخصص في أقسام ومدارس اللغات وخاصة اللغة العربية.
2. توعية الطلاب بضرورة إدراك أهمية اللغة العربية المتخصصة، وتدريبهم على تلقيها وفق معايير علمية تسمح لهم بتداولها في الوسط التعليمي.
3. إسناد علم المصطلح إلى ذوي التجربة في التدريس والتجربة في التخصص، وإلى الذين

يجيدون اللغة الأجنبية إلى جانب اللغة العربية.

4. العمل على تعريب المصطلحات مماشاةً للضرورة العلمية، والابتعاد عن استيراد الألفاظ الأعجمية بقالبها البنيوي.
5. تشكيل لجنة من الجامعات تعمل على ترجمة البحوث إلى لغة عربية متخصصة سليمة.
6. إنشاء مكانز المصطلحات العلمية عامة واللسانية خاصة في المجامع اللغوية والجامعات العربية وربطها بالشبكة العالمية للاتصالات. أهمية اللغة العربية المتخصصة.
7. وضع برامج تسييرية للمصطلحات المستنسخة، وحفظها من العشوائية التي تخلق صراعات استعمالية.

خاتمة

لابد لكل بحث أن يخلص صاحبه إلى جملة من النتائج المتوصل إليها من خلال تتقيبه وتتبعه للحقائق العلمية والمقولات المنطقية التي رصدها على مدار البحث، ونتائجنا نذكرها في الآتي:

1. الاستنساخ اللفظي بمنظوره اللغوي هو وسيلة شاملة لخلق لغة علمية دقيقة تحاكي التطورات العلمية.
2. لابد من وجود لغة عربية متخصصة مزودة بذخيرة مصطلحاتية تضمن لها احتضان النمو التكنولوجي.
3. لابد من مراعاة القواعد والضوابط التي تحكم البناء اللغوي العربي عند نقل المصطلحات الأعجمية
4. يعاني المصطلح العربي من مشاكل جمة لربما كان سببها الأول عدم الاتفاق بين أهل الاختصاص الذي أخذ كل واحد منهم زاوية تخصه ليتعامل مع المخزون المصطلحي الوارد من المعاجم الأجنبية، فلو كُثفت الجهود، وتضافرت الأدمغة المنتجة، واتفقت على المنهج الواحد لاستقر المصطلح العربي وضبط.

5. إن لم تكن هنالك حاجة لاستيراد المصطلحات الأعجمية فلا ضرورة لاستعمالها في اللغة العربية المتخصصة، بل يجب العودة إلى التراث واعتماد الآليات التي تستنسخ من ذات الخلية الفونيمية العربية كالاشتقاق مثلاً.
6. التحولات الدياكرونيكية للغة العربية تفتح أفقاً جديدة للرقي بها إلى مصاف اللغات العلمية.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابتسام ليلى بن عيسى، تعليمية الترجمة المتخصصة: عوائق وحلول، مجلة علمية محكمة تعنى بإشكالية صناعة المصطلح وتعريبه وترجمته، مخبر تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية وإنجاز معجم موحد لها، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان الجزائر، ع12، السداسي الثاني 2016.
2. أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني وضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر الكويت، مج 20، ع3، أكتوبر– نوفمبر، ديسمبر،1989.
3. إيميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، ط2، 1986.
4. ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، لبنان، ج2.
5. جواد حسني سماعنة، التركيب المصطلحي طبيعته النظرية وانماطه التطبيقية مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، ع50، 2000.
6. جوئيل رضوان، موسوعة الترجمة، تر: محمد يحياتن، مخبر الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو، الجزائر.
7. حذيفة ديالو، توفير الأعضاء البشرية باستخدام تقنية الاستنساخ الجسدي (رؤية مقاصدية)، مجلة عجمان للدراسات والبحوث، دورية محكمة، مج14، ع2، 2015،
8. زيد العامري الرفاعي، المصطلح العلمي والوعي اللغوي، جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات، *www.atida.org › منتديات عتيدة › مصطلحية › متفرقات في المصطلحية*07/01/2009.
9. سعيد الخلادي، المعجم والمصطلح بين الاختلاف والائتلاف، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، ع50، 2000.
10. سمير شريف إستيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب، الأردن ط1، 2005.
11. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد جاد المولى بيك ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد علي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان 1986، ج2.
12. صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، دار هومة، الجزائر، ط4، 2003.
13. صالح عبد العزيز الكريم، الاستنساخ تقنية فوائد ومخاطر، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ع10.
14. عبد الحليم سويدان، مبادئ يركز عليها عند وضع المصطلح، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، مج 75، ج3.
15. عبد القادر شارف، واقع المصطلح اللساني في الترجمة، مجلة الآداب واللغات جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، كنوز للنشر والتوزيع، ع22، 2015.
16. عبد الهادي الإدريسي، في تأصيل المصطلح العلمي، مجلة ترجميات، ع3 أكتوبر 2006.

17. غانم قدوري الحمد، أبحاث في العربية الفصحى، دار عماد، تكريت، 2003 ط1،
18. اللغة العربية في مواجهة التعريب، إدريس بن الحسن العلمي، مجلة اللسان العربي، الرباط، المغرب، ع34، 1990.
19. محمد البطل، فصول في الترجمة والتعريب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 2007.
20. المحمدي علي، بحوث فقهية في مسائل طبية معاصرة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ع10.
21. مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية، دار صادر، بيروت لبنان، ط3، 1995.
22. مهدي صالح سلطان الشمري، في المصطلح ولغة العلمي، كلية الآداب، جامعة بغداد، ط1.
23. موس لبنى أمال، المصطلح العلمي في اللغة العربية، مجلة المصطلح، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، ع12، السداسي الثاني 2016.
24. واضح عبد العزيز، المصطلح العربي مشاكل وحلول، الملتقى الوطني حول المصطلح والمصطلحية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر.
25. وهيبة لرقش، بين الترجمة والتعريب المصطلح العلمي العربي وإشكالية عدم استقراره، المشرف: محمد الأخضر صبيحي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، الجزائر، ص47.

بحوث لغوية

الأداء اللغوي مصطلحاً وتطبيقاً

القسم الأول

أ. د. محمود السيد

سورية

نحاول في هذا البحث أن نتعرف الأداء اللغوي لغةً ومصطلحاً، ونتبين تطبيقه في ضوء الدساتير والقوانين، وفي العملية التعليمية التعلمية، وفي خارج هذه العملية في الإعلام والإعلان، وفي العمل المسرحي والروائي، وفي مراكز التواصل الاجتماعي، وفي مجالات العمل، ثم نقف على بعضٍ من مسببات القصور في الأداء اللغوي، وعلى بعض من مستلزمات النهوض به.

أولاً: مدخل تعريفي

الأداء لغةً من الفعل «أَدَيَ» وأداه أدياً بمعنى قضاه، وأدّى الشيء بمعنى قام به، والاسم الأداء، يقال: هو آدى للأمانة من غيره، وتأدَّى الأمر بمعنى «أنجز»، والأداء هو الإنجاز.[1]

والأداء اللغوي في العملية التربوية هو الإنجاز في ضوء الأهداف المرسومة لتعليم اللغة وتعلمها، وقد يكون هذا الإنجاز ذا نوعية جيدة، وقد يكون غير ذلك.

وتركز التربية المعاصرة على التمهير في تعليم اللغة وتعلمها أي على التجلية والأداء المتقن لا على التحفيظ والتسميع، إذ إن تعليم اللغة على أنه نقل للمعرفة المتمثلة في المصطلحات والقواعد النحوية والصرفية والبلاغية والعروضية... الخ لا يكفي لتكوين المهارة التي نعني بها

---

[1] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، القاهرة ص 10.

الأداء المتقن القائم على الفهم والاقتصاد في الوقت والمجهود معاً.[1]

وطالما تردد في أدبياتنا التربوية حالياً مصطلح «الكفاية» و«الكفاية اللغوية»، والكفاية لغةً جاءت من الفعل (كَفِيَ)، وكفى الشيء يكفي كفاية بمعنى حصل به الاستغناء عن غيره فهو كاف، والكافي هو الذي يكفيك ويغنيك عن غيره، والكفيُّ هو الكافي الذي يكفيك ويغنيك عن غيره، وجمعه أكفياء».[2]

والكفاية اللغوية هي المستوى المتقدم من إتقان اللغة والجودة في استعمالها، وقد ورد في معجم Longman لتعليم اللغة واللسانيات التطبيقية أن الكفاية اللغوية هي «مستوى الجودة لشخص ما في استعمال المهارات اللغوية محادثة وقراءة وكتابة وفهماً، ويمكن أن يختلف هذا المستوى في ضوء مستوى التحصيل اللغوي».[3]

ولقد ظهر مفهوم الكفاية اللغوية في خمسينيات القرن الماضي على يد عالم اللسان الأمريكي نعوم تشومسكي عام 1957، ونظر إليها على أنها «نظام ثابت من القواعد المولّدة التي تمكّن الفرد من إنتاج جمل وتلقي أخرى في لغته الأم، حتّى إنْ كان غير قادر على تفسير ذلك. إضافة إلى أن هذه القدرة غير قابلة للملاحظة من الآخرين».[4]

وفرّق تشومسكي بين الكفاية والإنجاز أو الأداء Performance الذي يفيد استعمال اللغة، فالكفاية اللغوية Competence هي القدرة التي تمكن الإنسان من فهم ما يقال، وتمكنه من صوغ الجمل اللغوية الصحيحة وتركيبها تركيباً نحوياً سليماً، في حين أن الأداء Performance أو الكلام هو القدرة التي تنتج حركة صوتية معينة في الفم، تجعل العضلات الموجودة داخل الفم وخارجه تتحرك على نحو يجعل الإنسان ينطق الأصوات المتعارفة في كل لغات العالم.

---

[1] R.L. Lyman- Summary of investigations relation to grammar language and composition supplementary Educational monographs «Chicago illinois p.13.

[2] وزارة التربية السورية، المعجم المدرسي، دمشق 2007، ص 914.

[3] Longman dictionary of language teaching and applied linguisties secand edition- Prentice. NJ 1987 P292.

[4] وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي المغربية، تكوين الأساتذة المتدربين بالسلك الثانوي، الرباط، 2011، ص 32.

وفي تعليم اللغة على أنها لغة ثانية وليست اللغة الأم كان في أمريكا تساهل في النظر إلى مفهوم الكفاية اللغوية، إذ نظر إليها على أنها القدرة على استقبال الرسائل وإرسالها في مواقف الحياة المختلفة.[1] ولم يكن ينظر إلى السلامة اللغوية، وإنما يكتفى بفهم الرسالة استقبالاً أو إرسالاً في عملية التواصل اللغوي والاجتماعي في منأى عن الصحة والسلامة.

ويرمي تعليم اللغة وتعلمها إلى تحقيق الجودة في الأداء اللغوي متمثلاً في أن:[2]

1. يكتسب المتعلم مهارات استعمال اللغة العربية استعمالاً ناجحاً في الاتصال بغيره محادثةً واستماعاً وقراءة وكتابة.
2. يكتسب مهارات القراءة الجهرية تعرفاً للحروف والكلمات والنطق بها صحيحة وتأدية للمعنى أداء حسناً، وتفاعلاً مع المقروء.
3. يكتسب مهارات القراءة الصامتة فهماً واستنتاجاً وتمييزاً وتحليلاً وتلخيصاً وموازنة ونقداً وتقويماً.
4. يكتسب مهارات الاستماع فهماً دقيقاً لما يقال، واستنتاجاً لما يود المتحدث قوله، وما يهدف إليه، وتحليلاً لكلامه، وتلخيصاً لفِكَره، ونقداً لها.
5. يكتسب مهارات التعبير الوظيفي لقضاء حاجاته وتنفيذ متطلباته في تفاعله مع المجتمع الذي يحيا فيه من كتابة رسائل، وإعداد محاضر جلسات، وكتابة مذكرات، وإلقاء كلمات في المناسبات، إضافة إلى مهارات التعبير عن النفس، وما يقع تحت الحس كلاماً وكتابة في أسلوب واضح منظم.
6. يكتب كتابة صحيحة بأسلوب سليم خال من الأخطاء الإملائية والنحوية.
7. يعبّر شفاهياً عن فكره وحاجاته واهتماماته ورغباته وميوله تعبيراً سليماً خالياً من الأخطاء.
8. يكتسب مهارات التذوق الأدبي وإدراك الجمال والتناسق في النصوص الأدبية التي يتفاعل معها.

---

[1] الدكتور محمود السيّد، **في الأداء اللغوي**، وزارة الثقافة السورية، دمشق 2005، ص 90.

[2] الدكتور محمود السيّد، **في الأداء اللغوي**، المرجع السابق.

9. يكتسب عادة الإقبال على القراءة الحرة بشغف ومحبة حتى يغدو الكتاب صديقه الذي لا يمل مصاحبته.
10. يكتسب عادة البحث عن الكلمات والتفتيش عنها في المعاجم والموسوعات بحثاً عن معانيها واستعمالاتها الحرفية والمجازية والاصطلاحية.
11. يوظّف ما يحصل عليه ويكتسبه من مفردات وتراكيب وفكر وقيم واتجاهات وصور وأخيلة من قراءاته في مواقف التعبير الشفاهي والكتابي.

ثانياً: الأداء اللغوي في ضوء الدساتير والقوانين

تنص دساتير الدول العربية على أن اللغة الرسمية في الدولة هي اللغة العربية، إلا أن هذه اللغة لا تحظى بالرعاية والعناية والاهتمام على صعيد الواقع، مع أن رؤساء الدول العربية وملوكها وأمراءها قد أقسموا اليمين على احترام دستور البلاد وتطبيق القانون. واللغة العربية بحكم الدستور والقانون هي اللغة الرسمية في الدولة، إلا أنهم لم يجسّدوا هذا الاحترام للغتهم على أرض الواقع استعمالاً لها صحيحة وسليمة على ألسنتهم وأقلامهم في خطبهم وبلاغاتهم، ولا محاسبةً ومساءَلةً للآخرين عندما يتجاوزون حدودهم ويعتدون على حرماتها، وإذا نغمات نشاز تدعو إلى استبعاد العربية واعتماد الأجنبية إنجليزية كانت أو فرنسية في العملية التعليمية التعلمية على أنها لغة كونية، وسمعنا هذه المعزوفات من أعضاء في مجامع اللغة العربية ماضياً وحاضراً، فابتلينا – نحن العرب– بإهمالنا للغتنا، وبغرورنا أن سواها أعمق وأبهى وأفتى وأقرب إلى مقومات الحضارة الحديثة، «والنتيجة صغرنا في أنفسنا دون أن نكبر في أنفس الحاكمين حتى صرنا لا ننتخي لبيان عربي ولا لبلاغة عربية» على حد تعبير الدكتور كمال يوسف الحاج الذي يتابع قائلاً: «لا أبالغ إذا قلت إن معظم مشكلاتنا الاجتماعية سببه التنازل عن واحدنا الأحد، عن تاريخنا الواحد، عن لساننا الواحد، عن أرضنا الواحدة، عن تراثنا الواحد، عن إرادتنا الواحدة، وليس في العالم شعب يريد إدخال عفاف على عفافه، إذ إن كل أمة عزيزة الجانب، أبيّة الخلق، ثابتة الإرادة، تقدم لغتها على لغة سواها، ولا تتناول الأشياء الأخرى إلا من بعد أشيائها القومية،

أي من وراء حدودها الوطنية».[1]

ويؤكد هذا المنحى الدكتور عبد الله العروي في قوله: «ونحن في الوطن العربي لا نجد سوى الإهمال، وترك الأمور تتطور كما كتب لها، فليس هناك قرار تعريب جدّي ولا قرار مضاد. ولما كان إهمال الأمور يعني في الحقيقة استمرار التخلف والتبعية والأمية، فكل قرار يستهدف التقدم والتطور يتساوى منطقياً مع قرار التعريب، فمضمون القرارين واحد، هو سياسة قومية تخطط لمستقبل عربي. ولما كان مشكل التعريب قائماً حتى الآن فهذا دليل على أن القرار الوحدوي لم يتخذ فعلاً في الكيان العربي. أما السلطات الخاضعة لمنطق الإقليمية فإنها لن تجرؤ على تبني الإصلاح، لأنها تعتمد الازدواجية سياسة، تحافظ على اللسان القديم لتكسب قدراً من الشرعية، وتفسح في المجال لنشر لسان أجنبي لتحقيق قدر من التحديث، وتترك الحرية للهجات لتضمن قدراً من الاستقلال الداخلي. ومن هنا كان لابد للعرب من أن يفكروا بكيفية حديثة مع أنفسهم وبلسانهم لا مع غيرهم فقط وبلسان الغير».[2]

ويدل الواقع الفعلي للتعريب في الدول العربية على عدم اتخاذ القرار الحاسم لاعتماد العربية وتبنيها في التعليم الجامعي ما عدا سورية التي اعتمدت لغتها القومية بعد أن حصلت على استقلالها، كما يدل «على بقاء الأمور معلّقة واستمرار التخلف والتبعية والأمية وعدم استنبات العلم عربياً، وتسيّب لغوي قومي، وشعور بالتصاغر والتكابر، التصاغر تجاه الثقافة الأجنبية، والتكابر تجاه الثقافة القومية، وتراث الأمة الحضاري».[3]

ويعدّ احترام اللغة من احترام الذات، ومن تجليات الاعتزاز بالانتماء، ولغتنا العربية لم تهزم، لكن أبناءها هم المنهزمون عندما تخلّوا عنها وازدروها، وليس ذلك أعجب ما في الأمر، وإنما

---

[1] الدكتور كمال يوسف الحاج، **في فلسفة اللغة**، دار النهار، بيروت 1967، ص 6.

[2] الدكتور عبد الله العروي، **ثقافتنا في ضوء التاريخ**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، سنة 1988، ص 28.

[3] الدكتور محمود أحمد السيّد، **في قضايا التعريب**، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق 2010 ص 47.

الأعجب أن السلطات والمسؤولين وأغلب مؤسسات المجتمع تقف متفرجة ومحايدة تجاه ذلك الانتحار اللغوي على حدّ تعبير فهمي هويدي،[1] الذي يرى أن تدهور أوضاع اللغة العربية والازدراء بها ما هو إلا تعبير عن الهزيمة الحضارية، وقديماً قيل: إنّ اعوجاج اللسان علامة على اعوجاج الحال، وهذا الأمر إن صح، فإنه يدلنا على أن المشكلة ليست في ألسنة اعوجت ولغة تدهورت، وإنما هو استسلام للهزيمة والانكسار وشعور باليأس من الحاضر والمستقبل.

ثالثاً: الأداء اللغوي في العملية التعليمية التعلمية

سبقت الإشارة إلى أن دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة الرسمية في الدولة هي اللغة العربية، على أن تتجلى سيرورة وانتشاراً في جميع شؤون الحياة تعليماً وإعلاماً وإدارة وتراسلاً..الخ. ونحاول فيما يلي تعرّف واقع تعليم اللغة العربية وتعلمها في مرحلة التعليم العام أولاً، ومن ثم في التعليم الجامعي ثانياً.

1. **واقع تعليم اللغة العربية في التعليم العام في الوطن العربي:** إذا ألقينا نظرة على واقع تعليم اللغة العربية في التعليم العام في الوطن العربي فإننا نلاحظ في الجدول (1) أن تعليم اللغة العربية يبدأ من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، ويستمر بها حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية (الحكومية).

أما المدارس الخاصة فإن بعضها يدرّس المواد باللغة العربية فقط كما هي عليه الحال في ليبيا وسورية، إلى جانب مناهج إثرائية لمواد العلوم والرياضيات باللغة الأجنبية إلى جانب العربية في سورية، وهي التي تعلّم بها جميع المواد في المدارس الخاصة والرسمية.

[1] فهمي هويدي، **لغتي هويتي**، مدونة تعنى بشؤون اللغة العربية، أهوتك ايه؟ مايو 2009.

الجدول (1): واقع تعليم اللغة العربية في التعليم العام في الوطن العربي

الدولة	واقع تعليم اللغة العربية
الكويت	يبدأ تعليم اللغة العربية وتعليم المواد بها من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، ويستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية. أما المدارس الخاصة فتعلم باللغتين العربية وبعض المواد بالأجنبية معاً.
قطر	يبدأ تعليم اللغة العربية من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، وفي المدارس المستقلة التي تشرف عليها الدولة اعتمدت اللغة الإنجليزية لتدريس مواد العلوم والرياضيات والحاسوب.
ليبيا	يبدأ تعليم اللغة العربية من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، وتعلّم جميع المواد في هذه المرحلة وفي المرحلة الثانوية باللغة العربية في المدارس الرسمية والخاصة.
لبنان	يبدأ تعليم اللغة العربية من الصف الأول في المدارس الرسمية و30% من المدارس هي رسمية تدرّس بالعربية و30% تدرّس مواد بالفرنسية و30% تدرّس مواد بالإنجليزية، وذلك من الصف الأول حتى الخامس، ومن الصف السادس إلى نهاية المرحلة الثانوية يصبح 60% للفرنسية و40% للإنجليزية. والمواد التي تدرّس باللغة الأجنبية هي العلوم الفيزيائية والكيميائية وعلوم الحياة والتكنولوجيا والمعلوماتية. أما المواد الأدبية فتدرّس بالعربية في المدارس الرسمية والخاصة إلا في عدد قليل من المدارس الخاصة فتعلم الفلسفة والاقتصاد والاجتماع باللغة الأجنبية.
تونس	يبدأ التعليم من الصف الأول ويستمر في التعليم الأساسي والثانوي باللغة العربية في المدارس الرسمية، وباللغتين العربية والفرنسية في المدارس الخاصة.
سورية	يبدأ التعليم من الصف الأول، ويستمر تعليمها والتعلم بها حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية والخاصة، وثمة مناهج إثرائية باللغة الأجنبية في بعض المدارس الخاصة لمواد العلوم والرياضيات إلى جانب اللغة العربية.
السعودية	يبدأ التعليم من الصف الأول ويستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية باللغة العربية، وصدر أخيراً عن وزارة التربية والتعليم نظام جديد يسمح للمدارس الأهلية (بنين وبنات) بتعليم جميع المواد بلغة غير عربية ما عدا العلوم الدينية والعربية.
الأردن	يبدأ التعليم بالعربية من الصف الأول ويستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية في

	المدارس الرسمية والخاصة، ما عدا بعض المدارس الخاصة فتعلم المواد العلمية باللغتين العربية والإنجليزية.
المغرب	يبدأ التعليم بالعربية من الصف الأول ويستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية والخاصة، وفي المدارس الخاصة تُعلّم بعض مواد التعليم التقني والتجاري والصناعي والفنون باللغة الأجنبية.
سلطنة عمان	يبدأ التعليم بالعربية من الصف الأول، ويستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية. أما المدارس الخاصة فيكون التعليم فيها باللغتين العربية والأجنبية.
الجزائر	يبدأ التعليم بالعربية من الصف الأول ويستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية. أما في المدارس الخاصة فتعلم بعض المواد باللغة الأجنبية.

ونلاحظ أيضاً أن دولة قطر تنفرد في أن المدارس المستقلة التي تشرف عليها الدولة اعتمدت اللغة الإنجليزية لغة لتعليم مواد العلوم والرياضيات والحاسوب.

أما المدارس الخاصة في كل من الكويت وتونس والأردن وسلطنة عمان فتعلّم باللغتين العربية والأجنبية.

ويتبيّن من الجدول أن ثمة مواد تدرّس باللغة الأجنبية في التعليم العام في كل من لبنان والمغرب والجزائر، وأن المواد التي تدرس باللغة الأجنبية في لبنان هي العلوم الفيزيائية والكيميائية وعلوم الحياة والتقانة (التكنولوجيا) والمعلوماتية، وفي المغرب تعلّم مواد التعليم التقني والتجاري والصناعي والفنون باللغة الأجنبية.[1]

ويتضح من المعلومات السابقة عن واقع التعليم باللغة العربية في التعليم العام في الوطن العربي أن ثمة غياباً للسياسة اللغوية على نطاق الساحة القومية، إذ ليس ثمة تخطيط لغوي في ضوء سياسة لغوية واضحة ترسم الموقف من تعليم مواد المعرفة باللغة القومية وحدها في مرحلة

[1] الدكتور محمود السيّد وآخرون، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **الخطة العامة لتعريب التعليم**، تونس 2011، ص 24.

التعليم الأساسي والمرحلة الثانوية، وذلك في المدارس الرسمية والخاصة. أما ما لاحظناه من اضطراب في المواقف وبوجهٍ خاص في المدارس الخاصة فإنه يشكل ثغرة في النظام التعليمي العربي، إذ إن الاقتصار على تعليم بعض المواد باللغة الأجنبية دون العربية يعد عملاً سلبياً في صرح لغتنا العربية ونظامنا التربوي.

2. **واقع تعليم اللغة العربية في التعليم الجامعي في الوطن العربي:** لو وقفنا على واقع اللغة المستعملة في التدريس الجامعي في الوطن العربي لوجدنا أن دول المغرب العربي تدرّس باللغة الفرنسية، فهي اللغة المهيمنة في هذه الدول وإن كانت الإنجليزية بدأت تزاحم الفرنسية في السنوات الأخيرة، أما الإنجليزية في دول الخليج العربي فهي المهيمنة أيضاً، ففي المملكة العربية السعودية تدرّس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالإنجليزية وكذلك مؤسسات التعليم الخاص تدرّس بها أيضاً في كلية الرياض للصيدلة وطب الأسنان. أما جامعة الملك سعود فتدرّس باللغتين العربية والإنجليزية، وتدرّس جامعتا الملك خالد والملك فيصل باللغة العربية ولكن يسمح بتدريس بعض المواد بالإنجليزية.

أما جامعتا أم القرى والجامعة الإسلامية فتدرّسان بالعربية.

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة تدرّس جامعة الإمارات بالإنجليزية في جميع الكليات ما عدا كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية واللغة العربية. وتدرّس جامعة عجمان الخاصة بالإنجليزية في الكليات العلمية وبالعربية كليات الآداب والعلوم الإنسانية. أما الجامعات الخاصة (الجامعة الأمريكية في الشارقة) وجامعة العين، وجامعة الحصن) فتدرّس بالإنجليزية وتدرّس جامعة باريس باللغة الفرنسية.

وفي جامعة قطر تدرّس المواد بالإنجليزية تدريساً كاملاً في المدينة الجامعية، كما تدرّس الكليات العلمية باللغة الإنجليزية.

وفي دولة البحرين تدرّس جامعة الخليج العربي بالعربية ما عدا كلية الطب وكلية تكنولوجيا المعلومات فتدرّسان بالإنجليزية. أما الجامعات الخاصة (جامعة نيويورك وجامعة البحرين الطبية

والجامعة الملكية للبنات وجامعة دلمون للعلوم والتكنولوجيا وجامعة بنتلي) فتدرّس كلها بالإنجليزية.

وفي الأردن تستعمل العربية لغة تدريس في الكليات الإنسانية والاجتماعية في الجامعات الرسمية والخاصة، وتستعمل اللغة الإنجليزية الممزوجة بالعامية في التخصصات العلمية والطبية والهندسية وإدارة الأعمال والمحاسبة والاقتصاد والعلوم الإدارية. وتستعمل اللغة الإنجليزية في جميع التخصصات في جامعة الأميرة سمية الخاصة. وفي الجامعة الألمانية الأردنية تدرّس الإنجليزية في السنوات الثلاث الأولى والألمانية في السنتين الرابعة والخامسة إضافة إلى تدريس الإنجليزية متطلباً جامعياً على أنها امتحان كفاءة في اللغة الإنجليزية وامتحان كفاءة في اللغة الألمانية قبل الالتحاق بالسنة الرابعة. ويجري التدريس باللغة الإنجليزية في جامعة نيويورك للتكنولوجيا.

وفي مصر يجري التدريس باللغة العربية في كليات الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعات الحكومية في حين يكون التدريس في الكليات العلمية والطبية والهندسية والاقتصاد والعلوم الإدارية وإدارة الأعمال بالإنجليزية الممزوجة بالعامية. أما الجامعات الخاصة فتدرّس باللغة الإنجليزية.

وفي لبنان يجري التدريس في الجامعة اللبنانية باللغات الثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية بحسب الكلية واختيار الطالب، في حين يجري التدريس في الجامعة الأمريكية والجامعة الأمريكية اللبنانية بالإنجليزية. أما جامعة البلمند والجامعة الفرنسية وجامعة نوتردام وجامعة سانت جوزيف فتدرّس كل منها بالفرنسية.

أما التدريس في سورية فهو بالعربية في جميع الكليات الجامعية وفي مختلف التخصصات، إن في الجامعات الحكومية، أو في الجامعات الخاصة، ما عدا مقررين اثنين يدرسان بالإنجليزية في الجامعات الخاصة.

وفي السودان شقّ التعريب طريقه إلى الكليات الجامعية وفي مختلف التخصصات منذ عام

1990، إلا أن الإنجليزية هي المستعملة في جنوب السودان.

ويتضح من خلال هذا الواقع أن اللغة العربية ليست بأحسن أحوالها، فهي مستبعدة في الأعم الأغلب في الجامعات الخاصة، إذ تحل محلها الإنجليزية في دول الخليج العربي، والفرنسية في دول المغرب العربي، كما تحل محلها في الكليات العلمية في الجامعات الحكومية في دول الخليج العربي، وانحصر استعمال العربية في كليات الآداب والعلوم الإنسانية في الأعم الأغلب.

3. **مستوى الأداء اللغوي في العملية التعليمية التعلمية:** ثمة شكوى على الصعيد العربي من ضعف الأداء اللغوي في العملية التعليمية التعلمية. ولم يكن هذا الشعور بتدني مستوى الأداء في هذه العملية وليد أيامنا الحاضرة فقط، وإنما كان قد أشار إليه من قبل كثير من الباحثين والمثقفين، فها هو ذا الدكتور طه حسين في ثلاثينيات القرن الماضي يقول: «إنك تستطيع أن تمتحن تلاميذ المدارس الثانوية والعالية، وتطلب إليهم أن يصفوا لك في لغة عربية واضحة ما يجدون من شعور أو إحساس أو عاطفة أو رأي فلن تظفر منهم بشيء، ولن تظفر من أكثرهم بشيء، فإن وجدت عند بعضهم شيئاً فليس هو مديناً به للمدرسة، وإنما هو مدين به للصحف والمجلات والأندية السياسية والأدبية».[1]

وها هي ذي الدكتورة بنت الشاطئ في ستينيات القرن الماضي تقول: «قد يمضي المتعلم في الطريق التعليمي إلى آخر الشوط، فيتخرج في الجامعة، وهو لا يستطيع أن يكتب خطاباً بسيطاً بلغة قومه، بل قد يتخصص في دراسة اللغة العربية حتى ينال أعلى درجاتها، ويعييه مع ذلك أن لا يملك اللغة التي هي لسان قومه ومادة تخصصه».[2]

وها هو ذا الدكتور سعيد التل يقوم بدراسة شاملة عن مستوى طلاب الجامعات الأردنية في اللغة العربية في تسعينيات القرن الماضي، فوجد أن ثمة تدنياً في مستوى الأداء تمثَّلت مظاهره في الضعف في القدرة التعبيرية، والعجز أحياناً عن التعبير الإبداعي والصياغة الجيدة للعبارات،

---

[1] الدكتور طه حسين، **في الأدب الجاهلي**، طبعة مصر، القاهرة، 1933، ص 7.

[2] الدكتورة عائشة عبد الرحمن، **لغتنا والحياة**، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1970، ص 191.

وشيوع الأخطاء اللغوية، وعدم الدقة في استعمال المفاهيم والخلط بينها، والافتقار إلى مهارات القراءة الجهرية الجيدة، والقصور في مهارة الاستماع، وفي آداب الاستماع، والعجز عن القراءة الناقدة.[1]

ويتجلى القصور في أداء المتعلمين اللغوي في عدم تمثل المهارات الفرعية لكل من الاستماع والقراءة، والقصور في إدراك الفكر الأساسية والفرعية والمرامي والغايات البعيدة في ما وراء السطور.[2] كما يتجلى القصور في أداء المتعلمين والمتخرجين في مدارس التعليم العام والجامعي في عدم إقبالهم على القراءة الحرة التي تمدهم بالثروة اللفظية والفِكَر والاتجاهات والقيم، وتوسع مداركهم وآفاقهم، وتجعلهم متميزين في نهضة مجتمعهم، ويتجلى القصور في ضآلة رصيدهم الحفظي من الشواهد الشعرية والنثرية، إن لم يكن معدوماً في الأعم الأغلب، والقصور في بحثهم عن معاني المفردات في المعاجم.

وفي دراسة أنجزتها مؤسسة الفكر العربي في بيروت عام 2011 عنوانها «استطلاع رأي طلاب ما قبل التعليم الجامعي»،[3] وذلك بعد أن وجهت استبانات إلى عينة من الطلاب بنين وبنات في نهاية التعليم العام في الوطن العربي، وقد شمل التوزيع الجغرافي كلاً من لبنان وسورية والأردن وفلسطين المحتلة والسعودية ومصر وتونس والمغرب وقطر وموريتانيا والسودان والصومال والعراق، تبيّن في هذه الدراسة أن اللغة المعتمدة في المدرسة في تدريس مواد العلوم والرياضيات هي اللغة الأجنبية، وتجدر الإشارة إلى أن أغلب طلاب العينة المستجوبة من المدارس الخاصة لا الرسمية، إذ أشار 41.4% من الطلبة إلى أن الإنجليزية هي المعتمدة، وأشار 33.5% منهم إلى أن الفرنسية هي المعتمدة، في حين أن نسبة من أشاروا إلى ثنائية اللغة بلغت 6.8%.

---

[1] الدكتور سعيد التل، **قواعد الدراسة في الجامعة**، عمان، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1997.

[2] الدكتور محمود السيّد، **في الأداء اللغوي**، وزارة الثقافة السورية، دمشق 2005، ص 95.

[3] مؤسسة الفكر العربي، **استطلاع رأي طلاب ما قبل التعليم الجامعي**، بيروت، 2011.

وتبين أن امتحانات مواد العلوم والرياضيات تُجرى باللغة الإنجليزية بنسبة قدرها 43.9% وبالفرنسية بنسبة قدرها 33.5% وبالعربية في المرتبة الثالثة بنسبة قدرها 19.9%.

وأبان 93.4% من الطلبة أنه لا يسمح لهم بالإجابة عن أسئلة مواد العلوم والرياضيات في الكتابي والشفهي باللغة العربية. أما اللغة المعتمدة في شرح الدروس في العلوم والرياضيات فكانت مزيجاً من العامية والأجنبية بنسبة قدرها 47.5% وبالأجنبية بنسبة قدرها 15.8% وبالعامية بنسبة قدرها 8.7%، وجاءت العربية الفصيحة في المرتبة الأخيرة بنسبة قدرها 4.3%.

وتدل هذه النسب على أن واقع الأنظمة المطبقة في المدارس يساعد أيَّما مساعدة على إقبال الطلاب على استعمال اللغة الأجنبية مادامت الدروس تشرح بها، والامتحانات تؤدى بها، وأنه لا يسمح للطلاب بتأدية امتحاناتهم بالعربية.

وتسود العامية في لغة التواصل بين الطلاب، إذ وصلت نسبة استعمالها إلى 81.3% في حين بلغت نسبة استعمال ازدواجية اللغة (الفصيحة والعامية) 6.22%، واستعمال ثنائية اللغة (أجنبية وفصيحة) 6.3%، وجاءت الفصيحة في المرتبة الأخيرة، إذ بلغت نسبتها 3.5%.

أما السبب في عدم التواصل مع الأساتذة بالفصيحة فأرجعه 31.4% من الطلاب إلى خوف الوقوع في الخطأ، و30.3% إلى صعوبة اللغة العربية وتعقيدها، وتجدر الإشارة إلى أن غياب القدوة الحسنة في استعمال العربية إنْ من المعلمين أو المتعلمين هو سبب أساسي في عدم التواصل، وأن ثمة أخطاء يرتكبونها عند ممارستهم العربية الفصيحة.[1]

رابعاً: الأداء اللغوي في خارج العملية التعليمية التعلمية

يتسم الأداء اللغوي في خارج نطاق العملية التعليمية التعلمية بالهجين اللغوي تارة، وباستعمال اللهجة العامية تارة أخرى، وتَكْبُر المأساة في دول الخليج العربي كما يقول أحد أبنائها: «عندما

[1] الدكتور محمود السيد، **الكفايات اللغوية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي**، مجلة التعريب، العدد 43، 2012/12، ص 23.

تجعل اللغة الإنجليزية هي الأساس في مكاتباتها وشركاتها وفي عقودها الداخلية بين أبنائها مهما صغر حجم هذه العقود مثل عقد استئجار منزل مثلاً، كأنَّ لغتهم تعجز عن استيعاب هذه المسائل. أما الفنادق والمطاعم فحدّث ولا حرج، فكل العاملين فيها لا يتكلمون بلغتهم، وجرّب أن تتصل بفندق في أي مكان في بلادنا فتستمع إلى محدثك وهو يجيبك بغير لغتك ولغته! أي مصلحة في ذلك؟ وهل رأيتم أي دولة في العالم تفعل مثل ما نفعل في بلادنا العربية؟».[1]

ويضيف إلى ذلك قائلاً: «ثم التفت إلى اللوحات التي تملأ الشوارع فسترى أن الإنجليزية غالباً هي المتصدرة، وكأن كل فرد في المجتمع لا يعرف إلا هذه اللغة، ثم التفت إلى اللوحات المماثلة في أي بلد في العالم فهل سترى كلمة عربية على لوحاتهم؟».[2]

ومن الملاحظ تهميش العربية وانكفاؤها لتحتل من حيث الاستعمال مرتبة أخيرة في بعض أصقاع الوطن العربي، ففي مدونة «لغتي هويتي» يشير الدكتور وائل عزيز إلى أن ثمة إحصاء أجري في دبي أسفر عن أن اللغة العربية هي اللغة الرابعة من حيث الانتشار، إذ كانت الأوردية في المرتبة الأولى من حيث الاستعمال، والإنجليزية في المرتبة الثانية، ولغة «فيه معلوم» في المرتبة الثالثة، وهي خليط من الأوردية والعربية والإنجليزية والروسية ابتكره المقيمون في دبي للتواصل في المحالّ وسيارات الأجرة، وجاءت العربية في المرتبة الرابعة والأخيرة.

وفي معظم الدول العربية يندر أن تجد إعلاناً عن وظيفة محترمة مكتوباً بالعربية، وتجد دائماً أن الشرط الأساسي لمؤهلات المتقدم للوظيفة وترجمتها أن يجيد الإنجليزية كتابة وحديثاً، ويعد التحدث بالعربية ميزة إضافية فقط.

ومن الملاحظ في ظل الهيمنة الاقتصادية أن الشركات الأجنبية تروّج للغة الإنجليزية في البلاد العربية، فأضحت اللغة الإنجليزية لغة الأعمال التجارية والمصرفية والسياحية، وأقصيت العربية عن مجالات العمل الاقتصادية، بل حوربت حرباً شعواء، وأصبح اجتياز امتحان اللغة

---

[1] محمد علي الهرفي، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 426، الثلاثاء 28 نيسان 2008.

[2] المرجع السابق.

الإنجليزية محادثة وكتابة بنجاح شرطاً من شروط التعيين في القطاعين العام والخاص، وصارت الإنجليزية لغة طبيعية مطلوبة في كثير من الأنشطة في الحياة العامة في المجتمع كالوظائف الطبية والمؤسسات التجارية والشركات السياحية... الخ.

ولقد تسربت المئات من ألفاظ الإنجليزية وصيغها إلى العاملين في المجالات الاقتصادية، وقد تضاعف هذا التسرب واتسعت مجالاته مع ازدياد حركة التجارة والاستيراد، حيث امتلأت الأسواق بمختلف أنواع البضائع والأدوات والأجهزة والمعدات الأجنبية وألعاب الفيديو والحاسوب وغيرها حاملة معها أسماءها وصفاتها وعناوينها وتعريفاتها بلغات البلدان التي أنتجتها وصدّرتها، وأغلبها من البلدان الناطقة بالإنجليزية.[1]

وثمة ظاهرة أخرى في دول الخليج العربي تتمثل في انتشار اللهجات العامية واختلافها في النطق والأداء والتصريف لدى العمالة الآسيوية، وهذه اللهجات لم يعد تهديدها للعربية في الأسواق ومجالات العمل فقط، وإنما تعدّى ذلك إلى داخل البيوت نفسها، حتى إنك لتجد داخل البيت الواحد عدة جنسيات تتكلم لغات عدة، وتختلط بالأطفال في سن التأثير والتلقي، فينشأ الطفل بعيداً عن لغة أمه العربية التي قلما تتفرغ له، وعن لغة أبيه المشغول عنه بعمله وتجارته ومهنته وأصدقائه.[2]

وإذا أضفنا إلى ذلك كله انتشار الشعر النبطي على حساب الشعر العربي الفصيح حيث تقام له المهرجانات، وتخصص له الجوائز الكبيرة، أدركنا حجم التحديات التي تواجهها اللغة العربية في دول الخليج العربي.

وليست دول المغرب العربي في منأى عن هذه التحديات، فهنالك عدة لغات متنوعة إلى

---

[1] الدكتور محمود أحمد السيّد، **النهوض باللغة العربية والتمكين لها**، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 2013، ص 53.

[2] الدكتور يوسف القرضاوي، **اللغة العربية في دولة قطر بين العناية والشكوى**، مجلة الحياة الفكرية، العدد الثاني، وزارة الثقافة السورية، 2009، ص 127.

جانب العامية كالأمازيغية والفرنسية والإسبانية والإنجليزية، وهذا يشكل خليطاً لغوياً هجيناً ناتجاً عن استعمال لغة على حساب أخرى.

وفي الجزائر والمغرب يعتقد الناس أن الفرنسية هي اللغة الراقية التي تتيح فرص العمل والرقي الاجتماعي والاقتصادي لمن يتقنها، وأن اللغة الوطنية عائق دون هذه الميزة، فتهيمن الفرنسية على السوق اللغوي، وتكون عنصراً ضاغطاً يعمّق هيمنة النخبة الناطقة بها، ويرسّخ التبعية واللا مساواة الاجتماعية والثقافية واللغوية، وغدت الفرنسية أداة لسيطرة النخبة المتقنة لها، وعنصراً طبقياً ذا قيمة اقتصادية تتولى الأعمال المهمة في المجتمع على حساب العربية، وما يزال المؤهلون بالعربية يعانون التهميش في سوق العمل، في حين أن سوق العمل مفتوح للمؤهلين بالفرنسية في الإدارة والاقتصاد.[1]

وللبحث تتمة ....

[1] الدكتور محمود أحمد السيّد، **النهوض باللغة العربية والتمكين لها**، مرجع سابق ص 54.

اللغة العربية في التعليم العالي: محطات واحتمالات

د. قاسم طه السارة
المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية
لشرق المتوسط – مصر

الهدف الذي تتوخى هذه الورقة تحقيقه هو استعراض مواطن القوة التي كانت تبعث التفاؤل بأن التعليم باللغة العربية أمر وشيك لا ريب فيه، ومكامن الضعف والتعثر التي سببت إعاقة مسيرته وإيقافها أحياناً وتراجعها أحياناً أخرى. ولم تتضمن الورقة سرداً لتفاصيل المؤتمرات التي عُقِدَتْ للتحضير للتعليم باللغة العربية، لكثرة عددها وغزارة محتواها، كما أغفلت الورقة ذكر البراهين التي احتجَّ بها الفريق الذي كان يدعو إلى التعليم باللغة العربية، والفريق المناهض له، على مدى العقود السبعة المنصرمة، وحاولنا رسم لوحة "بانوراميَّة" للمشهد، تحفظ لكل طرف من هذين الطرفين حقه في التعبير عن رأيه، ولا تقلِّل من شأنه، أو تشكِّك في إخلاصه لأمته ووطنه، أو تغمز في دوافعه أو انتمائه، مع تقديم حُسْن النيَّة فيما يذهب إليه، وسلامة القصد الذي رمى إليه،[1] وسنعوِّض عن ذلك الإيجاز المُخِلّ بالإشارة إلى المصادر للاستزادة.[2]

---

[1] الأستاذ الدكتور ممدوح خسارة، نحو مصالحات لغوية ومصارحات، **اللغة العربية في ظل العولمة في التعليم العالي، العربية: الراهن والمأمول**، عدد خاص أصدره المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر، 2009، الصفحات 149-167.

[2] من الأمثلة على مصادر الاستزادة من المعلومات حول "مؤتمرات التعريب" موقع مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على الشابكة: http://www.arabization.org.ma/bca/portals/

مقدمة

تعتبر لغة التعليم العالي من المواضيع التي حظيت بأهمية كبيرة لدى الباحثين التربويين والمتخصصين بالعلوم البحتة والتطبيقية فضلاً على المدرِّسين والطلاب أنفسهم والمجتمع بكماله،[1] فجميعهم حين يفكّرون بالنّهوض والتّقدّم يصوّبون أنظارهم قِبَل الجامعة، وهم يعتقدون أن ما يطرأ على المجتمع من تحوّلاتٍ يجد صداه في رحاب الجامعة، وأنّ التّعليم الجامعيّ يؤثّر في المجتمع ويتأثّر به، وأن مناهج التعليم العالي هي انعكاسات صادقة وأمينة للتوجّهات السائدة في قطاعات المجتمع وفي مؤسّساتِه، وأن المرجوّ منها أن تبادر إلى تذليل مشكلات المجتمع وحلّ معضلاته،[2] وأن في أروقة الجامعات يُصاغ الفكر الجمعيّ، حتى قيل إن المجتمع يلقي على كاهل الجامعة مهمّة النّهوض به.[3]

وقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين شموخاً في سقف التطلعات إلى إحلال اللغة العربية مكانةً رفيعة في التعليم العالي وفي البحوث وفي النشر الأكاديمي، وكان من الغريب آنذاك أن تسمع صوتاً يدعو إلى اتخاذ نهج وسط بتدريس العلوم البحتة باللغة الأجنبية وعرض العلوم الاجتماعية باللغة الأم، أو تدريس الطلاب نصف أو ثلث المنهج بلغة أجنبية "كونية" وبقية المنهج باللغة الأم،[4] على حين أصبح من الشائع في أيامنا هذه أن نرى أو نقرأ أو نسمع عن تطلعات ترنو بطرف حسير إلى استبقاء اللغة العربية في الكليات الأدبية وفي نشر الدراسات الاجتماعية، وإلى إدخال تدريس مادة واحدة، ولو كانت ثانوية، في الكليات العلمية والتطبيقية،

---

[1] الأستاذ الدكتور حسن بشير (رئيس مجمع اللّغة العربيّة بالخرطوم): **اللّغة العربيّة في التّعليم الجامعيّ والبحث العلميّ: دعوةٌ لمنهجيّةٍ قوميّةٍ للتّخطيط والتّنفيذ**، ألقي البحث ضمن أعمال مؤتمر مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة الثالث والثمانين: اللّغة العربيّة في التّعليم ومسؤوليّة الأمّة، 2017/1438.

[2] الأستاذ الدكتور علي القاسمي، الجامعة والتنمية، دار المعرفة للجميع، الرباط، 2002، الصفحات 7-11.

[3] الأستاذ الدكتور محمّود فوزي المناوي، **العلم واللّغة**، 2013، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، الصفحة 9.

[4] الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد، **الهوية ولغة التعليم في البلاد العربية**، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 2013/1434، تصدير، الصفحتان 7 و8.

ومقابل تلك التطلعات تيار كاسح يدعو إلى الاقتصار على تدريس الطلاب باللغة الأجنبية "الكونية".

وبعد التوقف عند كل محطة من المحطات التي مرت بها مسيرة اللغة العربية في التعليم العالي، يكون من الطبيعي أن يحتفظ المرء بالتفاؤل في المستقبل وفي ما يحمله من فرص أو احتمالات تحيي الآمال، ومن الطبيعي أيضاً أن يستعد المرء لمجابهة أسوأ الاحتمالات، وهذا ما تَطْمح هذه الورقة إلى عرضه. وقبل الولوج في صلب الموضوع أجد من الواجب عليّ أن أوضِّح بعض النقاط الجوهرية التي تمسُّ جوهره:

1. إن الآراء التي تتضمنها هذه الورقة ما هي إلا انطباعات شخصية، وملاحظات مرحلية، لا تمثل بحالٍ من الأحوال حقائق مُثْبَتة ببراهين قاطعة، ولا تقف عند نهاية الأحداث، وإن العزم معقود على متابعة المراقبة والاطلاع على ما يستجد في هذا الشأن.
2. استعملتُ مصطلح "التعليم العالي باللغة العربية" بدلاً من "تعريب التعليم الجامعي"، فمصطلح "التعليم العالي باللغة العربية" تتوفر له دلالة واضحة على المعنى المقصود، ويزداد شيوعه في الأدبيات المنشورة، أما مصطلح "تعريب التعليم الجامعي" فقد كان شائعاً في العقود المنصرمة، قبل السنوات العجاف التي عانت منها الشعوب العربية أخيراً، والتي ألقت بظلالها البغيضة على بعض المصطلحات، ومنها "التعريب"، وأتاحت الفرصة للمتعصبين من كافة الأطراف لبذر الفرقة بين أبناء الوطن الواحد وذلك بتركيزهم على حقوق الإخوة غير العرب باستعمال لغاتهم التاريخية إلى جانب أو بدلاً من العربية، ما داموا مواطنين في الدول العربية.[1]
3. لطالما قال الأقدمون أنه "لا مُشَاحَّة [ولا تنازُع] في الاِصْطِلاح [إذا حصل الاتفاق على المفاهيم والمعاني]"، فإذا كان الهدف الذي يُدَنْدِن حوله جميع العاملين في التعليم العالي هو

[1] ولعل ذلك ما دعا مركز تعريب العلوم الطبية التابع لجامعة الدول العربية ومقره الكويت إلى تغيير اسمه ليصبح المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية بعد أن كان مركز تعريب العلوم الصحية، ومن قبل ذلك وعند تأسيسه كان اسمه المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية.
https://www.facebook.com/pages/category/Government-Organization/

تحسين سُبُل إعداد الطلاب وضمان استجابتهم لاحتياجات المجتمعات التي سيتصدون لتقديم الخدمات فيها،[1] وكان اتفاقهم على أن لغة التعليم من أبرز محاور العمل على تحقيق ذلك الهدف، لأن اللغة وعاء العلم والمعرفة ووسيلة التعليم والتعلُّم وأداة التفاهم والتواصل بين الناس،[2] فإن الآراء حول مسألة لغة التعليم ينبغي أن لا تكون حكراً على فريق وحظراً على آخر، ولا نجد في سياقنا هذا مبرراً لاستعمال مصطلح "مؤيِّد مخلص" و"معارض خائن" لرأي ما.

4. مع مرور السنوات تراكمت الأدبيات المنشورة حول هذا الموضوع حتى أصبحت أسفاراً ضخمة تنوء بالدارسين أولي الجَلَد، ولكن ضخامتها لم تسفر مع الأسف عن إحراز تقدُّم ملحوظ يتناسب مع الجهود والموارد المالية والزمنية المبذولة،[3] وأضحى البحث فيها لاكتساب الدروس والاستفادة من الخبرات عملاً يحتاج إلى طاقات وموارد مالية وبشرية وزمنية.
5. سأحاول التوقف على محطات أرجو أن يكون لها منافع عملية، أو كما يقال عنها في اللغة الإنجليزية "action-oriented" يفصح عنها العنوان الذي يتصدر كل محطة. ولعل القارئ الكريم يلتمس لي بعض العذر إذا آنس إيجازاً مُخِلًّا، أو تجاوزاً عن عرض بعض المحطات التي مرت بها مسيرة اللغة العربية في التعليم العالي.

المحطة الأولى: الانتقال من الخطاب العاطفي إلى البحوث

ذاع في الأدبيات التي صدرت في النصف الثاني من القرن العشرين حول لغة التعليم العالي

---

[1] الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد، **التجديد في مجال تعليم اللغة وتعلُّمها**، مجلة التعريب، العدد السابع والثلاثون، المحرم/كانون الأول (ديسمبر) 2009، الصفحات 11-26.

[2] الدكتور حسين عبد الرزاق الجزائري، كلمة في ندوة تعريب التعليم الصحي في الوطن العربي، دمشق، 5-7 كانون الأول/ديسمبر 1988.

[3] الأستاذ الدكتور عادل نوفل، **اللغة العربية في ظل العولمة في التعليم العالي، العربية: الراهن والمأمول**، عدد خاص أصدره المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر، 2009، الصفحات 753-763.

أن هناك عشرة **ثوابت أو حقائق** تُوْجِب استعمال اللغة العربية في التعليم، وهذه الثوابت أو الحقائق هي: (1) أن لغة التعليم هي لغة الحضارة والثقافة في المجتمع، (2) وأن هناك توافقاً وتزامناً بين استعمال اللغة العربية في التعليم وبين قوة الأمة، (3) وأنه لا يوجد تناسب أو تدرُّج في إتقان اللغة الأجنبية مع تقدُّم الطلاب في المراحل التعليمية، (4) وأن لغة التعليم تعاني من التدنِّي حتى أصبحت هجيناً من اللغة الأجنبية الضعيفة البنيان أو المُكَسَّرة واللغة العامية المحلية، (5) وأن هناك ندرة في تأليف الكتب وضحالة في البحوث المنشورة باللغة العربية، (6) وأن الأساتذة يخافون من التعليم باللغة العربية لأنهم درسوا تخصصاتهم في بلدان غير عربية، (7) وأن نقص المصطلحات باللغة العربية ليست عائقاً للتعليم بها، وأن جميع الدساتير في البلدان العربية تدعم التعليم باللغة العربية، وأن التعليم باللغة العربية هو القاعدة وخلافه هو الاستثناء.[1]

وبرغم أن بعض هذه الأدبيات قد صدرت عن منظمات دولية وهيئات أكاديمية رفيعة المستوى، فقد رأى فيها الفريق الذي تلقاها بتحفُّظ أنها كلام خطابي وارتجالي ولا يستند إلى بَيِّنات علمية وإحصائية صارمة، وأنها نتيجة عواطف قومية وعقائد تدعو لتفضيل لغة ما على غيرها، وأنها تفتقر إلى الأسباب الأكاديمية التي تقنع المتلقي لها بصدقها وبأمانة المصطلحات التي تروِّج لها، وأشاروا إلى إثقال تلك الأدبيات بكلماتٍ من قبيل "الحقائق" أو "الثوابت" التي سبقت الإشارة إليها، وبتعابير تفرض الحتمية ولا تقبل الجدل أو التنازل، مثل "لاشكّ أنّ" و"أصبح من المعروف أنّ"، وبالمقابل تكاد تخلو تلك الحقبة من أي بحث علمي منهجي، باستثناء بحث نشره الأستاذ الدكتور زهير السباعي، ويلخصها بالعبارات التالية: قد يظن بعضهم أن تعليم الطب باللغة العربية في سورية أدى إلى تدني مستواه، وهم لا يقولون هذا عن إسرائيل التي تعلم الطب باللغة العبرية، ولكي نحقق في الأمر بحثنا نتائج الأطباء السوريين في امتحان المجلس التعليمي

---

[1] تعليم العلوم الصحية والطبية باللغة العربية، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط، 1991، الوثيقة (WHO-EM/HMD/508-A)، وفيه حصيلة المؤتمر الإقليمي لتعريب التعليم الطبي في البلدان العربية الذي عقدته منظمة الصحة العالمية في القاهرة من 17 إلى 20 حزيران/يونيو 1990، وحضره 36 عميداً وأستاذاً من كليات الطب العربية وممثلون للمؤسسات والهيئات العربية المعنية بالتعليم الطبي في البلدان العربية.

للأطباء الأجانب (ECFMG) وهو امتحان تعقده الولايات المتحدة الأمريكية عدة مرات في كل عام ويتقدم إليه في كل مرة نحو عشرة آلاف طبيب من مختلف أنحاء العالم ومن يجتازه يحق له العمل أو الدراسة الطبية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، واتضح أن معدل الأطباء السوريين أعلى من معدل الأطباء الآخرين من مختلف أنحاء العالم... وننبه القارئ إلى أن امتحان المجلس التعليمي للأطباء الأجانب (ECFMG) يعقد باللغة الإنجليزية، أي أن تعلم الطب باللغة العربية لم يكن عائقاً أمام الأطباء السوريين يحول دون أدائهم للامتحان واجتيازهم له بنجاح،[1] ويكاد كل من كتب في هذا موضوع تعليم التعليم العالي يعرض هذه الدراسة من قريب أو من بعيد.[2] وهناك دراسة أخرى أجراها الدكتور قاسم سارة بالاشتراك مع المجلس البريطاني في دمشق وكلية الطب في جامعة دمشق ونشرها في المجلة الصحية لشرق المتوسط التي تصدرها منظمة الصحة العالمية عام 2009، وتناولت تعليم اللغة الإنجليزية لطلاب كلية الطب في جامعة دمشق،[3] وما يتاح لهم من وسائل تضمن إتقانهم للغة الإنجليزية كتابة وقراءة، ودراستان أُجريتا في جامعة الجزيرة في السودان ونُشرتا أيضاً في المجلة الصحية لشرق المتوسط، ودراسات قليلة العدد ومحدودة الأفق نشرت على نطاق ضيق، ويصعب تعرُّف تأثيرها ومدى وصولها للقراء، **والمأمول أن تتوالى الدراسات لبناء قاعدة بَيِّنات صلبة تغني الباحثين وترشد أصحاب القرار السياسي.**

المحطة الثانية: التخطيط لتحقيق نتائج يمكن تحقيقها

أشار دعاة التعليم باللغة الأم في الأدبيات التي نشروها في النصف الثاني من القرن الماضي إلى توصيف "الوضع الراهن" للعقد الأخير من القرن العشرين، وتحديد جوانب الضعف ومكامن

---

[1] الأستاذ الدكتور زهير أحمد السباعي، **تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية**، دار بن الأثير، 2002.

[2] الأستاذ محمد طلابي **التعريب بين الوعي المُفَوَّت والوعي المطابق**، http://alislah.ma/

[3] Kassem Sara, Teaching English at Damascus University Medical School, Eastern Mediterranean Health Journal (EMHJ), 2009 May-Jun; 15(3): 653-64.

القوة فيه، ليتوّجوا جهودهم برسم خطط تصلح ما أفسده الدهر،[1] وهكذا صدر عام 1990، على سبيل المثال لا الحصر، مشروع خطة تنفيذية لتعريب التعليم الطبي في السنوات العشر القادمة، وهي وثيقة كتبها بتكليف من منظمة الصحة العالمية "خبيران من ذوي الخبرة الطويلة بالتأليف والترجمة والتدريس باللغة العربية"،[2] واستعرضت الوثيقة الواقع التعليمي، واستعداد المدرسين وكفاءاتهم في التعليم باللغة العربية، ومدى الاستفادة منهم في الواقع العملي، ودراسة الإمكانات المتاحة لبدء التعليم باللغة العربية في أقرب فرصة في جميع الكليات، والقرارات التي تتعلق بلغة التعليم والصادرة عن الهيئات الرسمية والحكومية ومدى الالتزام بها، والوسائل التعليمية المتاحة، والمؤسسات التي يمكن أن تساهم في تنفيذ الخطة، وعدَّت من بينها منظمة الصحة العالمية ومؤسسات تابعة لجامعة الدول العربية [مثل المكتب التنفيذي لمجلس وزراء الصحة العرب، والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر في دمشق (أكاتاب)، والمركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية في الكويت (أكملز)، والمجلس العربي للاختصاصات الطبية في الجمهورية العربية السورية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو)، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط في المملكة المغربية]، ووزارات التربية والتعليم ومجامع اللغة العربية واتحادات المهن الطبية والصحية في البلدان العربية.

وكان الهدف الذي وضعته الوثيقة هو التعريب الشامل بحلول عام 2000، أي خلال عقد واحد، ولم تتضمن الخطة احتياطات احترازية لمعالجة بعض مواطن الضعف التي ساهمت بالفعل في تأخر تنفيذ هذه الخطة. وكان من الواضح أن الخبيرين اللذين أعدّا تلك الوثيقة مارسا التعليم مدةً طويلة فعلياً، ولئن كان من المعروف أن الجامعات المصرية والجامعات العراقية التي سبق لهما التدريس فيها كانت تستمسك بالتعليم باللغة الإنجليزية، وتقاوم التعليم باللغة العربية،

---

[1] الندوة العاشرة للمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق بمشاركة اللجنة الوطنية اللبنانية لليونيسكو حول استخدام اللغة العربية في التعليم العالي في الوطن العربي، بيروت، 9-10 كانون الأول/ديسمبر 2014.

[2] وهما الأستاذ الدكتور صادق الهلالي رحمه الله [أستاذ الفيزيولوجيا في جامعات العراق]، والأستاذ الدكتور محمد توفيق الرخاوي [أستاذ التشريح في جامعة القاهرة من مصر].

فإن كونهما من الأساتذة المتقاعدين جعلهم بمنأى عن التأثر بالبيئة الرسمية، فمنحا للوثيقة سقفاً عالياً من الطموحات التي ما لبثت أن اصطدمت بالأزمات العنيفة التي ضربت المنطقة بكمالها، وأثرت في الدعم المالي واللوجستي للمنظمات والهيئات والمؤسسات الداعمة للوثيقة، حتى اضطر بعضها إلى الاعتماد على البلد المضيف لها لتسيير أعمالها اليومية.[1]

المحطة الثالثة: الاستفادة من تقييم الإنجازات والعثرات

كثر الحديث في الأدبيات المنشورة خلال النصف الأخير من القرن العشرين عن "**مُتَطَلَّبات**" تحقيق التعليم باللغة العربية، وهي كما عرضتها تلك الأدبيات: (1) تهيئة المدرسين للتعليم باللغة العربية، (2) وتوفير المصطلحات الموَحَّدة باللغة العربية، (3) وتوفير كتب المناهج التدريسية باللغة العربية والمراجع التخصصية بالترجمة وبالتأليف، (4) وإعداد الوسائل التعليمية باللغة العربية، (5) ونشر الدوريات العلمية باللغة العربية، (6) ووضع مناهج خاصة لتعليم لغة أجنبية تضمن تواصل الطلاب مع البيئة العلمية والأكاديمية العالمية.

وبرغم تواصل العمل على المستويات الوطنية والإقليمية والمحلية لتوفير ما يمكن توفيره من تلك المتطلبات، فإنه لم يحظ تقييم الجهود والنتائج التي تسفر عنها بأي اهتمام برغم انقضاء العقود على ذلك، فليست هناك دراسات منشورة حول ما آل إليه العمل لتهيئة المدرسين للتعليم باللغة العربية، وذلك برغم رعاية البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية لعشرات الرحلات التعليمية لأساتذة كليات الطب من مختلف البلدان العربية إلى جامعات الجمهورية العربية السورية للاطلاع ولممارسة التعليم باللغة العربية فيها، ورغم استفادة الأساتذة في السودان من تلك

[1] الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد، **النهوض باللغة العربية بين التوصيات والممارسة**، مجلة التعريب، العدد 31، السنة 16، كانون الأول/ديسمبر 2006، الصفحة 79.

الزيارات أكثر من غيرهم، مما أدى إلى تضاؤلها التدريجي ثم انقطاعها،[1] ولم تنشر دراسات حول إعداد الوسائل التعليمية باللغة العربية، ولا حول الدوريات العلمية باللغة العربية، واقتصر الحديث على نشر الطلاب لملخصات عربية للبحوث والرسائل الجامعية التي تكتب أساساً بلغة أجنبية، كما لم تظهر دراسات حول مناهج تعليم لغة أجنبية تضمن تواصل الطلاب مع البيئة العلمية والأكاديمية العالمية، باستثناء الدراسة المشتركة بين منظمة الصحة العالمية والمجلس البريطاني في دمشق وكلية الطب في جامعة دمشق التي سبقت الإشارة إليها.

وبالمقابل، لوحظ إحراز تقدم ظاهر في توفير متطلبَيْن اثنين من المتطلبات الستة يجدر أن نقف عندهما باعتبارهما محطتين هامتين، وأعني بهما ذيوع المصطلحات الموحَّدة والموحِّدة[2] بتطوير المعجم الطبي الموحد وما لاقته مصطلحاته من قبول حسن وتفاعل إيجابي بين الأوساط الطبية والصحية التعلمية والخدمية،[3] وتوفير كتب المناهج التدريسية باللغة العربية والمراجع التخصصية بالترجمة وبالتأليف، نتيجة صدور سلسلة الكتاب الطبي الجامعي عن منظمة الصحة العالمية، والمناهج التعليمية عن المكتبين العربيين لتعريب وتأليف وترجمة العلوم الصحية (أكمل في الكويت وأكاتاب في دمشق)، ومن خلال نشر البرنامج العربي العالمي لمنظمة الصحة العالمية لسلسلة الكتاب الطبي الجامعي، وبفضل جهود صادقة قامت بها دور نشر خاصة أخرى في دمشق وبيروت والقاهرة وتونس والخرطوم.

---

[1] قاسم سارة، **دور منظمة الصحة العالمية وبرنامجها العربي في النهوض باللغة العربية**، المجلة الصحية لشرق المتوسط، العدد 3، المجلد 15، عام 2009، http://www.emro.who.int/emhj-volume-15-2009/volume-15-issue-3/.

[2] الأستاذ شحادة الخوري، **دراسات في الترجمية والمصطلح**، الجزء الثالث، دار الطليعة الجديدة، 2007، الصفحة 135.

[3] الدكتور قاسم طه السارة، **المعجم الطبي الموحد**، المؤتمر الثالث لمجمع اللغة العربية بدمشق، 10-12 تشرين الأول/اكتوبر 2004.

المحطة الرابعة: المعجم الطبي الموحد

يُعَدُّ المعجم الطبي الموحَّد من أهم المبادرات التي هدفت لتحسين الأوضاع الصحية في البلدان العربية، بعد أن كانت التعليمات والوثائق الطبية والصحية تكتب للمرضى وللعاملين في رعايتهم في بعض البلدان العربية باللغة الإنكليزية، وفي بعضها الآخر باللغة الفرنسية، مما يترك المرضى وأهليهم في حيرة لا يستطيعون فَهْمَ ما فيها، فتطلَّب ذلك الاتفاق على مصطلحات طبية عربية مُوَحَّدَة ومُوَحِّدَة، تستعمل في سائر الأقطار العربية، ويتحقق باستعمالها التفاهم العلمي على وجه من الدقة والضبط الذي يلزم لتبادل المعلومات والتشارك في الخبرات والتكامل في البحوث والدراسات.

ويعود الفضل إلى اتحاد الأطباء العرب في تأليف لجنة لتوحيد المصطلحات الطبية عام 1966، لإعداد المعجم الطبي الموحَّد، فعَقَدت اللجنة اجتماعات عديدة في القاهرة وبغداد والموصل ودمشق ولبنان قبل أن تصدر طبعته الأولى في سنة 1973 في مطبعة المجمع العلمي العراقي في بغداد، ثم أعيد طبعه في القاهرة في سنة 1977، ثم صدرت طبعة ثانية مصحَّحة في مطبعة جامعة الموصل في سنة 1978، ثم أنشئت في المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لجنة العمل الخاصة بالمصطلحات الطبية العربية، التي أصدرت الطبعة الثالثة من المعجم الطبي الموحَّد في سنة 1983، بعد أن عقدت 13 اجتماعاً في الإسكندرية وبغداد وتونس ودمشق والرباط وعمَّان والجزائر. وواصل المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية بشرق المتوسط العمل على تحديث المعجم، بإدخال المصطلحات الجديدة واستشارة أساتذة الجامعات واللغويين والمهتمين بالمصطلح العلمي العربي في مجامع اللغة العربية لدراستها وإبداء الرأي في المقابلات المختارة منها، ليصل عدد المصطلحات في الطبعة الرابعة منه التي صدرت نسخها الإلكترونية عام 1998 ونسخها الورقية عام 2006 إلى 150 ألف مدخل. وتتواصل الجهود لتطوير المعجم وتوسيع قاعدة المساهمين فيه وتجديد آليات العمل لتضاهي أحدث المعايير العالمية، ولعل صدور الطبعة الخامسة منه غير بعيد.

المحطة الخامسة: توفير كتب المناهج التدريسية باللغة العربية والمراجع التخصصية بالترجمة وبالتأليف

كانت كتب التدريس باللغة العربية لطلاب كليات الطب والعلوم الصحية من المتطلبات الرئيسية التي حاول دعاة التعليم باللغة العربية توفيرها، وعملوا جاهدين على رسم مصفوفة تتضمن العناوين المطلوب توفيرها في كل فصل من فصول الكليات العلمية، والبدء في تحقيق ذلك بالفعل تدريجياً، بعد أن قيَّض لهذا الأمر رجال مخلصون أجد من الواجب إزجاء الشكر لهم بذكرهم في كل محفل، مثل الأساتذة الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي والدكتور علي فخرو والدكتور حسين عبد الرزاق الجزائري، وآزرهم في جهودهم زملاء أجلَّاء تسنَّموا معهم ومن بعدهم مواقع اتخاذ القرار في منظمات وهيئات شتى، نذكر منهم الأساتذة الدكتور محمد هيثم الخياط والدكتور محمد إياد الشطي والدكتور يعقوب الشراح والدكتور أحمد ذياب والدكتور صادق الهلالي والدكتور محمد توفيق الرخاوي والدكتور محمد عبد السميع الحملاوي، ولا تزال المسيرة تتابع خطاها بنشر عناوين جديدة في سائر تخصصات التعليم العالي، من المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف في دمشق، ومن المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية في الكويت،[1] ومن البرنامج العربي العالمي في منظمة الصحة العالمية في القاهرة.

وبرغم ما تعانيه ساحة نشر الكتب العلمية من ضعف في التنسيق بين الأطراف التي تساهم في النشر، فإن من النادر اليوم أن تفتقد كتاباً باللغة العربية حول مادة أو موضوع علمي، وقد يكون هناك بعض المطبوعات القديمة نسبياً (التي مضى على نشرها أكثر من 5 سنوات)، ولكن المطابع تحمل للطلاب العرب كل يوم عناوين جديدة، وسيزيد إقبالهم عليها وطلبهم لها من وتيرة إنتاجها، كما ساهم ضعف التنسيق ذاته في إصدار كتب متعددة حول موضوع واحد، وهو أمر له

---

[1] الدكتور يعقوب الشراح، **تجربة الترجمية في المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية من اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية**، العربية: الراهن والمأمول، عدد خاص أصدره المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر، 2009، الصفحات 387-397.

سلبياته، وله إيجابياته في تحديث المنشورات القديمة نسبياً.

أما المعضلة الحقيقية التي يعاني منها الناشرون للكتب العلمية فهي التوزيع الذي يضمن إيصال الكتب إلى من يحتاجها بتكلفة ميسورة ويعود على المؤسسة التي تصدرها بما يضمن استمرارها في العمل، وهي معادلة صعبة الحل في الحياة العملية، وازدادت صعوبتها بعد دخول النشر الإلكتروني بأشكاله المختلفة ولاسيما بصيغة PDF.

المحطة السادسة: التوصيات ومتابعتها

درج الكثير من المؤتمرات على تعيين لجنة صياغة تسهم في اختتام جلساتها بإصدار وثيقة "**التوصيات**"، مستمدة تلك التوصيات من الأوراق التي عُرِضَت على المؤتمر والمناقشات التي دارت حولها، وتكاد تكون تلك التوصيات نُسَخاً متكررة عن بعضها خلال العقود المتتالية، دون أن يدور في خلد المؤتمرين البحث عن سبب استعصاء تلك التوصيات على التنفيذ خلال عقود متتابعة، وأسباب استمساك المشاركين في المؤتمرات المتتالية بتكرارها وهم يعلمون أن تحقيقها يخرج عن حدود قدراتهم.

المحطة السابعة: القرار السياسي المُلْزِم

ويبدو التركيز على إصدار "**القرار السياسي المُلْزِم**" بالتعليم باللغة العربية على رأس المتطلبات التي أوصت المؤتمرات بتوفيرها طيلة النصف الثاني من القرن العشرين، مع إشارة لجان الصياغة إلى أن جميع دساتير البلدان العربية كانت آنذاك تنصُّ على أن لغة التدريس هي اللغة العربية، وأن التدريس بغيرها استثناء تمليه الضرورات، ولابد من تقدير تلك الضرورات بقدرها عند منح الموافقة عليه.[1] وكانت تلك المؤتمرات تكتفي عند انفضاض المجتمعين بإرسال برقية تناشد أولي الأمر بإقرار اللغة العربية لغةً للتعليم العالي، ومن النادر أن يتاح لها قرع أبواب الوزارات المعنية ولا المجالس النيابية أو مجالس الشعب المسؤولة عن إصدار التشريعات وتعديلها

[1] الدكتور قاسم طه السارة، **التعريب جهود وآفاق**، دار الهجرة بدمشق، 1990، الصفحة 99.

لتلتمس منهم الاستماع والنظر في هذا الموضوع، وها نحن اليوم نرى أن القرار السياسي المُلْزِم بالتعليم باللغة العربية أضحى بعيد المنال، ويواجه مقاومة ضارية في مستويات عدة داخل المنظومة التعليمية وخارجها، مما يفرض على المسؤولين عن ملف لغة التعليم اليوم التحرك عبر القنوات والمحافل السياسية والدبلوماسية المناسبة لمناصرة دعواتهم.

المحطة الثامنة: توظيف التكنولوجيا لخدمة التعليم باللغة العربية وزيادة المحتوى الرقمي من العلوم باللغة العربية على الشابكة، ورأب الفجوة المعرفية في المجتمع

يتطلب التعليم باللغة العربية توفر معلومات موسعة فيها بيانات كثيفة، مع إدارة جيدة للمعلومات بحيث يمكن لأي فرد مهتم الاستفادة من المعارف الموثوقة وذات الجودة الرفيعة في جميع المستويات والأوقات، فكثيراً ما يكون توقيت الحصول على المعلومات وإتاحتها مسألة حاسمة. ومن الشائع أن يطلق على مؤسسات التعليم مجتمع المعلومات، أو مجتمع المعارف، مما يزيد من أهمية الاستفادة من تقنيات التعليم الإلكتروني وتنسيق الجهود بين الأطراف التي تعمل في خدمة التعليم الطبي والصحي.[1]

وقد خلصت القمة العالمية لمجتمع المعلومات التي عقدت في تونس عام 2005 إلى أن تقنيات المعلومات والاتصالات تتيح لقطاع هائل من السكان، أكثر من أي وقت سبق، المشاركة في تبادل المعارف البشرية وتوسيع نطاقها، وتساهم في زيادة قابلية نشر وتطبيق تلك المعارف العالية الجودة في التعليم، وفي الصحة، وتيسير عملية اكتسابها، فتؤسِّس قاعدة صالحة لبناء مجتمع يهتم بالتنمية، ويراعي التنوع الثقافي واللغوي.[2]

---

[1] الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد، **الخطة العامة لتنسيق التعريب في الوطن العربي (الواقع – المشكلات – الحلول)**، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 2014/1435، الصفحات 61-98.

[2] The UN Millennium Development Goals (UN, 2007), Tunis 2005 (ITU, 2005).

وقد استأثر رأب فجوة المعلومات باللغة العربية على الشابكة باهتمام الكثير من المؤسسات الرسمية الرفيعة المستوى مثل وزارات التعليم العالي، والجامعات، والمجامع اللغوية والعلمية، وبعض المنظمات الدولية والإقليمية، مثل منظمة الأغذية والزراعة (FAO)، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر (أكاتاب) بدمشق، والمركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية (أكمل) في الكويت، والبرنامج العربي العالمي لمنظمة الصحة العالمية في القاهرة، والمنظمة العربية للترجمة، وكثير من المعاهد المتخصصة مثل معهد الدراسات المصطلحية، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في ظهر المهراز، في جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، في المملكة المغربية، وموسوعة الملك عبد العزيز للمحتوى الصحي باللغة العربية في المملكة العربية السعودية، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

ولكن المساعي الحثيثة التي قامت بها تلك المؤسسات كانت تفتقر إلى التنسيق في ما بينها، وغابت عنها آليات ارتجاع المعلومات حول مدى قبول وتفاعل المستعمِلين لما تنشره تلك المؤسسات على صفحات الشابكة.

المحطة التاسعة: مؤتمرات التعريب: هل من مزيد

عقد مؤتمر التعريب الأول في المملكة المغربية سنة 1961 وانبثق عنه قرار تأسيس مكتب تنسيق التعريب، الذي عقد المكتب منذ تأسيسه مؤتمرات للتعريب، عملاً بالمواد 6 و7 و8 من نظامه الداخلي التي تنصّ على أنه يُعقد مؤتمر للتعريب، مرة على الأقل، كل ثلاث سنوات في إحدى الدول العربية بدعوة من المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لدراسة ما يقدمه إليه المكتب من أبحاث ومقترحات تتعلق بالتعريب وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية، واتخاذ القرارات بشأنها، يُدعى للاشتراك فيها ممثلون عن حكومات الدول العربية وممثلون عن المجامع اللغوية والجامعات العربية والاتحاد العلمي العربي، والمنظمات والهيئات العلمية المعنية بالموضوعات المعروضة على المؤتمر، والعلماء واللغويون الذين يدعون بصفتهم الشخصية.

فعقدت مؤتمرات التعريب في المملكة المغربية، وفي الجزائر وفي ليبيا وفي الخرطوم وفي دمشق وفي الأردن.

وقد سبقت الإشارة إلى أن المقررات والتوصيات التي تصدرها تلك المؤتمرات والندوات في ختامها تتسم بالتكرار وغياب المتابعة أو الرصد العملي لمردودها، ولكنها بوجهٍ عام تتضمن شقين كبيرين، يتعلق أولاهما بمنهجيات صياغة المصطلحات العلمية والفنية في اللغة العربية، ويتعلق الشق الثاني منهما بإجراءات إدارية وتنظيمية مثل دور القرار السياسي في الالتزام بالمصطلحات الطبية والصحية والإلزام بوضعها موضع الاستعمال، ومع أن الآمال كانت كبيرة وطموحة فإن الإنجازات التي تحققت تتراكم لتقترب كثيراً من سقف تلك الآمال، فلم تكن النتائج المرجوَّة تقتصر على إنتاج المصطلحات وتوزيع المطبوعات، بل إنها تتجاوز ذلك إلى بناء قاعدة متينة ومؤثِّرة في المجتمعات وفي الجامعات وفي المحافل الإقليمية والدولية والمحلية،[1] وهذا ما يلاحظه من يزور موقع مكتب تنسيق التعريب على الشابكة[2] ليجد بنك المصطلحات الموحدة ومكنز المصطلحات المتعدد اللغات (أرابترم) والمرصد اللغوي وإصدارات المكتب وروابط مهمة، وجميعها تنتظر إشارة منه لتجود عليه بالمعلومات التي يحتاجها بأيسر سبيل.

[1] الدكتور حسين عبد الرزاق الجزائري (المدير الإقليمي الأسبق لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط) في كلمته في افتتاح المؤتمر الثامن (والأخير) لشبكة تعريب العلوم الصحية (أحسن)، القاهرة.

[2] http://www.arabization.org.ma/

مفهوم البنية بين الخليل والفكر الرياضي المعاصر

د. قاسمي الحسني عواطف
جامعة الدكتور يَحْيى فارس بالمدية
الجزائر

المقدمة

إن من أهم المفاهيم الرياضية مفهوم البنية؛ الذي يعد مفهوماً قاعدياً، وبنية أساسية في الفكر الرياضي الحديث والمعاصر، فالرياضيات هي (فن دراسة وتصنيف البنيات، لأن البنيات الرياضية مجردة فمن المنتظرأن تكون محدودة العدد)[1]، وإذا كانت البنية مفهوما قاعدياً في التفكير الرياضي الحديث والمعاصر. حيث كان مفهوم الكم بنوعيه المتصل والمنفصل هو موضوع الرياضيات. فإن مفهوم البنية هو مفهوم قاعدي منذ نشأة التفكير اللساني عند العرب الأولين، ومنه فالرياضيات هي التي راحت تتقاطع مع الفكر اللساني باتخاذها البنية موضوعاً وجزءا من منهجها الأكسيومي المعاصر، إذ يتضح لنا ذلك الانقلاب الذي أحدثته (الصياغة الأكسيومية للرياضيات... ولم يعد موضوعها هو تلك الكائنات الذهنية، بل أصبح موضوعها– أي الرياضيات– منظومات من العلاقات التي ينسجها المنهج على الأوليات، وكما أكدنا ذلك من قبل، لقد تحوّل الاهتمام من الأوليات إلى الدور الذي تؤديه هذه الأوليات في البناءات الأكسيومية، لقد تخلت الرياضيات نهائياً عن "ميتافيزيقا الهوية" و"الشيء في ذاته" ... فموضوع

[1] مدخل إلى فلسفة العلوم، **تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة**، محمد عابد الجابري مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط8، 2014م، 204/1.

الرياضيات لم يعد هذه الموضوعات بل الإجراءات والعمليات نفسها، وهكذا أصبحت الرياضيات تعتبر اليوم نظريةً في البنيات من أنواع مختلفة)[1].

فأول وجه من أوجه التفكير الرياضي في التفكير اللساني عند العلماء الأولين هومفهوم البنية، إذ يذهب بعض الدارسين عند حديثهم عن أوجه التفكير الرياضي مباشرة إلى مفهوم الكم، وكيف كانت نظرة الأولين نظرة إحصائية عددية للظاهرة اللغوية، وهذا أمر لا خلاف فيه، لكن إذا نظرنا اليوم إلى التفكير الرياضي من منظوره الشمولي المعاصر، ندرك أن حضور التفكير الرياضي في الفكر اللساني قديماً وحديثاً يتعدى حدود الكميات إلى عالم البنيات، فلكي (تتضح الصلة بين الرياضيات واللسانيات علينا أن نتخلص من أسر الرياضيات التقليدية، لننظر إلى الرياضيات بمغزاها الواسع، أي بصفتها علم التعامل مع المفاهيم الخالصة، والمجردات والقضايا الذهنية البحتة، والعلاقات التي تربط بينها، في نفس الوقت الذي يزخر فيه النظام اللغوي بالمجردات، مثل خصائص الأصوات، وتصنيفات الأفعال، والصيغ الصرفية والمقولات النحوية والأدوار الدلالية، والتي يربط بينها العديد من العلاقات مثل علاقات المماثلة والمغايرة، وعلاقات مزيدات الأفعال بصيغها الصرفية، علاقة الفاعلية والمفعولية، علاقات الرتبة المحفوظة، علاقات الربط والتضام النحوي، علاقات دوال الإسناد بعناصر الإسناد... إلخ)[2] فأهم فروع الرياضيات المعاصرة التي تتعامل معها اللسانيات هي: (الجبر: المجموعات، العلاقات، نظرية الدوال، جبر التمثيلات المنطقية. الهندسة: نظرية الأشكال "طوبرغرافيا الشجريات")[3] والجميل المدهش في ذات الوقت؛ أن لسانيات الخليل قد تعاملت مع جميع هذه الفروع الرياضية المعاصرة في تناسق وإبداع فكري بديع، بداية من الموضوع إلى المنهج إلى النتائج، ونهاية بالاستدلال والبرهنة على صحة تلك النتائج.

---

[1] مدخل إلى فلسفة العلوم، **تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصر**، محمد عابد الجابري، 138/1.

[2] **اللغة العربية والحاسوب**، نبيل علي، تقديم: أسامة الخولي، دار تعريب، شركة العربية، د. مكان نشر، د.ط، 1988م، ص 123.

[3] **اللغة العربية والحاسوب**، نبيل علي، ص 124.

فموضوع الفكر الرياضي المعاصر هو كل بنية يمكن إدراكها بالفكر، ولأن الظاهرة اللغوية إنتاج فكري يخضع لنظام أي لمنظومة من العلاقات، أوبتعبير آخر لأن الظاهرة اللغوية هي في حد ذاتها بنية ينتجها الفكر وقابلة للإدراك الفكري، فإن الرياضيات تتقاطع مع اللسانيات العربية، كما أن جميع البِنى التي تدرسها العلوم تتقاطع مع الفكر الرياضي، بعد أن أخذت الرياضيات على عاتقها البنيات كموضوع للدراسة وكجزء محوري لمنهجها الفرضي الاستنباطي، لكن ما يميز التفكير اللساني عند الأولين أنه سبق اللسانيات البِنوية اليوم في التعامل مع البنية كموضوع دراسة، وما يميزه عن كثير من العلوم اللسانية، أن منهج الأولين كان يستند أيضاً إلى منهج رياضي في دراستهم وتحليلهم للغة العربية كبِنْيةٍ مجردة، فلم يكتف باتخاذ البنية موضوعاً، ولم يكتف بتقاطع المنظور اللساني مع المنظور الرياضي للبِنية، بل كان منهج الدراسة منهجاً رياضياً سابقاً لعصره، لأن فكر الخليل فجر مفاهيم رياضية لم يعرفها الفكر الغربي إلا في آواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، هذه المفاهيم التي باتت قوام المنهج الرياضي المعاصر باعتباره منهجاً أكسيوماتيكياً، فإذا كانت اللسانيات البنوية الحديثة في وجهها الرياضي قد صاغت شكلها وفق مقتضيات الفكر الرياضي المعاصر باعتباره فكراً حاضراً ماثلاً أمامها، فالخليل كان فكره رياضياً أصيلاً في تعامله مع الظاهرة اللغوية كبنية، موضوعاً ومنهجاً.

فلقد طبعت هذه اللغة منهج دارسيها القدامى بخصائصها الرياضية: تمثيل تجريدي فني راح الخليل وسيبويه وكل من لحقهم ونهج مسلكهم ينحتون به تصويرهم للظاهرة اللغوية ولمقاربتهم النظرية في كثير من مناحيها، فاللغات البشرية (هي قبل كل شيء ألفاظ تتركب من وحدات ولكل وحدة تركيب وبِنية تشاركها فيها وحدات أخرى. وعلى هذا لا يمكن أن تسلط عليها في تحليلها أي نوع من المنطق بل ما يناسب فقط ماهية اللغة من حيث هي صيغٌ وبِنى مُتواضَعٌ عليها. ومن المعروف أن البنى مهما كانت فيزيائية أم كيماوية، أم بيولوجية، أم اجتماعية، أم لغوية فهي من جوهر رياضي ومنهج تحليلها رياضي، ومن المعروف أن مثل هذا التحليل هو تركيبي "خاضع لقسمة التركيب وما يختص البنى" والرياضيات التي ينتمي إليها ليس موضوعها العدد والمقادير في ذاتها بل تتجاوز ذلك إلى دراسة العلاقات وكل أنواع التراكيب التي يمكن أن

يتصورها الذهن)[1] أي تتجاوز الرياضيات الكمية الكلاسيكية إلى الرياضيات البنوية المعاصرة.

لكن، تُرى **كيف تتقاطع لسانيات الخليل مع الرياضيات في هذا المفهوم الرياضي؟ وكيف تتجلى معالم دراسة البنى اللغوية في مقابل دراسة الفكر الرياضي للبنية؟ وهل تتحرك فعلاً البنى اللغوية كبنى رياضية؟ وهل كان تصور الأولين لها كتصور الفكر الرياضي للبنى؟.**

تتقاطع لسانيات الخليل مع الفكر الرياضي المعاصر في مفهوم البنية من أوجه عدة:

أولاً: البنية موضوع للدراسة وصورة للمنهج

إن البنية اللغوية هي ذلك الشكل الصوري المجرد الضابط لمكونات العربية، وهي شبكة من العلاقات الثابتة في إطار التحولات، إنها مفهوم صوري مجرد عام تندرج تحته الظواهر اللغوية، والبنية وفق المفهوم الرياضي هي أيضاً ذلك الشكل الثابت نسبياً، وهي أيضاً منظومة العلاقات التي تتقاطع فيها الظواهر المتشابهة والمتباينة، وكما تتضح البنية وفق المنظور الرياضي في إطار التقابل التناظري، تتشكل البنية في الفكر اللساني وفق نفس النمط التقابلي التناظري، الذي تتقاطع فيه الأشكال اللغوية المتشابهة، أوالتي تبدو متباعدة متنافرة.

فإذا كانت البنية اليوم هي نواة الفكر الرياضي بعدما كانت الكميات هي محورها وغايتها، فالعلماء الأولون نظروا إلى اللغة ككميات، وقبل ذلك رأوا جوهرها كمنظومة متشابكة من البنيات، إذن، يتقاطع المنهج الرياضي مع المنهج اللساني في اعتبار البنية مرتكزا للدراسة والتحليل. نعم إن جميع العلوم تبحث عن البنى، لأن جميع العلوم تبحث في منظومة العلاقات، لكن الفكر اللساني جعل منظومة العلاقات بؤرة التركيز والتحليل لا كنتائجَ متوصَّلٍ إليها فقط، بل كمنظور وإطار وهيكل يؤخذ بكليته، قلباً وقالباً، أي موضوعاً وفكراً ومنهجاً ونتائج، مثلما نجد ذلك في التفكير الرياضي، فهناك فرق بين أن نتوصل إلى القوانين باعتبارها منظومة علاقات، وبين أن تكون منظومة العلاقات هي الموضوع والغاية، توضع تحت الفحص العقلي المجهري للفكر، لا

[1] **منطق العرب في علوم اللسان**، عبد الرحمن الحاج صالح منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ط1، 2010 م، ص 30.

كنتيجة فحسب بل كموضوع للدراسة، وكنتيجة تتحول إلى موضوع دراسة من جديد لأن المنظور للظاهرة بنيوي في الأساس.

فلقد رأينا كيف راح الأولون يبنون نسقهم اللساني كنسق استنباطي، بعد أن استخلصوا بنى اللغة العربية، ومن ثم راحوا يعاودون معاينة وتحليل الواقع من جديد من خلال الأصول العامة باعتبارها بنى كلية، أخذت موقعها كمقدمات داخل النسق الاستنباطي؛ وإذا ما تأملنا النسق الاستنباطي في حد ذاته فإنه يتبيّن لنا أهمية المنظور البنيوي في فكر الأولين، فهم ينظرون إلى اللغة كبناء محكم منسجم الأقسام، وهي من لدن فكر حكيم، رابطين البنية اللغوية بالفكر، كما يربط الرياضي تصوره للبنية بالفكر أساساً فهي عند الرياضيين الشكل الثابت نسبياً، المدرك بالفكر، والأمر عينه عند الأولين، يقول الخليل: (إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله... فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم، دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق، أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة)[1].

وإذا كان المنظور البنيوي في الفكر الرياضي، جعلهم يصوغون الرياضيات كلها كبنى في ذلك النسق الاستنباطي، بحيث تتولد البنى بعضها من بعض، فالأمر عينه عند الأولين الذين صاغوا الأنساق اللسانية في بناء هرمي تسلسلي، فجاءت أنساقهم اللسانية أنساقاً رياضية تتقاطع مع التفكيرالرياضي في ذلك الشكل الاستنباطي وهو شكل بنيوي أساساً (فلم يعد المنهاج الرياضي منهاجاً حدسياً... بل أصبح عبارة عن جملة من الإجراءات والتحويلات تجري على تلك البنيات)[2] وبالتحوّل من الكائنات إلى البنيات (صار واضحاً أن فروع الرياضيات ليست فروعاً مستقلة وإنما هي أشكال من البنيات تجمعها خصائص جوهرية مشتركة).[3]

---

[1] **الإيضاح في علل النحو**، الزجاجي، تحقيق: مازن مبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1979م، ص 66.

[2] **مدخل إلى فلسفة العلوم**، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عبد الجابري، 55/1.

[3] **مدخل إلى فلسفة العلوم**، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 5554/1.

وهنا يتبيّن لك كيف أصبحت البنية كموضوع دراسة جزءاً من المنهج الرياضي، لأنه بات في الأساس مجموعة من البنى المشتقة بعضها من بعض، تتمثل البنى الكلية في المقدمات وهي بنى محدودة العدد وصولاً إلى البنى النهائية وهي النتائج المتولدة عن المقدمات من خلال مجموعة من القضايا الوسطى هي بنى في حد ذاتها، وهذا عينه ما يجري في اللغة كبنى في البناء الفكري الباطني، وتحقق نماذجها في الأداء التداولي الخاضع في حد ذاته إلى ما هو أقرب إلى المنطق الرياضي في كثير من أوجهه، فهذا المنظور البنيوي للغة انطبع وانعكس هو الآخر على منهج الأولين، مثلما انطبعت البنية كمفهوم رياضي على المنهج الذي راح ينتجها ويدرسها، فأصبح المنهج اللساني يجري وفق نسق بنيوي استنباطي كما يجري المنهج الرياضي.

يقول تشومسكي: (ومهمة الوصف صعبة جداً في حد ذاتها، لكن مهمة التفسير [...] تفوقها في الصعوبة والتحدي، فنجد اللساني في المستوى الوصفي، يقدم له رصيد من الظواهر فيسعى لاكتشاف النظام الحوسبي الذي يفسر الظواهر وغيرها من الظواهر المتوقعة، أما في المستوى التفسيري، فإنه من الضروري، أن يبيّن كيف لهذه الظواهر أن تشتق من المبادئ غير المتغيرة ... نحن نحاول على مستوى التفسير أن نبين النظام الثابت)[1] أي البنية، وهذا تحديداً ما فعله الأولون عندما صاغوا النسق اللساني باعتباره مقاربة نظرية لسريان اللغة العربية كنسق استنباطي، فبينوا لنا كيف تشتق الوحدات اللغوية اللامحدودة واللاثابتة، أي الفروع من عدد محدود ثابت، كلي عام، هي الأصول الوضعية العامة، بل بنيوية الخليل فاقت بنيوية العصر الحديث في ذلك النظام التجريدي التدريجي، الذي لا تتقاطع فيه إلا مع المنهج الرياضي المعاصر في صورته الأكسيوماتيكية، لا صورته الإقليدية القديمة، إذ تنقسم الثوابت المجردة في فكر الأولين إلى مستويات: أصول وضعية عامة وهي المثل التي لا نظير لها في اللسانيات الحديثة وأصول وضعية خاصة أي الأصول المفترضة أو المقدرة إلى فروع مجردة.

---

[1] **اللغة ومشكلات المعرفة**، نعوم تشومسكي، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1990م، ص "66-67".

ثانياً: البنية هيكل صوري وكيان مجرد

إن أول ما يسلط عليه الضوء في ماهية البنية وفق المنظور الرياضي أنها شكل صوري مجرد، إن البنى كيانات صورية، لا محسوسة، فالبنية في المفهوم الرياضي هي الشكل الثابت نسبيا، يقول ولتر: (إن الرياضيات علم مهمته تصنيف جميع البنيات الممكنة. وكلمة بنية مستعملة هنا في معنى يختلف بدون شك عن المعنى الذي يفهمه منها عامة الناس. يجب النظر إلى هذه الكلمة من خلال دلالتها الواسعة، بحيث تصبح قادرة أن تشمل، تقريباً، كل شكل من أشكال "الانتظام" يمكن إدراكه بالفكر، والحياة، وخصوصاً منها الحياة العقلية، ليست ممكنة، إلا لأنه يوجد في العالم بعض الاطراد والانتظام... إن الفكر في كل حالة مماثلة يشعر بوجود بنية، بوجود تصميم Plan).[1]

ثُم إن البنية هي مثال صوري مجرد في الفكر الرياضي، هي عند الخليل وغيره من العلماء الأوائل مثال صوري مجرد؛ يقول السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه: (فقال سيبويه: "وأما الفعل فأمثلة" وقصد إلى هذا الجنس الذي ذكرناه، وقوله أمثلة أراد به: أبنية؛ لأن أبنية الأفعال مختلفة، فمنها على "فَعَلَ" نحو "ضَرَبَ"، ومنها على "فَعِلَ" نحو "عَلِمَ"، و"فَعُلَ" نحو "ظَرُفَ" وغير ذلك من الأبنية وهي تسعة عشر بناء لما سمي فاعله).[2]

فها أنت ترى كيف يحدد سيبويه الفعل كعنصر لغوي انطلاقاً من بنيته اللفظية فيقول: (وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء)[3]، وهذه البنية اللفظية لا تقتصر على علاقات تجري في مدرج الكلام، وإنما يعرف سيبويه الفعل أساساً من بنيته اللفظية الصورية التي تتدرج تحتها ما

---

[1] مدخل إلى الرياضيات، ولتر ورويك، ترجمة محمد عابد الجابري في كتابه: مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دراسات ونصوص في الابستيمولوجيا المعاصرة، 204/1-205. وينظر: Introduction aux mathèmatiques, Walter Warwick Sawyer, pp10-13.

[2] شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي تحقيق وتعليق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990م، 15/1.

[3] الكتاب، سيبويه، 12/1.

لا نهاية له من الأفعال كوحدات لغوية في الواقع اللغوي، ونجد السيرافي يحصي لنا مجموع أبنية الفعل لما سُمِّيَ فاعلُه، مقدراً إياها بتسعة عشر، مما يدلك على تصورهم الكمي الرياضي للظاهرة اللغوية إضافةً إلى المفهوم الرياضي المعاصر لها والأصيل في الفكر اللساني ونعني به اللغة كبينة صورية مجردة، صيغت رياضياً بتحديد المتغيرات رمزياً كما يحصل ذلك في الرياضيات.

إذ يطلق العلماء الأولون مصطلح البناء على البنية الداخلية للكلمة المنصرفة، ويطلقون عبارة: بناء الكلام على بنية الجملة.[1] يقول سيبويه: (العرب مما يبنون الأشياء إذا تقاربت على بناء واحد)[2]، وقوله: (ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النزوان، والنقران، والقفزان، وإنما هذه لزعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع).[3]

وكثيراً ما يحذر سيبويه من أن هذا الذي ذكره تمثيل وبناء لا يتكلم به، إنما هو تصوير تجريدي، قال: (هذا تمثيل وإن كان لا يستعمل في الكلام)[4] وقوله: (هذا تمثيل ولكنه لم يستعمل في الكلام)[5]، وجاء في الكتاب [قال الخليل]: (كل أَفْعَلٍ يكون وصفاً لا تصرفه في المعرفة ولا نكرة... قلت: فكيف تصرفه وقد قلت لا أصرفه. قال: لأن هذا بناء يمثل به، فزعمت أن هذا المثال ما كان عليه من الوصف لم يجر لأن قولك: أفعل لا يوصف به شيء وإنما تمثل به... وأفعل لا يعرف في الكلام فعلا مستعملاً... لو جاز هذا لكان أفعل وصفاً ثابتاً في الكلام غير مثال... وقولك فعلان كانت له فعلى وكان صفة يدلك على أنه مثال).[6]

ويؤكد ذلك ابن جني قائلاً: (ما مثال ضُرِبَ ؟ قلت: هو فُعِلَ. فتحكي في المثال بناء ضرب

---

[1] ينظر: **منطق العرب في علوم اللسان**، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 279.

[2] الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م، 12/4.

[3] الكتاب، سيبويه، 218/2.

[4] الكتاب، سيبويه، 177/1.

[5] الكتاب، سيبويه، 188/1.

[6] الكتاب، سيبويه، 665/2.

فتبنيه كما بنيت مثال المبنى)[1] وقوله أيضاً: (إن التمثيل للصناعة ليس ببناء متعمد... فدل أنك لست ببان ولا جاعل ما نمثله من جملة كلام العرب كما تجعله منها إذا بنيته غير ممثل).[2] فالتمثيل، على هذا، لا ينتج كلاماً (إنما هو حكاية وتصوير ورسم للكلام ووحداته، والدليل على أنه ليس ببناء، أي بتركيب حقيقي للكلام، هو عدم تحرج النحاة في الجمع بين الحروف التي لا تجيء مجتمعة في كلمة عربية، وذلك مثل تمثيلهم لكلمة حَبَنْطَى فيقول عن مثالها هو فَعَنْلَى وهم يعلمون أن اللام لا تتصل بها نون أو راء في كلمة عربية كما بينه سيبويه... فإن التمثيل يعم كل البنى: الواضحة وغير الواضحة، وليس من عبارة في العربية إلا ولها مثال يرسمه النحوي ويدرج فيه مجموعة من العبارات التي تشاركها في البنية).[3] إذ يدل (السياقان القريب والشامل على أن للبناء والمثال مسمى واحدا وهو البنية، إلا أن للمثال دلالة تزيد على البناء معنى التمثيل)[4].

إن البنية باعتبارها شكلاً صورياً قد تتجسد في أفكار كلية عامة هي القوانين الضابطة للظواهر، كما قد يرتقي أهل العلم بصياغتهم لها إلى درجة عالية من التجريد هي التمثيل، وهو وجه رياضي بحت، ومن أوجه التمثيل ما يعرف في اللسانيات العربية بـ [المثال] وهو يتقاطع مع مفهوم البناء في الطابع العمومي التجريدي فهو هيكل صوري لما يتحقق أو قد يتحقق أو ما يمكن أن يتحقق ولم يتحقق [المهمل]، فالمثال ليس هو (البناء المجسد في كلمة معينة، الذي يمثله المثال بل هو بديل منه وليس بالضرورة مماثلاً له من كل جانب، فقد يمثل سيبويه بأوزان أو مثل أو بتراكيب لا وجود لها في كلام العرب)[5].

والمثال كمفهوم لساني رياضي، لا نظير له في الدرس اللساني المعاصر، يقول عبد الرحمن

---

[1] **الخصائص**، ابن جني، تحقيق: محمدعلي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت، 200/2.

[2] الخصائص، ابن جني، 97/3.

[3] **منطق العرب في علوم اللسان**، عبد الرحمن الحاج صالح، ص "280-281".

[4] **منطق العرب في علوم اللسان**، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 279.

[5] **منطق العرب في علوم اللسان**، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 280.

الحاج صالح: (فأما مفهوم الموضع كما وصفناه، وكذلك مفهوم المثال فلا يوجد مثلهما في اللسانيات الغربية إطلاقاً، حتى الآن،...)[1] وهو لا يعني مجرد تتابع وحدات صورية كمقاربة لتتابع الوحدات اللغوية في الواقع اللغوي، بل (المثال عند النحاة العرب هو مجموعة من المواضع الاعتبارية مرتبة ترتيباً معيناً يدخل في بعضها، وقد تخلو منها العناصر الأصلية وفي بعضها الآخر الزائدة، ولا ينحصر المثال في مستوى الكلم "الأوزان" بل يوجد في كل مستويات اللغة بما فيها التراكيب وما فوقها).[2]

ومنه فالبنية هي البناء والمثال والحد والقياس عند العلماء الأولين، إنها كما في الرياضيات شكل صوري، ونظام يحكم الثوابت والمتغيرات، فكثير من المتغيرات تخضع في تحوّلها إلى مجموعة من القواعد المطردة أي إلى بنية فرعية تقابل البينة الأصلية للوحدات اللغوية، فكلها أبنية تشكل وتتشكل منها الظاهرة اللغوية، لكن أرقى صور البنى في الفكر اللساني عند الأولين هي المثل السارية المفعول في جميع مستويات اللغة العربية، فهي تعني زيادة على البناء التمثيل الذي يعد من أهم الأوجه الدالة على حضور التفكير الرياضي في اللسانيات العربية سواء على مستوى الماهية أو على مستوى المنهجية التي انتهجها العلماء الأولون في استنباطها، منهجية تقابلية تناظرية تتقاطع هي الأخرى مع المنهج الرياضي وقبله مع ماهية البنية كمفهوم رياضي، وهذا الأمر نبينه في النقطة الموالية.

ثالثاً: البنية شكل صوري جامع للمتشابه والمتنافر قوامه القياس أو التقابل التناظري

إن البنية وفق المنظور الرياضي كما تتحدد كشكل صوري مجرد، تتحدد بأنها الشكل الثابت الذي تتدرج تحته الظواهر المتطابقة والمتشابهة، والأهم هو الظواهر التي تبدو في السطح الخارجي متباعدة متنافرة، لكنها تختبئ تحت نسيج داخلي وفق علاقات واحدة متشابكة، برغم ما يبدو في ظاهرها من تباين واختلاف، يقول ولتر في حديثه عن البنية: (فمعنى الكلمة إذن هو

---

[1] **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، عبد الرحمن الحاج صالح موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2007م، 21/2.

[2] **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، عبد الرحمن الحاج صالح، 16/2.

الشكل نفسه، ولاشيء أكثر إثارة لمتعة الرياضي من اكتشافه وحدةَ وتطابقَ شيئين ينظر إليهما عادة على أنهما متمايزان. إن العلم الرياضي، كما قال بونكاريه، هو فن إعطاء الاسم نفسه لأشياء مختلفة).[1]

فالأساس الرياضي في الفكر المعاصر هو البنية، وأساس البنية النظام، وأهمية هذا النظام لا تكمن، فقط، في الجمع بين الظواهر الواحدة المتشابهة، بل متعة الرياضي وإثارته عندما تتقاطع الظواهر المتنافرة شكلاً في بنية واحدة تكون هي الجوهر، مما يحقق الاقتصاد في الفكر والطبيعة والعلم، يقول ولتر: (من الأمور المثيرة للانتباه، أننا نجد في الطبيعة بنية واحدة تتمظهر في مظاهر متنوعة، كما لو أن عدد البنيات الممكنة عدد محدود، إن البنية التي يرمز إليها الرياضيون بـ: [Δ 2 س] نصادفها، على الأقل في اثني عشر فرعاً من فروع العلم... ليست هناك اثنتا عشرة نظرية، بل نظرية واحدة واثنتا عشر تطبيقاً، تظهر فيها دائماً الشبكة نفسها من العلاقات، أي البنية نفسها).[2]

ومن السمات الدالة والمكوّنة لمفهوم البنية في الفكر الرياضي فكرة التقابل التناظري، فالبنية تتشكل أساساً باعتبارها شكلاً صورياً مجرداً تندرج تحته الظواهر المتطابقة أو المتشابهة، والأهم المتنافرة المتباعدة شكلاً المتقاطعة جوهراً، يقول ولتر: (إن هذه الفكرة، فكرة وجود البنية نفسها في ظروف مختلفة، فكرة بسيطة جداً، ويكفي الرجوع بها إلى أصلها اليوناني لتحصل على مفهوم من أكثر المفاهيم رواجاً في الرياضيات، ونعني بذلك مفهوم التقابل isomorphisme إن هذه الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين هما: iso ومعناها الشيء نفسه، و morphe ومعناه الشكل. فمعنى

---

[1] **مدخل إلى الرياضيات**، ولتر ورويك، ترجمة محمد عابد الجابري في كتابه: مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دراسات ونصوص في الابستيمولوجيا المعاصرة، 206/1. وينظر: Introduction aux mathèmatiques, Walter Warwick Sawyer, pp10-13.

[2] **مدخل إلى الرياضيات**، ولتر ورويك، ترجمة محمد عابد الجابري في كتابه: مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دراسات ونصوص في الابستيمولوجيا المعاصرة، 206/1. وينظر: Introduction aux mathèmatiques, Walter Warwick Sawyer, pp10-13.

الكلمة إذن هو: الشكل نفسه).[1]

وكل هذه المكونات المشكلة لكينونة البنية وفق المنظور الرياضي، نجدها عند العلماء الأولين فالبنية هي صورة مجردة ذات مستويات تجريدية مختلفة، فهناك البنى الأعلى تجريداً، والبنى الأقل تجريداً، أي الأصول العامة، والأصول الخاصة، فلقد (أصبحت الرياضيات تعتبر اليوم كنظرية في البنيات من أنواع مختلفة، وعلى رأسها ما يعرف اليوم بالبنيات الأولية أو البنيات الأم).[2]

ولأن البنى تجريدية، فإنها محدودة العدد، تحقق الاقتصاد في الظواهر التي تقوم عليها، وتحقق الاقتصاد في العلم المصور لها، والأمر عينه في البنى اللسانية فهي ذات بعد تجريدي، وهي محدودة كما رأينا ذلك عند حديثنا عن الأصول الوضعية العامة باعتبارها جزءاً محورياً كمقدمات في النسق اللساني، وما تلك الأصول العامة التي استنبطها الأولون إلا تصويراً ومقاربة نظرية للأصول التي تجري عليها اللغة العربية. يقول الشلوبين: (وللخليل – رحمه الله– أن يقول: "مأحذنا في هذه الصناعة إنما هي لتقليل الأصول ما أمكن لا لتكثيرها"، ولذلك لم نقل في "يضرب، واضرب، وضارب، ومضروب، ضرب، وضرب" إنها أصول كلها، إنما جعلنا واحداً منها أصلاً وهو "ضرب" وجعلنا الباقي فرعاً عليه).[3]

إذ يلجأ العلماء الأولون إلى (ترتيب الأشياء على هذا الأساس العقلي المنطقي، لردها إلى

---

[1] **مدخل إلى الرياضيات**، ولتر ورويك، ترجمة محمد عابد الجابري في كتابه: مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دراسات ونصوص في الابستيمولوجيا المعاصرة، 206/1. وينظر: Introduction aux mathèmatiques, Walter Warwick Sawyer, pp10-13.

[2] **مدخل إلى فلسفة العلوم**، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 138/1.

[3] **شرح المقدمة الجزولية**، الشلوبيين تحقيق: تركي بن سهو بن نزال العتيبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1994م، 473/2-474.

أصول معدودة تنتظم تحتها في نسق واحد وتنضبط بهذه الأصول)[1] ولقد أدرك أبو حيان الأندلسي جيداً هذا الغرض الذي سعى إليه الأولون، فقال: (وما من علم وإلا وقد شذت منه جزئيات مشكلة فترد إلى القواعد الكلية والضوابط الجميلة)[2] ويقول الدكتور بن لعلام مخلوف: (فالعقل يسعى أبداً إلى حمل الأمثال والأشباه والنظائر بعضها على بعض، لاستنباط القوانين والأصول والكليات منها لتنظيم معارفه باختزال كثرة الأفراد المتماثلة والأعيان المتجانسة في وحدة تحقق له الاتساق والانسجام في إدراكه للظواهر التي يدرسها، ولولا نزوع العقل إلى التعميم والشمول، لما قامت العلوم على الإطلاق)[3].

فإذا كان جوهر البنية رياضياً باعتبارها كياناً عاماً يندرج تحته المتشابه والمتنافر، فعمق العمل اللساني وذروته في استنباطهم للبنى الجامعة للوحدات اللغوية التي لا يعكس ظاهرها إلا تنافرها وتباعدها، حتى لا يخيل للمرء أن هناك بنية واحدة تضبطها وتجمعها. ومثال ذلك يقال عن الأفعال التالية: [قِفْ، اجْرِ، شِ] فهي تبدو في ظاهر لفظها لا علاقة بينها، ولاشيء يربط بعضها ببعض لاختلاف بنيتها في الاستعمال، إلا أنها ترد جميعاً إلى باب "افْعِلْ" نحو [انزل، واعرف، واغفر] وهو أصل صيغة كل الأفعال السابقة الذكر، وإذا رُدَّت الأفعال: [قف، واجر، وشِ] إلى هذا الأصل ظهر [التناظر بينها جميعاً]، وبينت البنية المشتركة بينها وأصولها، والعلاقات التفريعية بينها وبين فروعها. ويمكن تمثيلها في الجدول الحملي التالي[4]:

---

[1] **ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه**، بن لعلام مخلوف، رسالة دكتوراه، إشراف: سعدي الزبير، قسم اللغة العربية، جامعة الجزائر، 2003م، ص 112.

[2] **الأشباه والنظائر في النحو**، السيوطي تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م، 356/1.

[3] **ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه**، بن لعلام مخلوف، ص 113.

[4] **ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه**، بن لعلام مخلوف، ص 100.

ويوضح الدكتور بن لعلام مخلوف قائلاً: (وهكذا ينتهي هذا القياس إلى إدراج الفروع بل وحتى الشواذ في كثير من الأحيان تحت الأصول، وينفذ به النحوي من وراء التعدد والتنوع والاختلاف في الاستعمال إلى التجانس الخفي، فينتفي التناقض والفوضى والاضطراب في نظام هذه اللغة، وهذه غاية التنظير العلمي، الذي تسعى فيه النظرية إلى تفسير مايبدو متناقضاً وَحَلِّ الغموض، ورد اللاانتظام في الظاهر إلى نظام قد لا يكشف عنه ظاهر اللفظ والاستعمال، بل قد يوهمان بضده، ذلك لأن الاستعمال يصل معه التغاير والتعدد أحياناً إلى حد التناقض، وينكسر معه الاطراد إلى حد الفوضى والعشوائية في الظاهر، إن هذا القياس طريقة ملائمة لاكتشاف نظام اللغة الخفي، إذ يبين التماثلات القائمة بين استعمالين ظاهرهما مختلف)[1].

وهذا عين ما ذهب إليه ولتر، حين قال أن لا شيء أكثر متعة وإثارة للرياضي من اكتشافه وحدة وتطابق شيئين ينظر إليهما عادة على أنهما متمايزان، فإن العلم الرياضي كمايرى بونكاريه هو فن إعطاء الاسم نفسه لأشياء مختلفة، فمن (أعظم صفات العقل معرفة التماثل والاختلاف، فإذا رأى الشيئين المتماثلين عَلِمَ أن هذا مثل لهذا فجعل حكمها واحداً)[2] وكلما (تصور الإنسان النظائر قويت معرفته بتلك الكلية) كما يقول ابن تيمية.[3]

---

[1] **ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه**، بن لعلام مخلوف، ص 110.

[2] **الرد على المنطقيين**، ابن تيمية، قدمه وضبطه: رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993م، 112/2.

[3] **الرد على المنطقيين**، ابن تيمية، 110/2.

إذ يعد القياس التناظري من أهم الوسائل الرياضية في اكتشاف البنى وخصائصها، فكثيراً ما يلجأ الرياضي في التوصل إلى مفاهيم معقدة وبنى خفية عن طريق القياس، وكما تتحدد العناصر الرياضية وفق النظام التقابلي من أجل الكشف عن التناظر والتكافؤ إن وجد، فإن الرياضي قد يقابل المجموعات والبنى بعضها مع بعض، بما يعرف بتطبيق مجموعة على مجموعة، فالقياس التناظري باعتباره نظاماً تقابلياً هو من أهم الآليات العقلية الاستنباطية، التي يعتمدها الرياضي في كشفه عن المفاهيم والبنى الرياضية، ومثل ذلك استنباطه للمفهوم المتعدد للمالانهاية فيما يخص المجموعات اللامنتهية.

فمن المسائل الرياضية التي قد تهمنا كثيراً (معرفة عدد عناصر المجموعة، أو المقارنة بين مجموعتين من حيث عدد العناصر التي تشتمل عليها كل منهما ... والطريقة المستعملة هنا هي ... طريقة التناظر Correspondance أو Bijection أي الطريقة المبنية على "علاقة واحد بواحد". قد تدخل مثلاً إلى المقهى وتلاحظ أن حول كل طاولة شاباً وشابة، فتستنتج مباشرة أن عدد الشبان يساوي عدد الشابات. إن طريقة التناظر هذه سهلة ويمكن تطبيقها مهما كانت عناصر المجموعات التي نريد المقارنة بينها: إذ يكفي أن نربط "أي نقيم علاقة" بين عنصر في مجموعة وعنصر آخر في مجموعة أخرى. حتى إذا استنفدنا جميع عناصر إحدى المجموعتين تبين لنا: هل هما متساويتان، أو إحداهما أكبر من الأخرى، وذلك دون اللجوء إلى عملية العد.

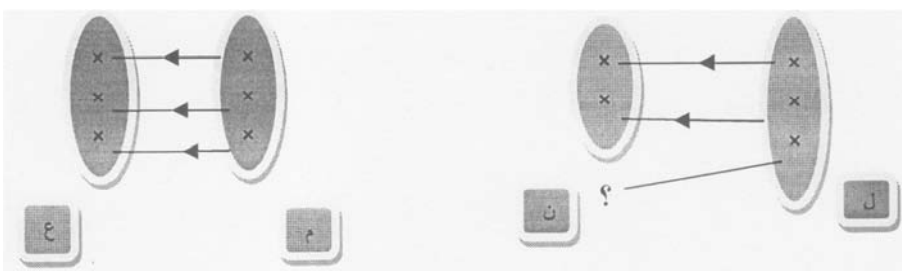

وهكذا فالمجموعتان م، ع "متشابهتان" كما في الرسم: أما المجموعتان ل، ن فهما غير

متشابهتين)[1] ففي الاصطلاح الخاص بنظرية المجموعة لا يقال عن مجموعتين إنهما متساويتان إلا إذا كان كل عنصر في المجموعة الأولى يقابل عنصراً في المجموعة الثانية، فالمساواة هنا Egalité تعني الهوية. أما المجموعتان اللتان تشتملان على نفس العدد من العناصر، فيقال أن لهما نفس القوة أو هما متشابهتان Equipotents.[2]

وعبر نفس الآلية أي آلية التقابل التناظري، استطاع الرياضيون الكشف عن بنى رياضية غاية في الأهمية هي البنى النهائية والبنى اللانهائية أو ما لا نهاية، وهذه الأخيرة تنقسم في منظومة الأعداد الحقيقية إلى $-\infty$ و $+\infty$ أي اللانهايات المتناقصة واللا نهايات المتزايدة.

يقول محمد عابد الجابري: (فلنبدأ أولاً بالمجموعات المتجاوزة اللانهاية، ولنشر قبل ذلك إلى المشكلة التي تطرحها المجموعات اللامتناهية "أي التي تتكون من عناصر لانهاية لعددها"، كمجموعة الأعداد الطبيعية "1, 2, 3, 4 ,..."، ومجموعة الأعداد النسبية "أي الأعداد الموجبة والسالبة"، ولنقارن بينهما بالتناظر، هكذا:

$$\left.\begin{matrix} \ldots\ldots 7.6.5.4.3.2.1.0 \\ \ldots\ldots 4.3- .3.2- .2.1- .1.0 \end{matrix}\right\}$$

من الواضح، إذن، أنه يمكن أن نسير في إقامة "علاقة واحد بواحد" إلى ما لا نهاية له، الشيء الذي يعني أن هناك من الأعداد الطبيعية بقدر ما هناك من الأعداد النسبية، على الرغم من أن هذه ضعف تلك. "الأعداد النسبية تكون موجبة تارة وسلبية تارة أخرى، أما الأعداد الطبيعية فلا علامة لها".[3] وحتى يتين لنا الأمر يقدم لنا الرسم البياني التالي[4]:

---

[1] **مدخل إلى فلسفة العلوم**، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 1/96-97.

[2] **مدخل إلى فلسفة العلوم**، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 1/97. ولمزيد من التفاصيل حول المفاهيم الأولية لنظرية المجموعات يمكن الرجوع إلى: Introduction à la thèorie des ensembles, Paul Richard Halmos , traduction de J. Gardelle, mathèmatiques et sciences de L' homme , Gauthier-Villars , Paris,1967.

[3] **مدخل إلى فلسفة العلوم**، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 1/97.

[4] **مدخل إلى فلسفة العلوم**، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 1/98.

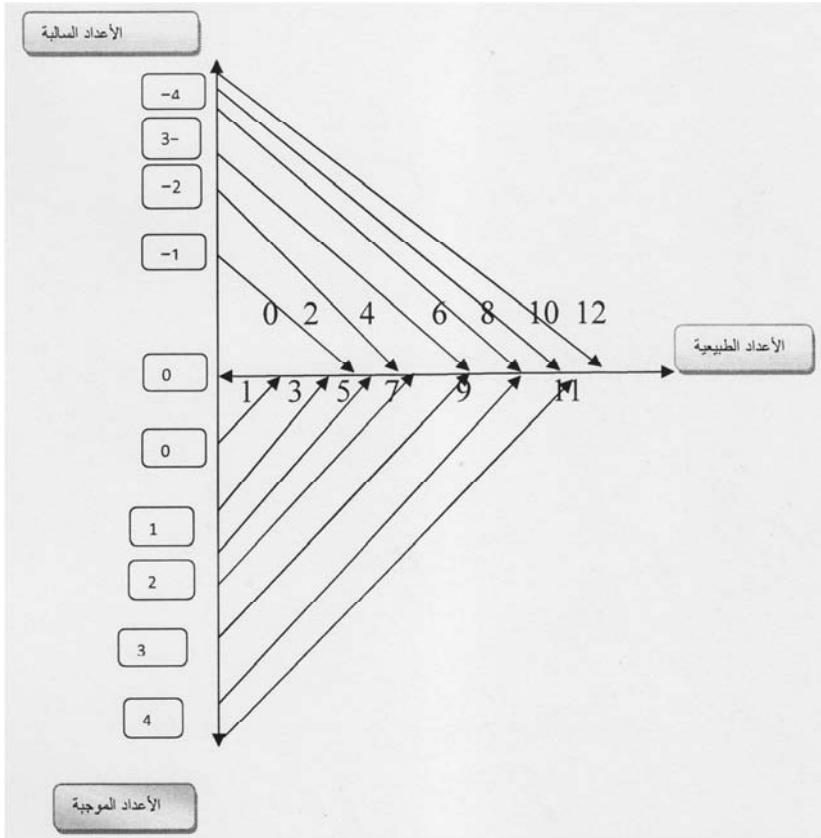

القياس التناظري أداة استنباط واستدلال.

معلقاً عليه في قوله: (وإذن، فمجموعة الأعداد الطبيعية الصحيحة الطبيعية وهي لا نهائية، تناظر مجموعة الأعداد الموجبة والسالبة معاً، وهي لا نهائية العدد أيضاً، ولأن هذه ضعف تلك فإن ذلك يعني أننا أمام نوعين من اللانهاية. وبالمثل يمكن إقامة التناظر بين مجموعة الأعداد الفردية، والأعداد الطبيعية "فردية وزوجية معاً"، وبين الأعداد الكسرية والأعداد الصحيحة، وبين الأعداد الحقيقية كلها "مختلف أنواع الأعداد ما عدا التخيلية" والأعداد الطبيعية وهي جزء منها

... والنتيجة واحدة، وهي أن هناك أنواعا من اللانهايات).[1]

فالقياس الرياضي غير القياس الأرسطو طاليسي، هو تقابلي لا اندراجي، يقودنا إلى نتيجة جديدة لا نتيجة متضمنة في المقدمات المحمولة بعضها على بعض، إنه قياس خلاق، توليدي، وجريانه في الفكر الرياضي مماثل لما هو حاصل في اللسانيات العربية عند النحاة المؤسسين وعلى رأسهم الخليل، ونستغرب من الذين يرون في الفكر اللساني عند الخليل فكراً متأثراً بمنطق أرسطو، على حين هو فكر قائم على آليات ومفاهيم لا نجدها لا عند أرسطو ولا حتى في النموذج الرياضي عند إقليدس، فالقياس العربي في الدرس اللساني هو قياس رياضي من الدرجة الأولى؛ فكما اكتشف الرياضيون تلك البنى اللانهائية وغيرها من البنى الرياضية بإجرائهم القياس، فكذلك توصل الأولون بالقياس التناظري إلى مجموعة من البنى البالغة التجريد، موجودة في العربية أوممكنة، بنى مجردة باطنية يقوم عليها الكلام لكنها لا تظهر فيه، بنى يتولد منها النهائي واللانهائي، إنها جزء من النظام الباطني للغة.

فإذا كانت البنية وفق المنظور الرياضي شكلاً صوريّاً يستنبط رياضياً وفق التقابل التناظري، فهذا عين الاستنباط اللساني للبنى في أرقى صورها ومستوياتها، ونعني بذلك [المثل] التي توصل إليها العلماء الأولون بحَمْل الوحدات اللغوية بعضها على بعض في قياس تقابلي تناظري في جميع المستويات اللغوية، فمع أن اللسانيات البنوية جعلت من البنية موضوعها الأحادي الأوحد، فإن منهج تحليل دارسيها لا يرقى إلى مستوى علمائنا الأولين، حتى في أرقى ما توصلت إليه اللسانيات البنيوية كلسانيات تجرديدية رياضية عند أفرام نعوم تشومسكي، فغاية البحث عند البنيويين هو اكتشاف (الوحدات التي تتكون منها اللغة وذلك بتحديد هويتها التي ليست عندهم إلا صفاتها الذاتية ثم ترتيبها، وهذا التصنيف بني على التمايز المتدرج من الجنس الأعلى إلى ما تحته وهو عندهم بنية)[2].

---

[1] **مدخل إلى فلسفة العلوم**، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 98/1.

[2] **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، عبد الرحمن الحاج صالح، 41/2.

إذ يدعونا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى الانتباه إلى شيء مهم لم ينتبه إليه حتى (أصحاب المدرسة التوليدية هو أن التحليل البنيوي هو من قبيل القسمة الأفلاطونية، وأهم صفة تتصف بها هذه القسمة هي اندراج الشيء في الشيء "Inclusion"، على حين التحليل العربي هو من قبيل القسمة التركيبية وهو إجراء شيء على شيء بتحقيق التناظر "Bijection"، والقياس في النحو العربي جوهره هذا الإجراء التنظيري، ولا تناظر في القسمة الأفلاطونية، ولذلك فالقياس العربي أرقى بكثير لأنه يكوّن دائماً ما يسمى في الرياضيات الحديثة زمرة "Group").[1]

فالعلماء العرب لا يكشفون عن هوية الجزء وجنسه فقط بل عن (مكانته ودوره من المجموعة من أجزاء العبارة التي ينحصر فيها، فبذلك تتحدد هويته لا بإدراجه في فئة بسيطة بل ببنائه، أو بتركيبه في مجموعة مرتبة، لكل جزء منها موضع خاص يؤدي فيه عملاً وضعياً خاصاً. وهذه المجموعة بهذا المعنى الرياضي هو الذي يسمونه باباً وحدّاً وقياساً، ورسمه وتمثيله عندهم مثالاً. ولكل مستوى من مستويات اللغة حدود خاصة به).[2]، ولنأخذ مثلاً مستوى الكلم المتمكنة، فحدودها ومثلها في هذا المستوى من قبيل [البناء]، ويعنون بذلك أن أجزاءها مبنية بعضها على بعض على مثال معين بحيث لا يمكن أن تحذف إلا بتلاشي الكلمة كلها. ويمكن أن تصور هذه العمليات الحملية في هذا المستوى هكذا[3]:

[1] **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، عبد الرحمن الحاج صالح، 42/2.

[2] **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، عبد الرحمن الحاج صالح، 3837/2.

[3] **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، عبد الرحمن الحاج صالح، 38/2.

(أ = مَكْتَبْ) (ب = مَلْعَبْ) (ج = مَعْمَلْ) ↔ المثال الجامع = مَفْعَلْ

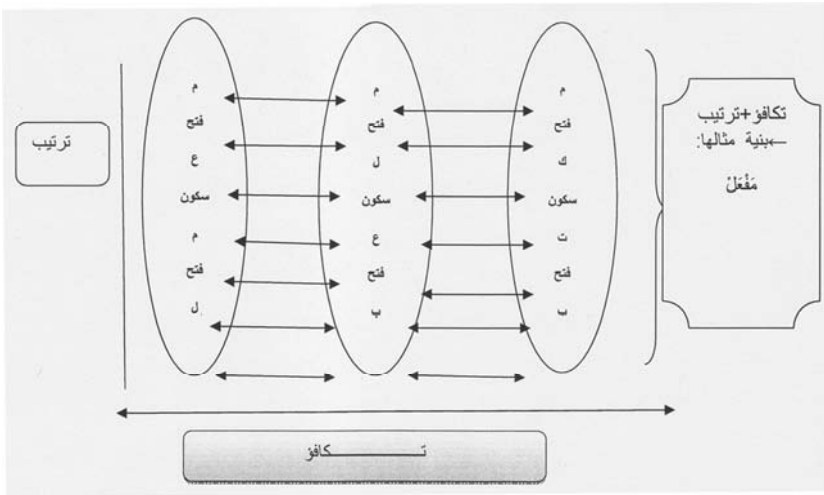

فالمثال [مَفْعَلْ] هنا؛ هو نتيجة مستنبطة من عملية إجرائية هي القياس، جرى فيها حَمْل الوحدات اللغوية الإفرادية بعضها على بعض، ومقابلتها وفق خطين الأفقي والعمودي، يتمثل الخط الأفقي في توالي الحروف الصوامت والصوائت كل في موضعه، في حين يتمثل الخط العمودي بمقابلة كل عنصر بنظيرة في المجموعة الأخرى، وهو الأمر الذي نبينه في الجدول التالي:

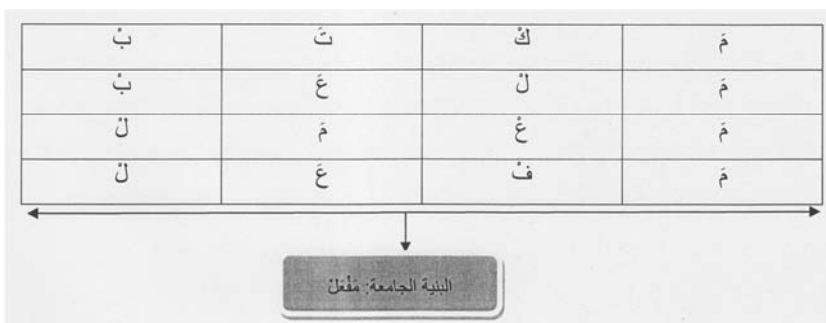

يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: (فالقياس والحد هنا ناتج عن انتماء كلٍّ من مكتب،

وملعب، ... إلى جنس واحد هو اسم المكان من الثلاثي، وفي الوقت نفسه من وجود عناصر على ترتيب معين في كل واحد منها، ولولا الترتيب المعين لما كان هناك قياس أوحد، ويؤدي هذا الحمل إلى تجريد رياضي، لا يكتفي فيه بتجريد الصفات المشتركة الذي ينتج منه الجنس "الفئة البسيطة" بل إلى بنية مجردة وهي مثال الكلمة وتمثل فيها المتغيرات برموز " ف/ ع/ ل" والثوابت بالبقاء على أصلها).[1]

والقياس كأداة إجرائية سارية المفعول في جميع المستويات اللغوية عند الأولين؛ إذ يبين لنا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح آلية استنباط الأولين للبنية العاملية في المستوى التركيبي، وهي بنية تقوم على مواضع اعتبارية تدخل فيها عوامل ومعمولات، كما قد تكون تلك المواضع فارغة، إذ يقول: (إن استنباط البنى والمثل عند النحاة الأولين وهو كالتالي: "لا تنسى أن الخليل كان من أبرز الرياضيين": يتولد الموضع "بهذا المعنى" من عمليتين اثنتين:

1. بحمل عبارة على عبارات أخرى من بنى جنسها لبيان تكافئها إن كان هناك تكافؤ.
2. بمقارنة ترتيب عناصر كل عبارة لاكتشاف الترتيب المشترك بينها، والتركيب بين هاتين العمليتين – وهو القياس التمثيلي العربي – ينتج منه المثال أو البنية المجردة التي تجمع بين هذه العبارات من حيث بنيتها ليس إلا. وهذا هو الجامع الذي يتعادل به الحكم... فمثال التركيب في مستوى الجملة المفيدة يتكون من: موضع العامل "ع" يدخل فيه الابتداء والنواسخ والفعل غير الناسخ والناسخ، وموضع المعمول الأول "م1" ويدخل فيه المبتدأ والفاعل "أو ما يقوم مقامهما"، وموضع المعمول الثاني "م2" ويدخل فيه الخبر والمفعول "أو ما يقوم مقامهما": وهي النواة. وتلحق بهذه النواة مواضع للعناصر المخصصة "خ" الحال والتمييز والمفاعيل الأخرى. ويمكن أن يرمز إلى هذه العناصر بالصيغة الآتية: [(ع ← م1) + –م2] ± خ).[2]

لقد ذهب بعض الباحثين في الدرس الحديث، إلى أن أهم البنى المستنبطة في المستوى

---

[1] **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، عبد الرحمن الحاج صالح، 39/2.

[2] **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، عبد الرحمن الحاج صالح، 15/2-16.

التركيبي هي بنية الجملة الفعلية في مقابل بنية الجملة الاسمية:

فعل + فاعل ± مفعول به
}
المبتدأ + الخبر

وهذا صحيح، إذ تقوم الجملة العربية على نمطين؛ نمط فعلي، ونمط اسمي، لكنها تقوم في الأساس على نمط بنيوي كلي وأساسي، هو النمط العاملي، أو البنية العاملية، فنظرة الأولين للجملة العربية أعمق بكثير من الوصف الظاهري لها، بقيامها على بناء فعلي وبناء اسمي، إنما كشفوا لنا عن البنية التجريدية الجامعة لكلا النمطين، مما يحقق مفهوم البنية وفق المنظور الرياضي في أعلى صوره.

فلقد رأينا كيف أن البنية في الفكر الرياضي تتمحور أهميتها في جمع المختلف والمتباعد والمتنافر في مقابل جمعها للمتشابه والمتطابق، وبؤرة تمركز البنية كمفهوم رياضي في الفكر اللساني، يتمحور في هذه المثل التي استنبطها الأولون، ومثّلوها تمثيلاً رياضياً ترميزياً، ويشمل ذلك هذه البنية العاملية، التي جمعت ما يبدو في ظاهره متباعداً، ونعني به نمط الجمل الفعلية، في مقابل نمط الجمل الاسمية، ولْنوضِحِ الأمر في الجدول التالي:

عامل	معمول أول	معمول ثان
ϕ	العمر	لحظات
إن	الحلم	أمل
كان	الفكر	راقيا
تعلم	ϕ	الأدب
ارسم	ϕ	وجهك
∞	الوطن	أغنية
اضرب	ϕ	ـه
اسمع	ϕ	الصوت

فقد تبدو هذه الجمل في ظاهرها متباينة، مختلفة، لكنها تقوم على بنية لفظية كلية جامعة،

فكلها تقوم على العامل والمعمول الأول والمعمول الثاني، غير أن طبيعة العوامل تحتلف من جملة إلى أخرى، فالعامل في الجملة رقم1 هو عامل الابتداء، المرموز له بالمجموعة الخالية، لأنه دلالة على خلو موضع العامل من العامل اللفظي، والأمر عينة في الجملة رقم 6، وهذا العامل هو عامل معنوي، تقابله في الجدول عوامل لفظية ظاهرة هي النواسخ في الجملتين رقم 2 و3 والأفعال في الجمل رقم 4, 5, 7, 8.

في حين يتمثل المعمول الأول في المبتدأ وذلك في الجملتين :1, 6، وفي اسم الناسخ في الجملتين 2, 3 وفي الفاعل المستتر المرموز له بالمجموعة الخالية، أي خلو موضع العامل من اسم ظاهر، وذلك في الجمل4, 5, 7, 8، في حين يتمثل المعمول الثاني في خبر المبتدأ في الجملة رقم1 و6 وفي خبر الناسخ في الجملتين 2 و3، وفي المفعول به في باقي الجمل، غير أن المفعول به في الجملة رقم 7 لم يأت على الأصل، بل جاء ضميراً متصلاً.

فبرغم التباعد الذي يبدو بين هذه الجمل في ظاهر بنيتها، فإن العلماء الأولين بإجرائهم العمليات الحملية، حيث تتقابل هذه التراكيب محمولة بعضها على بعض، استطاعوا أن يكشفوا التناظر القائم بينها، وهو البنية اللفظية العاملية التي تقوم عليها جميع تلك الجمل موضع التقابل والتناظر، إن القياس أداة إجرائية فعالة في الدرس اللساني سواء على مستوى البرهنة، كما رأينا ذلك سابقاً، أين تحمل الأصول المقدرة للفروع على نظائرها من الوحدات اللغوية الأصلية التي لم تخرج إلى الاستعمال محوّلة مثلما نجد ذلك في الفروع، وفي الاتجاه المركزي كان القياس أداة فعالة في استنباط البنى الجامعة للوحدات اللغوية، بنى غير ظاهرة في سطح اللغة، إنما هي جزء من النظام الباطني لها، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: (حملنا كل هذه الجمل بعضها على بعض كما فعل سيبويه، وبذلك تظهر موازاة تامة بين العناصر لأن إجراء الشيء على ماهو بمنزلته حتى لو كان مختلفاً عنه تماماً يكشف لنا البنية اللفظية الجامعة، أي التي يشترك فيها العدد اللانهائي من الجمل، وهذا النوع الذي يسميه النحاة في مستوى الجملة ههنا قياساً ومثالاً وحداً وأصلاً تبنى عليه وتتفرع عليه الفروع فهو بالنسبة للجمل كالبناء والوزن "والمثال" بالنسبة

للكلمة).[1]

والقياس كعملية إجرائية، كما يوضح لنا ذلك في مواضع كثيرة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، لا يعني مجرد حمل الوحدات بعضها على البعض في إطار تقابلي كيفما اتفق، إنما لهذه الأداة مجرى وسلوك منهجي، يتمثل في مقابلة كل عنصر بالعنصر المقابل وفق مراعاة عاملين هامين: عامل الترتيب وعامل الموضع، فجميع المثل التي تقوم عليها اللغة العربية، قائمة على عناصر لها مواضع، وعناصر تتركب فيما بينها وفق قانون الترتيب. فما (البنية إلا مجموعة من المواضع مرتبة ترتيباً اعتبارياً "غير مواز بالضرورة لتسلسل الكلام الملفوظ").[2]

الخاتمة

يتقاطع مفهوم البنية رياضياً مع فكر الخليل بن أحمد الفراهيدي، تصوراً وإجراء في عدة أوجه، ذكرناها في هذه الورقة البحثية، وهناك أوجه أخرى سنكشف عنها في بحث لاحق إن شاء الله، ومن هذه الأوجه نذكر:

أولاً: البنية شبكة من العلاقات الثابتة في ظل بعض التحوّلات.

ثانياً: البنية موضوع للدراسة و صورة للمنهج.

ثالثاً: البنية هيكل صوري وكيان مجرد.

رابعاً: البنية شكل صوري جامع للمتشابه والمتنافر قوامه القياس أو التقابل التناظري.

هذا بعضٌ من الأوجه ذكرناها في هذه الورقة البحثية، وهناك أوجه أخرى سنكشف عنها في بحث لاحق إن شاء الله.

---

[1] **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، الجملة في كتاب سيبويه، عبد الرحمن الحاج صالح، 298/1.

[2] **منطق العرب في علوم اللسان**، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 124.

بحوث في الترجمة والتعريب

متلازمة التعريب والترجمة والتنمية اللغوية

د. ممدوح خسارة
مجمع اللغة العربية – سورية

مدخل

لابد من التذكير بداءة بأن ما نعنيه بالتعريب في هذا المقام، هو تدريس العلوم باللغة العربية في كل مراحل التعليم، ولاسيما المرحلة الجامعية، وما يستلزمه هذا التعريب بالضرورة من ترجمة، غَرَضُها نقل العلوم والتقانات من لغة أجنبية إلى اللغة العربية، وأداتُها مصطلحٌ علمي عربي دقيق، وكتابةٌ علمية عربية سليمة.

وعلى هذا فالدراسة متوجّهة إلى ترجمة العلوم الأساسية والتطبيقيَّة، وألفاظ الحضارة، دون غيرها من ميادين الترجمة.

ومع أن الترجمة هي مرتكز التعريب ووسيلته، فإنها سابقة عليه، لأنه كان لها– تاريخياً– "الدور الأساسي في تطوُّر الإنسانيّة، كانت وسيلة نقل استثنائية للمعرفة والعلم، منذ الأزمان الغابرة"[1]، لا عند أمتنا فحسب، بل وعند جميع الأمم.

ولا يُتَصَوَّر تطوُّر فكريّ ولا علمي ولا تقانيّ من دون الترجمة؛ ذلك أن الإنجازات الحضارية كلَّها هي حصيلة تراكم معرفيّ أسهمت فيه كل أمَّة بنصيب كبير أو قليل. والذي يَنْقل ذلك الإسهام إلى سائر الأمم هو الترجمة. لولا الترجمة لكان على كل أمة أن تخترع الدولاب والورق والحواسيب بنفسها ومن جديد... لقد اختصرت الترجمة الجهودَ البشرية في نقل المعارف

[1] جون كلور جيمار، **هل الترجمة مُمَدِّنة؟** ترجمة د. لحسن الكيري، مجلة التعريب ع 51: ص136.

والخبرات، لولا الترجمة لما كان للبشرية حضارة عالمية. تُرْجمت الرياضيات اليونانية إلى غير اليونانيين فزادوا عليها وطوَّروها، وتُرْجمت علوم العرب المسلمين إلى غيرهم فَبَنَوْا عليها وتجاوزوها، و تُرْجمت العلوم والتقانات الأوربية المعاصرة إلى غيرهم، فتمثلوها ووّظَّفوها. "كل نهضة تبدأ بالترجمة... لنتخيَّل اليابان مثلاً أحجمَتْ عن هذه الخطوة في القرن التاسع عشر، هل كانت تحقِّق ماَ حقَّقَتْه اليوم من كل هذا التقدم".[1]

ووراء كل هذه السيرورة العلمية والمعرفية بين الأمم، يقف جيش من المثقفين المتنوِّرين هم التراجمة، صانعو المثاقفات الحضارية.

إن متلازمة التعريب والترجمة والتنمية اللغوية تعني التَّرَابُط والعلاقة التي لا انفكاك بين عناصرها، بالنظر إلى ما بين هذه العناصر الثلاثة من تفاعُل وتكامُل، حتى ليبدو أن كُلّاً منها عِلَّةٌ ونتيجة بآن معاً في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة.

أولاً: التعريب قديماً وحديثاً

كانت الترجمة وسيلة العرب الأولى قديماً لنقل العلوم الأساسية والتطبيقية كالرياضيات والفيزياء والطب والصَّيْدلة، إلى البيئة العربية. وكانت وراء الحضارة العربية الإسلامية زمن نشأتها، كما كانت حديثاً وسيلتهم الأولى لنقل العلوم وتدريسها بها ونشرها، وهذا ما نطلق عليه اليوم (التعريب).

مرَّ التعريب بثلاث مراحل تاريخية هي:

- **المرحلة الأولى: التعريب في العصر العباسيّ:**

دفعت النهضة العربية الإسلامية في القرون الهجرية الأولى التي كان طابعها عقائدياً وفكريّاً، إلى استكمالها بالطابع العلمّي، أعني إغناءها بالعلوم البحتة والتطبيقية. وهذا ما دفع إلى قيام حركة ترجمية رائدة عظيمة مع بدايات القرن الهجري الثاني، بعد أن عُرِّبت الدواوين في القرن

[1] أ. حنا عبود، **الترجمة والنهضة**، ندوة الترجمة في الجامعات العربية السورية (2007) ص: 31.

الهجري الأول. وكان وراء هذه الحركة أفرادٌ نابهون من مواطني الدولة العربية كآل اسحاق وآل بختيشوع، "وآل المُنَجِّم... وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحِيل (الميكانيك)، والحركات والموسيقا والنجوم"[1].

كما كان وراءهَا مؤسساتٌ رسميَّة جَمعتْ جهودهم وجهود غيرهم، وتَجَسَّد ذلك (في بيت الحكمة) ببغداد في عهد الرشيد وابنه المأمون 198-218هـ. الذي "أخرج جماعة [من النقلة والمترجمين] منهم الحجَّاج بن مطر، وابن البطريق، وسَلْمٌ صاحب بيت الحكمة وغيرهم – إلى بلاد الروم، فأخذوا مما وَجَدُوا ما اختاروا، فلَّما حملوه أمرهم بنقله [ترجمته] فنُقِل".[2]

وكانت ترجمة العلوم هي الطاغية على مترجمات ذلك العصر. فمن مجموع 400 كتاب مُتَرْجم ذكرها ابن النديم، نجد 386 كتاباً في العلوم، منها 149 كتاباً في الطب، و123 كتاباً في الرياضيات، و114 كتاباً في الفلسفة، أي إن نسبة الترجمة العلمية كانت نحو 96.5% من المترجمات.

وقد نُقِلت في تلك المرحلة الغنية في الترجمة العلومُ الأساسية والفلسفية مع مصطلحاتها العربية، ولنقرأ عنوانات كتب الكندي 260هـ، لنرى المدى الذي بلغه التوجُّه الترجمي العربي فيها، فمن كتبه: الحسابيات والموسيقيات والهندسيات والأحكاميات والجدليَّات والأحداثيَّات، والأبعادَّيات [في الجغرافية] والأنواعِيَّات [في المعادن والجواهر]. ولنقرأ عنوانات كتب أرسطو المترجمة: المَقُولات، والعبارة، وتحليل القياس، والبُرْهان، والجَدَل، والمغالطة.[3] فهذه كلها مصطلحات علمية دخلت العربية من ذلك العصر بطريق الترجمة.

- **المرحلة الثانية: التعريب في العصر الحديث:**

وقد تمظهر في تجربتين هما: التعريب في مصر ولبنان، ثم التعريب في سورية.

---

[1] ابن النديم، **الفهرست**: 392-393.

[2] ابن النديم، **الفهرست**: 353.

[3] ابن النديم، **الفهرست**:361.

أ. التعريب في مصر ولبنان:

وكان ذلك في القرن التاسع عشر، مع إنشاء المدارس العلمية التَخصُّصيَّة التي أسسها والي مصر المتنوِّر (محمد علي باشا)، كمدرسة الهندسة، والزراعة، والألسن، والطب... والتي جعل التدريس فيها باللغة العربية[1] واستمرت هذه التجربة واحداً وستين عاماً 1826-1887 م. وكان العائدون من بعثاتهم العلمية في أوربا مُلْزَمين بترجمة رسائلهم العلمية إلى العربية قبل أن يُعَيَّنوا في الدولة، وغالباً ما كانوا ينجزون هذا في مدة إقامتهم في المَحْجر الصحي، قبل دخولهم أرض مصر. وكانوا يدرِّسون تخصُّصاتهم باللغة العربية. وربما كان إلى جانب هؤلاء المصريين أساتذةٌ أجانب استُقْدموا للتدريس في تلك المدارس العلمية، كالدكتور (كلوت) باشا، والدكتور (بيرون) الذي ألف كتابين بالعربية في الطبيعة [الفيزياء] والكيمياء. وكان إلى جانب كل أستاذٍ أجنبيّ زميلٌ مصريّ يترجم للطلبة ما يقوله الأجنبي، حتى إنه طلب من الأساتذة الأجانب أن يُعلِّموا باللغة العربية[2]، فتعلَّموها، بل وألفوا كتباً علمية فيها.[3] ولكن الإنكليز أرادوا أن يمكِّنوا لاحتلالهم العسكري لمصر باحتلال ثقافي، فأمر الحاكم الإنكليزي بتحويل التعليم إلى الإنكليزية عام 1887هـ[4]، وساعده في ذلك بعض المستغربين وقِصار النظر من المصريِّين الأعوان.

عاصَرت التجربةَ المصرية الرائدة تجربةُ التعريب في الكلية الإنجيلية السورية (الجامعة الأمريكية لاحقاً)، إذ دُرِّس الطب فيها بالعربية ثمانية عشر عاماً من 1866-1884 م، وكذا الجامعة اليسوعية (جامعة القديس يوسف) في لبنان، قبل أن تتحولا إلى التدريس بالإنكليزية والفرنسية.

وأقدِّر أن قرار تغريب التعليم في عهد الإنكليز كان أخطر من الاحتلال العسكري وأبعد أثراً

---

[1] د. عدنان الخطيب، **النهضة العربية في العصر الحديث**، مجلة مجمع دمشق 620:4/24.

[2] د. قاسم سارة، **تعريب المصطلح العلمي**، مجلة عالم الفكر (الكويت) ج19/ 4 ص 97/96.

[3] رحم الله أيَّام محمد علي باشا، ونحن اليوم نعجز عن إلزام المربيات والخادمات الأجنبيات تَعَلُّم الحد الأدنى من لغتنا حفاظاً على لغة أطفالنا.

[4] د. عبد الحليم منتصر، **خصائص اللغة العربية في التعليم العالي**، مجلة مجمع القاهرة ع43:33.

وأشدَّ ضرراً على مصر وأُمَّتها، بدليل أن الاحتلال العسكري هُزم، أمَّا الثقافي فما زالت تعاني منه الأمة العربية كلها، فلو استمر التعليم في مصر معرَّباً، لما كان بلدٌ واحد في الوطن العربي يفكر في تغريبه، بالنظر إلى الدور الرياديّ والمركزي الذي تمثله مصر في ضمير الأمة العربية.

ب. التعريب في سورية:

سورية والتعريب توأمان قديماً وحديثاً. في الشام عُرِّبت الدواوين في العصر الأموي، وفيها عُرِّب التعليم منذ زوال الحكم التركي. فبعد انتكاس تجربة التعريب في كل من مصر ولبنان – على اختلاف الدافع لكل منهما– انبعثت سياسة تعريب التعليم في بلدنا سورية، ومنذ قيام نواة الجامعة السورية ممثَّلة بمعهدي الطب والحقوق 1919م، الذين تطوَّرا إلى كليَّتين وإلى يومنا هذا، لا يُدَرَّس فيها إلا بالعربية[1]. فانكَبَّ أساتذتها – ومعظمهم من المجمعيِّين – على إيجاد المصطلحات العلمية العربية، وتطوير الكتابة العلمية بالعربية، مع أنهم كانوا قد تعلَّموا بالتركية أو بالفرنسية، يدفعهم إلى ذلك ثقةٌ عالية بأمتهم ولغتها، وإرادةٌ لا تلين بأن تكون العربية لغة علمٍ وتقانة ومعاصَرة. ومن الخطأ أن يسمى التعريب في سورية (بالتجربة السورية)، لأنها تخطَّت بعد قرن من الاستمرار والنجاح مرحلة التجريب لتصبح حقيقة ثابتة، ولذا أسميناها (سياسة التعريب)، ولأن التعريب صار عَلَماً على التعليم في سورية، وصارت جامعاتنا حُجَّةً لكل أنصار التعريب ودعامة له في الوطن العربي، وشوكةً في أبصار دعاة التغريب والتبعيَّة اللغوية.

ثانياً: التعريب والترجمة

التعريبُ – بمعنى نقل العلوم إلى العربية وتدريسها بها– مرتبطٌ عضوياً كما يقال بالترجمة، حتى إن كثيراً من المترجمين يُسَمِّي ترجمةَ رواية من لغة أجنبية إلى العربية تعريباً، على أن التدقيق يتطلب أن تُخَصَّص (الترجمة) لمعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى عامَّة، وأن يُخصَّص (التعريب) – عند إطلاقه – لعملية نقل العلوم إلى العربية والتدريس بها.

---

[1] أ. مصطفى الشهابي، **المجمع العلمي العربي**، مجلة مجمع دمشق 6:1/40.

يقوم التعريب على الترجمة أصلاً، فلا تعريب من دون ترجمة إذْ هي عمادُه ومرتكزه.

والترجمة – بدورها – تقوم على ركنين أساسيَّين هما: المصطلح العربي المقابل والمكافئ للمصطلح الأجنبي، ثم الكتابة العلمية بالعربية. وأيّاً كان حظ المصطلح من السلامة والدَّقة فإنه لا يُفْهَم ويُفْهِم إلا باستعماله في نصوص علمية مكتوبة، تضعه في السياق المناسب من المادة العلمية أو النصّ؛ ولذا انصبَّت جهود العلماءِ ومترجمي العلوم منذ القديم وحتى الآن على وضع المصطلح العلمي العربي المكافئ للأجنبي أوَّلاً. ثم على صوغ النصّ العلمي وكتابته بلغة سليمة.

الترجمة والمصطلح العربي:

حدُّ المصطلح عند القدماء هو: "اتِّفاقُ طائفة مخصوصة على أمر مخصوص" كما في تاج العروس/صلح، أو هو اتفاقُ قومٍ على تسمية الشيء باسم ما... أو اتفاق طائفةٍ على وضع اللفظ بإزاء المعنى... أو إخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما".[1] أمّا عند المحدثين فهو "كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متَخَصِّصة أو تقنيَّة يوجد مورثاً أو مقترَضاً للتعبير عن المفاهيم، وليدلَّ على أشياء مادية محدَّدة"[2] ولعل أوضح تعريف له هو أنه رَمْز لفظي لمفهوم. أو "لفظٌ منقول من معناه اللغوي إلى معنى آخر مُتَفقٍ عليه بين طائفة مخصوصة"[3].

طرائق وضع المصطلح:

أجمع المترجمون والمصطلحيون القدماء والمحدثون على أن طرائق وضع المصطلح العربي ثلاث، هي بحسب الأولوية: الترجمة بالمعنى ثم التوليد اللغوي ثم التعريب اللفظي.[4]

أ. **الترجمة بالمعنى:** وتعني إعطاء الكلمة الأجنبية – وهي في الغالب مصطلح علمي – مقابلَها

---

[1] الجرجاني، **التعريفات:** 28.

[2] د. محمود فهمي حجازي، **علم المصطلح**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ع 50:49.

[3] د. ممدوح خسارة، **علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية:** 14.

[4] المصدر السابق: 19 وينظر د. أحمد عيسى، **التهذيب في أصول التعريب:** 113 وأ. مصطفى الشهابي، **المصطلحات العلمية في اللغة العربية:** 93.

العربي المكافئ لها دلالياً والموضوع من قبل مدوَّناً في المعاجم العربية القديمة أو الحديثة[1] وبهذا تصبح الكلمة اللغوية، المعجمية مصطلحاً، أي تنتقل من اللغة العامَة إلى اللغة التخصُّصيَّة. كأنْ يضع ابن سينا المصطلح الطبي (الشَّعيرة) ترجمةً للمصطلح الإغريقي (krithe) الذي يعني الشعير بالإغريقية، أو أن يضع مصطلح (البَرَدَة) ترجمة للمصطلح الإغريقي (chalazion) الذي يعني حَبَّة البَرَد فيها.[2]

تُعَدُّ المعاجم العربية اللغوية والمتخصصَّة، وكتب اللغة وكتب التراث العلمي العربي، واللهجة العامية من مصادر ترجمة المصطلح العربي.

وقد كانت جُلُّ مصطلحات كتاب (الحدود) للكندي، ومصطلحات كتاب (الصَّيْدنة) للبيروني مستَمدَّة من المعاجم اللغوية، ثم صارت بدورها مصدراً لمصطلحات مَنْ خَلفَهم.

وتُعَدُّ كتب اللغة القديمة مصدراً ثرّاً لترجمة المصطلحات إلى العربية. وعلى سبيل المثال ضَمَّ كتاب (فقه اللغة) للثعالبي (ت 426 هـ)، 143 اسماً للأمراض، مثل الهَيْضة واللَّقوة والسَّبات والسَّرطان.[3]

وأورد التبريزي عشرين اسماً لأوقات النهار وساعاته، منها الضحى والرَّأْد، والبُكْرة، والهاجرة، والزُّلْفة، والسُّدْفة.[4]

وربما كان كتاب المخصَّص لابن سيدة (456) هـ، الذي جاء في نحو سبع عشرة مجلَّدة وضمَّ الكلمات المصطلحية في مختلف المعارف مما وَرَد في كلام العرب – من أهمِّ المعاجم القديمة المتخصِّصة أو معاجم الموضوعات.

---

[1] د. ممدوح خسارة، **علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية:** 24 وينظر أ. مصطفى الشهابي، **المصطلحات العلمية باللغة العربية:** 18.

[2] د. نشأت الحمارنة وأ. اكتمال رجب، **المعجم التاريخي للمصطلحات الطبية**، مجلة مجمع دمشق 797:3/89.

[3] الثعالبي، **فقه اللغة:** 127.

[4] التبريزي، **كنز الحفَّاظ في تهذيب الألفاظ:** 422-427.

وفي العصر الحديث كان وضع المصطلح بترجمة معناه الذي استمده المترجمون والمصطلحيون من المعاجم القديمة وكتب التراث العلمي وسيلتهم الأولى في الاصطلاح. ذكر المجمعي المصطلحي مصطفى الشهابي بأنه عمد في مصطلحاته الزراعية "إلى الأمَّهات من كتب اللغة ولاسيما (المخَصَّص) لابن سيدة، والفلاحة الأندلسية، لابن العوام الإشبيلي، (والقانون) لابن سينا، ورسائل الأصمعي في الخيل"[1]، وكذا د. محمد شرف، إذ يقول: "وأخذْتُ بغيتي مما عُرِّب وألَّف في علوم الطب والطبيعيات قديماً وحديثاً"[2]. وقال الدكتور الكيميائي صلاح الدين الكواكبي "كان القاموس المحيط للفيروزبادي هو الوحيد على منضدتي لأطّلع من أعماق هذا المحيط بالدر الغوالي التي أفيد منها للمصطلحات العلمية"[3].

على أنه لا يجوز الأخذُ من المعاجم اللغوية، والمتخصِّصة وكتب التراث العلمي دون تدقيق ومراجعة، لما اعترى بعضَها من تصحيفٍ أو تحريف أو أوهام.

وتُعَدُّ اللهجة العامية من مصادر ترجمة المصطلحات بالمعنى. فمنها أخذ د. صلاح الدين الكواكبي كلمة (البيلون) لمقابلة مصطلح (kaoline)[4] تلك المادة القلوية التي تستعمل في التنظيف. ومنها أخذت كلمات مثل (الشادوف) لأداة سقي الأرض، و(الزِّبارة) لتقليم أغصان الكرمة[5]، وغيرها كثير.

أ. **التوليد اللغوي:** ويعني "ابتكار كلمة جديدة غير موجودة لا في اللغة القديمة ولا الحديثة"[6]. بمعناها أو مدلولها، لكنَّ جذورها من العربية حتماً، وللتوليد طريقتان هما:

- الاشتقاق بأنواعه الصرفي واللغوي، كأخذهم واشتقاقهم الاستمطار من (مطر)، و(المِدْفع)

---

[1] د. أحمد شفيق الخطيب، **معجم المصطلحات الزراعية للشهابي**، المقدمة: 905.

[2] د. محمد شرف، **معجم العلوم الطبيّة والطبيعية**، مقدمة الطبعة الثالثة: 8.

[3] د. صلاح الدين الكواكبي، **مصطلحات علمية**: 71.

[4] د. صلاح الدين الكواكبي، **مصطلحات علمية**: 34.

[5] مصطفى الشهابي، **العامي والمولَّد في علوم الزراعة**، مجلة مجمع دمشق ج 3/2:390-392.

[6] د. محمد المنجي الصيادي، **التعريب وتنسيقه في الوطن العربي**: 61-62.

من دَفع، و(العَوْلَمة) من عَلِم، و(التقانة) من تقن.

- المجاز: وهو الكلمة المستعملة في غير ما وُضعت له في اصطلاح تخاطب على وَجْهٍ يصحُّ مع قرينه عدم إرادته"[1] وبطريق المجاز وضع مصطلح (قِطار) لواسطة النقل المعروفة، وأصلها اللغوي قافلة الجمال، و(الوشيعة) لمقابلة المصطلح الأجنبي (bobine) وأصلها لفافة خيوط، و(الذرة) لمقابلة المصطلح الأجنبي (atom)، وكذا مصطلحات علمية مثل (الألياف الضوئية)، و (الشابكة) ..

ب. التعريب اللفظي أو الصوتّي: وهو أن يُنْقَل المصطلح الأجنبي بلفظه من لغته الأصلية إلى العربية، بعد تهذيب وتعديل في بنيته ليتواءم هو والنظام الصوتي العربي، كتعريب القدماء كلمات (فردوس، سِجِّيل، موسيقا، جوهر). وتعريب المحدثين كلمات مثل (وَرْشة، فكس، تلفزيون، فِدْيو، كَمِرة).

والذين أوجدوا هذه الطرائق الثلاث لوضع المصطلح العربي إنما هم المترجمون والعلماء المختصُّون بالمقام الأول، وليس اللغويين الذين أقرُّوا للعلماء المترجمين بحقهم في وضع المصطلح على الصورة التي يتفقون عليها، عندما عَّرفوا الاصطلاح "بأنه اتفاق جماعة مخصوصة على أمر مخصوص" كما ذكرنا.

يُلْحَق بالمعرب اللفظي أو الصوتي (الدَّخيل)، ويعني نقل الكلمة الأجنبية بأصواتها ونطقها كما في لغتها الأصلية دون أي تهذيب أو تعديل يُلْحِقها بالنظام الصوتي العربي، وذلك عند تعذُّر الترجمة أو التوليد أو التعريب الصوتي كما في مصطلحات مثل (لوكوموتوغرافيا) لنوع من أنواع التنضيد الضوئي، أو (إبستيمولوجيا) لعلم المعرفة... ولا يدخل هذا الدخيل في نسيج اللغة العربية، ولكن يستعمل ريثما يُوضَع له مقابل عربي بالترجمة أو التوليد أو بإجراء تعديلات عليه تدخله في النظام الصوتي العربي[2].

---

[1] الخطيب القزويني، **التلخيص في علوم البلاغة:** 393-394.

[2] لمزيد من التفصيل: د. ممدوح خسارة، **منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث:** 103-111.

ولمعرفة أي الطرق أكثر استعمالاً في وضع المصطلح، عمدنا إلى مجموعات من المصطلحات وضعتها جهات رسمية عاملة في ميدان مصطلحات العلوم الأساسية والتطبيقية فتَبيَّن لنا أن نحو (45%) وُضِعّت بطريقة ترجمة المعنى، وأن (41%) منها وضعت بطريقة التوليد اللغوي اشتقاقاً ومجازاً، ونحو (14%) منها وضعت بطريقة الاقتراض تعريباً وتدخيلاً"[1].

1. الترجمة والمعاجم المصطلحية وبنوك المصطلحات

المعاجم المصطلحية قديمة في العربية، ولعل أول إشارة إلى ذلك ما ذكره (البيروني) بقوله: "فعندي (لكسيقون)" لِزَيح بطليموس مكتوبٌ ما فيه بالخط السُّرياني، ثم بعينه بالعربي، ثم تفسيره، وإليه أرجع في مطالبي"[2].

ويندرج تحت هذا العنوان عدَّة مُصَنَّفات منها: كتاب (الحدود) لجابر بن حيان 200هـ، وهو في مصطلحات الفلسفة، وكتاب (التنوير) للحسن بن نوح القمري 380هـ، وهو في مصطلحات طب العيون[3]، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار 626هـ في مصطلحات الصيدلة إلى حد بعيد... وما ذكرناه هو معاجم مصطلحية مُخَصَّصة بعلم من العلوم، وإلى جانبها معاجم مصطلحية عامة مثل (مفاتيح العلوم) للخوارزمي 387هـ. وكشَّاف اصطلاحات الفنون للتهانوي 1157هـ.

أما في العصر الحديث فقد صارت المصطلحات إلى كثرةٍ جعلت الإفادة منها عسيرة، ما لم تصنَّف في معاجم بحسب العلم الذي تعود إليه، فنشطت – للوفاء بذلك – حركةٌ معجميَّة مصطلحية واسعة في الوطن العربي، تزايدت بسرعة، فقد أُلِّف من مطلع عصر النهضة وحتى عام 1960م عشرون معجماً، وأُلِّف من 1961 إلى 1980م ثلاثون معجماً،[4] وبلغت في أواخر

---

[1] لمزيد من التفصيل: د. ممدوح خسارة، **علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية:** 102, 229, 245.

[2] د. محمد سويسي، **العربية ولغة العلم في القرن الرابع الهجري**، مجلة مجمع دمشق ج 1/16 ص 668.

[3] د. نشأة حمارنة، **المعجمات الطبية**، مجلة مجمع دمشق ج: 115:1/60.

[4] أ. شحادة الخوري، **دراسات في الترجمة والتعريب والمصطلح** 195:1.

القرن العشرين ما يقارب ألف معجم في مختلف العلوم، وأصبح التَّهَدِّي إليها يحتاج إلى معجم لتلك المعاجم،[1] وهي:

آثار	2	تربية وتعليم	19
آداب	15	تقنيات	15
إحصاء	5	جغرافية	22
أحياء	10	هندسة	55
إدارة	20	نبات	35
إعلام	27	جيولوجية	11
اقتصاد	37	حاسب آلي	17
بترول	11	حديث	7
بيئة	7	حرف ومهن	10
تاريخ	12	حيوان	24
تجارة	30	خدمة اجتماعية	6
تربية وطنية	10	دراسة إسلامية	10
رياضيات	15	فلسفة	15
زراعة	26	فلك	14
سياسة	29	فنون جميلة	18
صناعات	13	فولكلور	5
صيدلة	14	فيزياء	22
طب	64	قانون	45
علم اجتماع	28	علم اللغة	26
كيمياء	27	علم النفس	27
علوم عامة	27	مالية ومحاسبة	13
علوم عسكرية	18	مكتبات	9
علوم منزلية	10	مواصلات	24

ونظن بأن العدد الحقيقي للمعاجم المتخصِّصة أقل من هذا، لأن الباحثَيْن صنَّفا المعاجم

[1] د. محمود اسماعيل صيني ومسفر الثبيتي، المراجع المعجمية العربية: 169-240 و د. علي القاسمي وجواد حسني عبد الرحيم، ببليوغرافيا المعاجم المعاجم المتخصِّصة، مجلة اللسان العربي ع: 1/20 ص 135-174 و 1/12 ص 157-200.

بحسب الموضوعات، وقد يحمل عنوان المعجم أكثر من موضوع، فيُصَنَّف في أكثر من موضع.

ولكنها معاجم متباعدة من حيث الحجم، فمنها ما لا يزيد على أربع مئة مصطلح، ومنها ما يحتوي نحو 150,000 مصطلح كالمعجم الطبي الموحَّد في طبعته الأخيرة. وهي متفاوتة من حيث اللغات، فمنها أحادي اللغة أو ثنائيّها أو ثلاثيّها، أو رباعيّها كالمعجم العسكري الموحد. وهي متباينة من حيث الدِّقَّة والضبط، ذلك أَنَّه زاحم العمل المعجميّ المؤسَّسي وعملَ العلماءِ النابهين ودور النشر الرصينة، أفرادٌ تجاريُّون جهلة بأصول المصطلحيَّة المعجمية، لم تكن العلمية والحرفية من أولوياتهم، مما أساء إلى المعجمية المتخصِّصة.

إلى جانب المعاجم العلمية المُتَخَصِّصة بعلم من العلوم، صُنِّفت معاجم علمية عامة تحتوي على مصطلحات في جميع العلوم، وأشهرها (معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا/مكروهيل) الذي ترجمه معهد الإنماء العربي، ويضم أكثر من مئة وعشرين الف مصطلح، و(معجم المصطلحات العلمية والفنية) الذي يحتوي أكثر من مئة ألف مصطلح[1].

بنوك المصطلحات

دعَتْ كثرة المصطلحات وصعوبة الوصول إليها في نسخها الورقية أو الرقمية أحياناً، إلى إنشاء مصارف (بنوك) للمصطلحات، وهي مؤسَّسات معلوماتية، عملُها جَمْعُ المصطلحات العلمية من مراجعها المعجمية والموسوعية وتخزينها في حاسوب مركزي كبير، ورَبْطُه بطرفيات متعدِّدة بمراكز البحث العلميّ والجامعيّ. ومصرف المصطلحات "مُتَخصِّص في تجميع رصيد من المصطلحات العلمية والتقنية، وإعطاء معانيها بلغة أو أكثر، ولا يحتوي على كلمات عامَّة، بل على مصطلحات مُخَصَّصة فقط"[2].

أنشئ حتى الآن ثلاثة مصارف للمصطلحات العربية، وهي:

---

[1] د. محمد المنجي الصيادي، **التعريب وتنسيقه في الوطن العربي**: 335.

[2] د.علي القاسمي، **نحو إنشاء بنك المصطلحات المركزي**، مجلة اللسان العربي ع: 16 1191.

أ. بنك مصطلحات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب في المغرب[1]. وقد خَزَّن نحو (400) ألف مصطلح في مركز الحاسوب العالميّ في روما.

ب. بنك المصطلحات العلمية في مجمع اللغة العربية الأردني.

ج. البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)، الذي يقوم عليه المركز الوطني السعودي للعلوم والتكنولوجيا بالرياض، ووصل عدد مصطلحاته أخيراً إلى نحو (700) ألف مصطلح2.

وغنيٌّ عن التذكير بأن هذه الإنجازات المصطلحية والمعجمية إنما تقوم على الترجمة واقعاً، وعلى تعريب العلوم دافعاً، ولا يمكن تصوُّر حال لغتنا اليوم بلا ترجمة.

إشكاليات المصطلح العربي وتدريس (علم المصطلح)

لا يصح عند الكلام على الإنجازات المصطلحية للتراجمة والمختصَّين العلميِّين تجاهلُ الإشكاليات التي يعاني منها المصطلح العلمي العربي، من تعدُّديةٍ، ونَقْصٍ في الدِّقة والدلالة، وضَعْف في الالتزام. ومعروف أنَّ لهذه الإشكاليات أسباباً[3]، ولعل أهمها غياب تدريس مقرَّر (علم المصطلح) في كليات العلوم والآداب واللغات الأجنبية، لأن كل خِرِّيجيها معنيُّون بدرجة أو أخرى بوضع المصطلح العربي ترجمةً أو توليداً أو تعريباً لفظياً.

دعا إلى تدريس علم المصطلح في الجامعات العربية غير واحد ممن بحثوا في قضايا الترجمة والاصطلاح. "ويبدو لنا أن أوّل من دعا إلى تدريس (علم المصطلح) في الجامعات العربية التي تدرس العلوم بغير العربية أو الجامعات الأجنبية الموجودة في البلاد العربية، هو الأستاذ الطبيب عبد الرحمن الشهبندر، وذلك منذ أكثر من ستين عاماً في مجلة (المقتطف)

---

[1] معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، نشرة لمجة عامة عن معهد الدراسات ص: 1002.

[2] د. عبد الله سليمان القفاري، **البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)**، مجلة اللسان العربي، ع: 1/39.

[3] لمزيد من التفصيل: د.ممدوح خسارة، **التعريب والتنمية اللغوية**: 205-37.

..."."[1] ودعا إلى ذلك أيضاً الأستاذ المستشرق (كيفورك ميناجيان) إذْ قال: "وأعتقد أن إحدى الطرق الفعَّالة في توحيد المصطلح هو تدريس (علم المصطلح) في الجامعات والمعاهد العليا"[2]، بل زاد فاقترح محتوى علميًّاً لهذا المقرَّر[3]. ودعا إلى ذلك الدكتور عبد اللطيف عبيد الأستاذ في معهد اللغات الحيَّة بتونس، في ندوة (التعاون العربي في مجال المصطلحات)، التي انعقدت في تونس عام 1986م[4].

وألح على ذلك الدكتور محمد علي الزركان في بحث له بعنوان (علم المصطلحات وضرورة تدريسه في الجامعات العربية)[5].

أجل، افتُتح معهد للدراسات المصطلحية في كلية الآداب بفاس[6]، ولكن الدراسة فيه ليست متاحة ولا ميسورة لكل المهتمين بقضايا المصطلح والترجمة.

وإلى أبعد من هذا ذهب باحثون كبار إلى إنشاء (أكاديمية التعريب) كواحدةٍ من الجامعات العربية. آملاً أن "يتحقَّق بواسطتها تهيئة الأُطُر المؤهَّلة القادرة على تيسير متطلبات تعريب التعليم في الجامعات"[7].

2. الترجمة والكتابة العلمية باللغة العربية

الكتابة العلمية كما قدَّمنا – هي المرتكز الثاني للترجمة، فلا يكفي أن يضع المترجم المصطلح العربي، بل وعليه أن يُضَمِّنه في عبارات واضحة مُفهِمة، وأن يصوغها في نص

---

[1] د. محمد علي الزركان، **علم المصطلحات وضرورة تدريسه في الجامعات العربية**، الندوة السنوية للتعريب التعليم العالي، المركز العربي للتعريب والترجمة والنشر بدمشق (1995) م ص: 186.

[2] المصدر السابق، ص: 187.

[3] المصدر السابق، ص: 187.

[4] المصدر السابق، ص: 186.

[5] المصدر السابق، ص: 183.

[6] معهد الدراسات المصطلحية بفاس، دليل معهد الدراسات المصطلحية ط2، فاس 2001م.

[7] د. كمال القيسي، **عملية التعريب ومستلزماتها**، مجلة اللسان العربي ع: 1/16 ص: 124.

علمي سليم لغوياً.

وقد كنت وما أزال أقول: إن من طوَّر لغتنا العربية ونمَّاها هم المترجمون والإعلاميون بالمقام الأول، إننا مدينون لأحمد فارس الشدياق بكلمات: المؤتمر، الحافلة، المنطاد. ولإبراهيم يعقوب بكلمات: المجلَّة، البيئة، الدرّاَجة، اللَّوْلب. وليعقوب صروف بكلمات: التلفزة، النشوء والارتقاء، المِصَحّ، الصُّلب (الفولاذ).[1]

أما اللغويون فكان دورهم حماية اللغة والحفاظ على أصولها وثوابتها وأقيستها. وما اتخذَتّه المجامع من قرارات لغوية وتجويزات في الألفاظ والأساليب، إنما كان لتسويغ تلك الألفاظ والأساليب التي استعملها الإعلاميون والمترجمون، بما تجيزه قواعد اللغة، وكان وُكْدُها أن تربط ماضي اللغة العربية بحاضرها، وكان عمل الفريقَيْن، أعني المترجمين واللغويين متكاملاً. أما أولئك الذين كانوا يُزرون دوماً بأساليب المترجمين وعباراتهم، ويتهمونها بتشويه اللغة وبالضعف والركالة، فلم يقدموا لتطوير العربية شيئاً يذكر، لا ينكر أن لغة بعض المترجمين وعباراتهم ليست هي الأعلى والأوضح، ولكنها لغة سليمة على الغالب.

استلزم تعريبُ العلوم والتعليم في جامعاتنا العربية السورية وبعض كليات جامعات عربية تأليفَ الكتب المنهجية والمرجعية للطلاب، ولذا نشطت حركة التأليف العلمي والكتابة العلمية نشاطاً ملحوظاً.

وعندما نتحدث عن الكتابة العلمية باللغة العربية، فإننا نعني الكتب المؤلفة والمترجمة، فكلاهما كتابة علمية.

للتراجمة – قدماء ومحدثين – الدور الريادِيّ في التأسيس للكتابة العلمية بالعربية؛ ذلك أن ترجمة العلوم سابقة على التأليف فيها، صحيح أن العلماء المؤلفين هم الذين طوَّروا الكتابة العربية العلمية، ولكن المترجمين هم الذين مَهَدوا لهم الطريق ليلحبوه. وهاكُم مثالاً ممّا كتبه المترجم الكبير حنين بن اسحاق في كتابه (العشر مقالات في العين): "اعلم أن الدماغ عين كل

[1] أ. شحادة الخوري، **دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب**، ج 69:2.

حِسّ وكل حركة، ومنه تجري قوةُ الحسِّ وقوةُ الحركة في العصَب إلى جميع الأعضاء الحسَّاسة والمتحركة، فالعين عضوٌ حساس متحرك، لذا يجيئها من الدماغ عَصَبتان: أما الواحدة فصُلْبة بها تكون حركتها، وأما العصَبة الثانية فليِّنة مجوَّفة.. وعلى الدماغ حجابان أحدهما لَيِّن رقيق والآخر غليظ صُلب، وكل عصبة تخرج من الدماغ فإنها مُغَشَّاة بكلا الغشاءين"[1] وهاكُم نموذجاً من الكتابة العلمية القديمة لابن سينا، قال في كتاب القانون: "قد عَلِمتَ الفرق بين حصاة المثانة وحصاة الكُلْية في الكيفية والمقدار، وبالفرق بين الحصاتين كانت الكلوية أَلْيَن يسيراً وأصغر وأقرب إلى الحُمْرة، والمثانة أصلب وأكبر جداً، وأقرب إلى الدّكنة والرماديَّة والبياض، وإن كان قد يتولَّد منها حصاةٌ مُتَفتِّتة... وأكثر من تصيبه حصاة المثانة ينحف، وفي الكُلية بالعكس"[2]. ولعل القارئ لا يكاد يجد فروقاً بَيِّنة بين كتابة القدماء العلمية وكتابة المحدثين، بل يعجب بأسلوب القدماء وبيانهم.

نشطت حركة الترجمة العلمية والتأليف العلمي في سورية للوفاء بحاجات التعريب من الكتب المنهجية والمرجعية، وبالنظر فيما تُرْجم إلى العربية وأُلِّف بها وجدنا ما يلي:

- أصدرت وزارة التعليم العالي في سورية (6993) كتاباً في مختلف العلوم، المترجم منها نحو (93) كتاباً وبعضها عدة أجزاء. وعلى سبيل المثال صدر في الطب نحو (1221) كتاباً وفي الهندسة الميكانيكية (957) كتاباً وفي الهندسة الزراعية (817) كتاباً وفي الهندسة الكهربائية (214) كتاباً...[3] وهي تدرَّس أيضاً في بعض الكليات المعرَّبة في الجامعات العربية.
- أصدر ديوان المطبوعات الجامعية الجزائري نحو (170) مئة وسبعين كتاباً، المترجم منها نحو

---

[1] د. وائل الخوري، **العشر مقالات في العين المنسوب إلى حنين بن اسحاق**، جامعة دمشق كلية الطب: 1975-1974.

[2] شحادة الخوري، **دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب**، 2-150.

[3] وزارة التعليم العالي في سورية، قائمة إصدارات مديرية الترجمة والنشر في الوزارة.

خمسين كتاباً، هي عشرون في الرياضيات وخمس عشرة في الكيمياء، وعشرة في الفيزياء.[1]

- وأصدر المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق حتى الآن نحو مئة وخمسين كتاباً، المترجم منها نحو (110) مئة وعشرة كتب، والمؤلف نحو أربعين كتاباً.[2] ويُحْمَد له إصدار مجلة (التعريب) بلغة عربية علمية سَليمة.
- وأصدر المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية بالكويت نحو خمسين كتاباً بين مترجم ومؤلَّف[3]. وهو يصدر مجلة (تعريب الطب) بلغة علمية مُيَسَّرة.
- وأصدرت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ثماني سلاسل من الكتب والموسوعات العلمية، وبلغت إصداراتها في أواخر القرن العشرين واحداً وتسعين كتاباً في مختلف العلوم. وتصدر المؤسّسة مجلة (العلوم) ويتوزع محتواها بين بحوث مترجمة عن مجلة (سيانتفيك أمريكان)، ومؤلَّفة بالعربية، وهي حُجَّةٌ في تطور الكتابة العلمية بالعربية[4].

ولا يُنكر – في تطوير وتنمية الكتابة العلمية – دَوْرُ مجلات بداية عصر النهضة كالمقتطف، وفيما بعد دور مجلة (العربي) ودور مجلات اتحاد الجامعات العربية كمجلة اتحاد الجامعات العربية في الطب، ومجلة اتحاد الجامعات العربية في الهندسة... كما لا ينكر إسهام دور النشر العربية والأجنبية الجادة والرصينة في هذا الميدان.

على أن الموضوعية تقتضينا أن نشير إلى سلبيات في الكتابة العلمية عامَّة والكتاب العلميّ الجامعيّ خاصة، المؤلف منه والمترجم، مما قد يدفع الطالب إلى التذمُّر، وقد يدفع بعضهم للعودة إلى الأصل الأجنبي المترجَم عنه، أو إلى طرح الكتاب المؤلف. ومن أظهر هذه السلبيات: الغموضُ والإبهام في العبارة، والركالة في الأسلوب، والأغلاط اللغوية. ففي إطار ندوة

---

[1] د. أبو بكر خالد سعد الله، **إسهام ديوان المطبوعات الجامعية الجزائري في نشر الكتب العلمية في الجزائر**، مجلة التعريب ع 8:173-186.

[2] المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، مجلة التعريب ع 49:305-322.

[3] المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية بالكويت، التقرير الشامل للمركز (1994)م

[4] لمزيد من التفصيل: د. ممدوح خسارة، **التعريب ومؤسساته ووسائله**: 95.

حول (الكتاب العلمي الجامعي)، قال أحد الباحثين: "وهنا أجد نفسي مضطراً إلى الإشارة إلى حقيقة مؤسفة، وهي كون نسبة كبيرة من الكتب الجامعية المؤلفة، قد تُرْجمت من لغات البلاد التي درسنا فيها، وربما دون تدقيق كاف في الجوانب اللغوية والعلمية والمنهجية والمطبعية"[1] ويقول باحث آخر: "لا يزال الكتاب الجامعي دون المستوى المرجو من النواحي العلمية واللغوية وجودة الإخراج والطبع"[2] ودعت الندوة إلى تطوير الكتاب الجامعي مضموناً وأسلوباً ولغة. وما يجب التنبُّه إليه، هو أن بعض الكتب العلمية الجامعية ذات مستوى جيد من الدقَّة والسلامة، وأن مسؤولية الضعف اللغوي لا يتحملها المؤلِّف أو المترجم فحسب، بل تتحملها معه مناهج الإعداد اللغوي للطالب، وطرائق التعليم في كل مراحله التي تعتمد طريقة تلقينِ الطالب المعلومات وحشوها في ذاكرته، لا إكسابه المهارات اللغوية في القراءة والتعبير الكتابي والشفاهي، ولا ينجو من هذا الضَّعف المدقِّقون اللغويون، الذين هم من مخرجات النظام التعليمي نفسه.

ثالثاً: متلازمة التعريب والترجمة والتنمية اللغوية

قدَّمنا في مدخل البحث أن (المتلازمة) تعني التَرابُط والعلاقة التي لا انفكاك لها بين مجموعة من العناصر، حتى ليبدو أن كلًّاً منها علّةٌ ونتيجة في آنٍ معاً، وكانت تلك هي حال الترجمة والتعريب في ثقافتنا العربية القديمة، أما في هذا العصر فقد انْجَدَل مع ذَيْنكَ العنصرين أعني الترجمة والتعريب، عنصرٌ ثالث هو التنمية اللغوية، وصارت هذه العناصر الثلاثة كأوجه الموشور، لا غِنى لواحد منهما عن صِنْوَيْه. وإذا كانت التنمية عامَّة تعني الزيادة في الإنتاج المادّي أو الثقافي، فإن ما نعنيه بالتنمية اللغوية خاصة هو زيادة الثروة اللفظية للغة، وتطوير أساليب التعبير البياني والعلمي فيها، وهي مما لا تستغني عنه أنواع التنميات الأخرى التي يقوم عليها التقدم كالتنمية الاقتصادية والإدارية والثقافية.. لأن اللغة هي الحامل اللساني لها جميعاً.

1. زيادة الثروة اللفظية: ويكون ذلك برَفْد اللغة بمفردات جديدة، لتقابل ذلك الفيض من

---

[1] د. مهندس عبد الله سعيد، **واقع الكتاب الجامعي**، مجلة التعريب ع 150:10.

[2] د. بسام بياعة، **آفاق تطوير الكتاب الجامعي**، مجلة التعريب ع 159:10.

المصطلحات المتسارعة، وقد تكلَّمنا عليها، ثم لتقابل ألفاظ الحضارة المتجدِّدة مع كل يوم. والمترجمون والإعلاميون هم الذين يواجهون أوَّلاً ذلك السيل العرم من الكلمات الجديدة، هم الذين ولَّدوا بالاشتقاق كلماتٍ لم تكن بالعربية من مثل (العَوْلَمة والحكَامة، والخَصْخَصة والفضائية، والشعبوية...). وولَّدوا بالمجاز مفردات لم تعرفها اللغة بدلالاتها المعاصرة، من مثل: (البثّ، الجريدة، الموْجَة، الشَّاشة، الزاوية، التعليق، الشريط...). وعَرَّبوا وفق منهج العرب كلمات مثل (فَكْس، فِدْيو، أثير...). ولو نظرنا في معاجمنا القديمة، لرأينا أن معظم ما نتواصل به اليوم هو ألفاظ وكلمات وضعها المحدثون وفي المقدمة منهم المترجمون.

إن عظمة لغتنا العربية وعبقريتها تكمن في خصائصها الذاتية التي تيسِّر التطوير والتجديد لمن عزم عليهما. وإذا كان ثَمَّة جمودٌ وتعسُّر في مواجهة الكلم الجديد، فليس مردُّ ذلك إلى اللغة العربية، بل إلى من لا يُحْسن الإفادة من خصائصها وتوظيفها لمواكبة العصر.

2. **تطوير أساليب التعبير**: ويكون ذلك بإغناء اللغة بجمل وعبارات لا تأباها مجازات العربية وصورها الفَنِّيَّة من مثل: (اصطاد في الماء العكر، ذرَّ الرماد في العيون، وضع العصيّ في العجلات، أعاد اختراع العجلة، أنضج على نار هادئة ...).

كما يكون بإغنائها بالعبارات الاصطلاحية، وهي تراكيب إضافية أو وصفيَّة أو إسنادية، حُمِّلت دلالات مجازيَّة رفَدت لغتنا بثروة من العبارات، وزودتها بمعجم دلالي جديد، لا غنى عنه لفهم شؤون الحياة المعاصرة، من مثل: (أنصاف الحلول، حيتان السوق، الضوء في آخر النفق، مدن الصفيح، حرق المراحل، غسيل الأدمغة، تبييض الأموال، المطبخ السياسي، تدوير الزوايا..) وهي عبارات أربَتْ على الآلاف، نهض فريق من مجمع اللغة العربية بدمشق لتصنيفها في معجم سوف يرى النور قريباً.

صحيح أن جهات غير الإعلام أسهمت في ترجمة تلك الكلمات والعبارات، ولكن كان لمترجمي الإعلام والصحافة السياسية والثقافية السهم الأوفى، لأنهم – كما قدمنا – هم جنود المواجهة. وصحيح أيضاً ان اجتهاداتهم لم تسلم من نقدٍ لاذع أحياناً من قبل كثير من

المتشدِّدين، ولكنها ما لبثت أن ذاعت ودخلت في نسيج العربية لحمةً وسَداة.

لم يُغنِ التعريبُ – بمعنى ترجمة العلوم وتدريسها بالعربية – لغتَنا بمئات الآلاف من المصطلحات وألفاظ الحضارة والعبارات الاصطلاحية فَحَسْب، وهو ما أفَضْنا في الحديث عنه فيما تقدَّم من مواضعها، لأن العلم لغة أُحكمت عباراتها ومصطلحاتها، كما يقال، ولكنه أثراها أيضاً وطوَّرها بكتابة علمية سليمة جعلت العلوم التخصُّصيَّة في متناول طلاب العلم، وجعلت المعارف العلمية العامة في متناول الملايين من أبناء العربية. وإليكم نصَّاً علمياً باللغة العربية للدكتور أحمد زكي بعنوان (الحيوانات الفقارية واللافقارية): "أول صفات الحيوان الفقارية أن لها سلسلة من الفقارات تمتد بطول جسمها تعرف بالعمود الفقري، هي عماده، وهي قوامه، وهي حافظة شكله، وهذه الفقارات المتسلسلة تعمل هيكلاً باطناً، أي إنه يقع في باطن الحيوان، والفقارات تتألف من عظم أو غضروف... وأول صفات الحيوانات اللافقارية هي بالطبع أنه ليس لها فقرات في جسمها... وفي الفقاريات جهاز عصبيّ هو عبارة عن أنبوبة جوفاء تمتد على طول الجسم تمرُّ بداخل الفقرات والقناة التي تمر بها الأنبوبة العصبية الجوفاء تعرف بالقناة العصبيَّة... والخلاصة أن الانتقال من الحيوانات اللافقارية إلى الحيوانات الفقارية، إنما هو انتقال في وظائف الحياة إلى تخصُّصٍ في الأداء وصعود في فن الحياة متدرج إلى أعلى"[1].

وهذا النص على قِصَره حافلٌ بالمصطلح مثل: الجهاز العصبي، القناة العصبية، وبالعبارات المولَّدة مثل: (اللافقاريات، وظائف الحياة، فن الحياة) وأمثال هذه المصطلحات والعبارات وغيرها مما لا يُحْصى، مُحْدَثة أدخلها التعريب، كما يلحظ سهولة اللفظ فيها، ووضوح العبارة والإيجاز. وهي من سمات الأسلوب العلمي الذي طوَّر الكتابة العلمية العربية.

وبناءً على ما تقدَّم، لم نكن إلا في قلب الحقيقة وصُلْبها عندما قلنا: إن التعريب والترجمة والتنمية اللغوية متلازمة ثلاثية، انجدَلَتْ معاً، فكان لنا منها لغة عربية حيَّة معاصِرة غير مُنْبَتَّة عن عربية التراث والبيان.

---

[1] أ. شحادة الخوري، **دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب**، 152:2.

خاتمة: مستقبل الترجمة في الوطن العربي

يَنْعَى الكثيرون على حركة الترجمة في العربية ضَعْفَها، وقِلَّة ما تُرْجم إليها، بعد أن تبيَّن "أن ما تُرْجِم إليها من سنة (1971 إلى سنة 2002) لا يتجاوز (8829) كتاباً، أي بمعدل (384) كتاباً في السنة، وهو أقلّ مما تترجمه دولة أوربية صغيرة"[1] وأن اللغة العربية التي تحتل المرتبة الرابعة في العالم من حيث عدد المتكلمين، تأتي في المرتبة السادسة عشرة من حيث الترجمة، عدا أن (70%) من المترجمات هي في ميادين الآداب والإنسانيات، أي إن ما يترجم من كتب العلوم لا يجاوز المئة والثلاثين كتاباً في السنة وهي (30%) من المترجمات في حين أننا إلى الترجمة العلمية أحوج، وأن الضرورة إليها أمسّ.

أَجَلْ، ومع ذلك، فحتى هذه الكمية القليلة جداً من الترجمة العلمية، ما كانت لتوجد لولا الجامعات السورية الخمس، والكليات المعربة في الجامعات العربية، والتي لا تجاوز (10%) من جامعات ومعاهد التعليم العالي في الوطن العربي. أي إننا نحن مدينون لهذه الجامعات والكليات القليلة العربية المعرَّبة حتى بهذه النسبة المتواضعة من المُتَرْجَمات العلميَّة.

إن السبب الأول والأهم لضعف الترجمة هو تغريب التعليم في الوطن العربي بدل تعريبه... وتعليل ذلك أن الكتاب المترجم – بالنهاية – سلعةٌ من السِّلع، ولا أحد ينتج سلعة ليس عليها طلبٌ ولا لها رواج، إنه قانون العرض والطلب، يسري على الترجمة كما على غيرها من المنتجات البشرية، ولا طريق لتنمية الترجمة وزيادتها إلا بزيادة الطلب على الكتاب المترجَم، ولا حاجة للكتاب العلمي المترجم إذا كان التعليم في الجامعات بغير العربية، فتعريب التعليم هو السوق الاستهلاكية لبضاعة الترجمة ومنتجاتها. وعندما يقال: إن أصغر بلد أوربي يترجم أكثر مما يترجِم الوطنُ العربي كلُّه فإن هذا مفهوم تماماً ومعقول جداً، لأن ذلك البلد يدرِّس العلوم بلغته الوطنية، وهذا ما يدعوه إلى تنمية عملية الترجمة وزيادتها، استجابة للطلب عليها.

ومن المعلوم أن بعضهم يضع مسألة تمويل الترجمة العلمية عائقاً دونها، وهي حُجَّة داحضة،

---

[1] أ. شحادة الخوري، **الندوة العلمية الدولية للترجمة**، تونس (2008)م.

بدليل أن أحد العلماء المهتمين بالتعريب سأل رئيس جامعة يابانية عن تكاليف الترجمة وحقوق الملكية الفكرية لمؤلفِ الكتاب المُتَرْجَم عنه، فأجاب: إن ترجمة الكتب العلمية المنهجية والمرجعية لا تكلفنا شيئاً، فما إن نقرِّر تدريس كتاب أجنبي في بعض جامعاتنا، حتى تتبارى مؤسسات الترجمة العالمية للقيام بترجمة الكتاب، متكفِّلة بالتكاليف المادية؛ لأن سوق الكتاب متوفِّر، والبيع والربح مضمونان. ولكنْ لِمَنْ تترجم المؤسسات الوطنية والعالمية إذا لم يكن على الكتاب العلمي طلب وليس له رواج ؟ وعلى هذا فأنا لا أتفاءل بنماء الترجمة وتطورها ما لم يُعَرَّب التعليم الجامعي في الوطن العربي؛ فبتعريب التعليم سترتفع كمية المترجمات العلمية عشرة أضعاف على الأقل، وبذلك يتوافق ترتيب انتشار العربية في العالم مع مرتبتها العالمية في سُلَّم الترجمة.

خاتمة

نخلص ممَّا تقدم إلى ما يلي:

1. الدعوة إلى تعريب التعليم الجامعي والعالي، لأنه الدافع الأعظم لحركة الترجمة.
2. تدريس مقرر (علم المصطلح) في كليات العلوم وأقسام اللغات الأجنبية والعربية ومعاهد الترجمة؛ لأنه من أهم وسائل معالجة اشكاليات المصطلح العربي.
3. دعم مؤسَّسات الترجمة العلمية في الوطن العربي، ولاسيما المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، ومديريات الترجمة في وزارتي الثقافة والتعليم العالي.
4. اعتبار الترجمة عملاً علميا بحثيّاً أصيلاً، لأنه ركن المثاقفة والمعاصرة، واعتبار مترجمات أساتذة الجامعة مؤهِّلة للترقية العلمية، بعد تحكيمها أسوة بالبحوث المؤلفة.

المصادر والمراجع

أ. الكتب:

1. التعريب وتنسيقه في الوطن العربي – د. محمد المنجي الصيادي – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ط3 (1984)م.
2. التعريب مؤسساته ووسائله – د. ممدوح محمد خسارة – الدار المتحدة ومؤسسة الرسالة – دمشق (1999) م.
3. التعريب والتنمية اللغوية – د. ممدوح محمد خسارة – دار الأهالي – دمشق (1994) م.
4. التعريفات – السيد الجرجاني – مكتبة لبنان – بيروت (1978) م.
5. التلخيص في علوم البلاغة – القزويني – المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ط1 (1932) م.
6. دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب – أ.شحادة الخوري ج1 دار طلاس (1989) م. وج2 دار الطليعة.
7. كتاب العشر مقالات في العين المنسوب لحنين بن اسحاق – د.وائل الخوري – جامعة دمشق كلية الطب -1975 1974 (أطروحة دكتوراه).
8. علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية – د. ممدوح محمد خسارة – دار الفكر بدمشق – ط2 (2013)م.
9. فقه اللغة وأسرار العربية – الثعالبي – دار الكتب العلمية – لبنان (د.ت).
10. الفهرست– ابن النديم – المكتبة التجارية الكبرى – مصر (د.ت).
11. كنز الحُفَّاظ – الخطيب التبريزي – المعاونية الثقافية للآستانة الرضوية ط3. (1366) هـ.
12. المراجع المعجمية العربية – د. محمود اسماعيل الصيني ومسفر الثبيتي مكتبة لبنان (1989) م.
13. المصطلحات العلمية في اللغة العربية – مصطفى الشهابي – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ط2 (1965) م.
14. معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية– إعداد: د.أحمد شفيق الخطيب– مكتبة لبنان – ط2 (1982) م.
15. معجم العلوم الطبية والطبيعية – مكتبة النهضة – بيروت بغداد ط3 (د.ت).
16. ندوة الترجمة في الجامعات العربية السورية (2007) م.
17. الندوة السنوية لتعريب التعليم العالي – المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر – دمشق (1995) م.
18. الندوة العلمية الدولية للترجمة – تونس (2008)م.

ب. الدَّوريات:

1. مجلة (التعريب) – المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق الأعداد: 8, 10, 49, 51.

2. مجلة عالم الفكر – الكويت – ج 4/19.
3. مجلة اللسان العربي – الرباط – الأعداد: 1/16, 1/20, 1/39.
4. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – المجلدات: 4/24, 1/40, 1/60, 3/89.
5. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة – الأعداد: 33, 49.
6. نشرة المركز العربي للمطبوعات الوثائق الصحية – الكويت التقرير الشامل (1994)م.
7. نشرة معهد الأبحاث والدراسات للتعريب – الرباط.
8. نشرة دليل معهد الدراسات المصطلحية بفاس – دليل المعهد (2001)م.

أثر اللسانيات في الترجمة

د. فتحية عبد الكامل
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان – الجزائر

مقدمة

تعد الترجمة فرعاً من اللسانيات التطبيقية إلى جانب علم المصطلح، وعلم المعاجم والصناعة المعجمية، وعلم الدلالة، وهي فضلاً على ذلك همزة وصل بين لغتين أي بين نظامين لغويين يختلفان من حيث الخصائص الصوتية والنحوية والمعجمية والدلالية، والتركيبية. تتمثل مهمة المترجم إذن في نقل معاني نصٍّ ما مع الأخذ في الاعتبار ميزات اللغة الهدف، فضلاً على العامل الحضاري والثقافي الخاص بكل من اللغتين، وتكمن أهمية الموضوع في أنه يبرز التأثير الإيجابي للسانيات وفضلها في تذليل الصعوبات التي تعترض المترجم، دون أن ننسى الدور الفاعل للسانيات في تحديد نظريات الترجمة وموضوعها والهدف منها.

وقد تباينت تعاريف الترجمة من لدن علماء اللسان ففي ستينيات القرن الماضي حاول شومسكي وكاتفورد استلهام تعريف للترجمة من خلال اللسانيات المقارنة، فكاتفورد يرى أنها "استبدال مادة نصية بمادة نصية مكافئة".[1]

وقد ارتكز على نحو هاليداي (la grammaire de Haliday) وميَّز بين السياق أي الموقف والنص المشارك أي اللغة.[2]

---

[1] Joelle REDOUANE, La Traductologie, ALGER :OPU, Edition n°2032,P34

[2] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

وترى مدرسة براغ بدورها أن اللغة تتوفر على عدد من الأساليب الكلامية والأدبية المتنوعة التي تناسب الطبقات الاجتماعية المختلفة وتستعمل في سياقات موقفية معينة.[1]

وقد تأثر اللساني الأمريكي وليم ليبوف بهذه الفكرة ... وأكد في نظريته هذه على الأساليب الكلامية المختلفة، وكل ما يتعلق بدرجة الرسمية (formality) واللارسمية (informality) في الخطاب، وبعمر المتكلم، وثقافته ومحيطه، وطبقته الاجتماعية التي ينتمي إليها.[2]

وفي هذا الصدد يقول أندريه مارتينيه: "من المعروف سلفاً أنه ليس لكلمات لغة ما مقابلات دقيقة في لغة أخرى".[3]

علاقة اللسانيات بالترجمة

تربط اللسانيات بالترجمة علاقة وطيدة، ذلك أن اللسانيات تفيد الترجمة في الاطلاع على بِنيات اللغات وخصائصها ومميزاتها، ومَعرفة قضايا التواصُل بين اللغات والتقريب بينها، ومعرفة المخزون الثقافي والحضاري لهذه اللغات، ومن ثم التفريق بين اللغة الخاصة والعامة لكل لغة، وبهذا يتسنى للمترجم نقل المعاني والمفاهيم والتصوُّرات من لغة إلى أخرى.

وفي هذا الشأن يقول جورج مونان: "... بدل أن نعتبر أن عملية الترجمة هي وسيلة إيضاح مباشرة لبعض مشاكل اللسانيات العامة، ... يمكننا اقتراح العكس وهو أن اللسانيات – وبالأخص اللسانيات المعاصرة، واللسانيات التركيبية والوظيفية تنير للمترجمين أنفسهم مشاكل الترجمة.[4]

وعندما نقول لغتين فنحن نعني منطقين ورؤيتين للعالم، واضعين نصب أعيننا أن النحو هو الآلية الحاملة للمعنى، وهذا يدعو إلى القول إن النحو ليس خزاناً للأشكال النحوية فحسب بل هو أساس في بناء المعنى.

---

[1] أحمد مومن، **اللسانيات (النشأة والتطور)**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، دسيمبر 2002، ص 150.

[2] المرجع نفسه، نفس الصفحة

[3] André Martinet, Élément de Linguistique Générale, Armand Colin, 4ème édition, p19.

[4] Mounin George, les problèmes théoriques de la traduction, Paris : Gallimard, 1963, p7

إننا نَبتغي من خلال هذا الكلام أن نُنوِّه بدور اللسانيات في بناء العمل الترجَمي، هذا عَدا روافد الدراسات اللسانية الحديثة التي ما زالت تُعطي لهذا العلم زَخماً مهمّاً، لاحِظوا كيف تغيَّرت النظرة إلى الترجمة باعتِبارها فنّاً وتقانةً يَمتلك المترجم آلياتها موهبةً وفِطرةً، إلى علم قائم على مبادئ دقيقة تُساهم في رقيّ ونقاء عملية الترجمة، يقول أ. د. حبيب مونسي: "لقد استهدت نظريات الترجمة باللسانيات التماساً منها إلى سِمة العلمية فيها، وابتغاء إضفاء مسْحة من اليقين في مُنجزاتها إذا هي ركنَت إلى علم لغويٍّ يتشدَّد كثيراً في ضبط أدواته ومصطلحاته، بيد أن اللسانيات على اختلاف مَشاربها ومدارِسها، عالَجتِ الظاهرة اللغوية علاجاً خاصّاً، ارتُكبت فيه جملة من التجاوزات أحالت الدرس اللساني إلى ضرب المثال البَعيد كل البعد عن الجاري في الاستعمال، والشائع بين الناس، وأمام إلحاح نظريات جديدة تبحث في التواصل والمقاصد، وتحليل الملفوظات، والخطاب، كان على اللسانيات أن تُدير دفة توجّهها المثالي إلى المُعاينة السياقية، وأن تخوض غمار الاستعمال لتجدِّد صلتها باللغة وهي فاعلة في صلبِ الواقع، فكانت التداوليَّة...".[1]

نُبرز هنا على سبيل المثال لا الحصر المقاربة اللغوية التي قام بها كل مِن المنظِّرين "فيني" و"داربلني"، "La stylistique comparée"؛ حيث قاما بدراسة تقابليَّة للغة الفرنسية والإنجليزية، تمَّ فيها الوصول والحصول على حلول طالَما وقفت حجر عثرة أمام المُترجمين.[2]

أعطَت أساليب الترجمة من مُباشرة، وهي: الاقتراض والمُحاكاة والترجمة الحرفية، وغير مُباشرة: الإبدال والتطويع والتكافؤ والتصرُّف، بُعداً أكاديميّاً للترجمة فأصبحنا نرى مُذكِّرات الماجستير والدكتوراه والدراسات المتخصصة تَلِج رويداً رويداً هذا الحقل المهم.[3]

---

[1] أسامة طبش، **دور اللسانيات في عملية الترجمة**، http://www.alukah.net/literature_language/0/72833 من الموقع الأصلي.

[2] الموقع نفسه.

[3] الموقع نفسه.

إن هذا لدليل قاطع على دور اللسانيات العامة، بل والتطبيقية منها بصفة أخص في ميدان الترجمة؛ كدراسة لُغوية مُنبثقة من اللغة حصراً، ثم مقاربتها بأشكال ترجمية تبيِّن لنا أساليبها المختلفة والأصح منها.

اللسانيات ميدان شائق وجميل، يُعنى به اللغويون بالأخص، وإسهاماتهم في الدراسات اللغوية يمكن الإفادة منها والنهل منها قدر المستطاع، (نعوم تشومسكي، فرديناند دوسوسير..)، وغيرهما من العلماء أفادوا وأجادوا، فأصبحْنا لا نلج الترجمة إلا من خلال هذا الطريق الممهَّد والمسهَّل لهضْم علومها.

ندلِف إلى "نعوم تشومسكي"، وهو أستاذ لسانيات وفيلسوف أمريكي، وأستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات والفلسفة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، يُوصف تشومسكي بأنه "أبو علم اللسانيات الحديث"، وقد أسَّس نظرية النحو التوليدي، والتي تُعتبَر أهمَّ إسهام في مجال اللسانيات النظرية في القرن العشرين، ويعود إليه الفضل كذلك في تأسيس ما يُعرَف بـ "تراتب تشومسكي" ونظرية النحو الكلي.[1]

لابد من إعطاء هذه الدراسات وقتاً أكثر حتى تَتضَح وتتبلور على نحوٍ جليٍّ؛ فالعديد من المقارَبات تكشف لنا اليوم جوانبَ لم نكن على علم بها؛ ما هي اللغة؟ كيف تواضَعَ الناس عليها؟ كيف نحقِّق التواصل المنشود بين البشرية من خلال تنوُّع الألسنة؟ وباختصار شديد، نحن على يقين بأن اللسانيات كانت – وما زالت – من أهم عوامل المضيِّ قدماً في علوم الترجمة، بل ازددنا شخصيّاً شغفاً بهذا العلم لما رأينا فيه من دقة متناهية في وضع المصطلحات وتوحيدها وتوليدها، ما يُسهل المهمة على المترجم في عمله الدؤوب في ترجمته للنص، سواء كان نصّاً أدبيّاً أم تخصصيّاً؛ قانونيّاً، سياسيّاً، طبيّاً.[2]

---

[1] الموقع نفسه.

[2] الموقع نفسه.

الترجمة بين اللغة والكلام

تعددت تعريفات اللغة، ويُعد تعريف اللغة عند ابن جني الأدق من بين التعريفات التي أوردتها الدراسات اللسانية حيث قال: "حدُّ اللغة أصوات يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم" **(الخصائص لابن جني 33/1)**، أما التعريف المعروف لعلم اللغة أو اللسانيات فهي الدراسة العلمية للغة.[1]

ويُعدُّ فرديناند دوسوسير مؤسس اللسانيات، إذ أفاد بكتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" وهي المحاضرات التي قام بجمعها مجموعة من طلبته، فأعطى للسانيات الصبغة العلمية، ودرسها من الناحية الوصفية، وميز بين اللغة والكلام بالثنائية المعروفة لغة/كلام dichotomie langue/ parole.

وانطلاقاً من هذه النظرية اللسانية، تأسست النظريات الحديثة للترجمة، حيث أمكن تحديد موضوع الترجمة المتمثل في الملفوظ، l'énoncé بمعنى الفعل الكلامي l'acte de parole وليس اللغة langue، وأن حقيقة الترجمة لا تتمثل في إعطاء مقابلات لغة أخرى.[2]

ونرى أن التعريف الدقيق لها هو ذلك الذي أعطاه دوستير بأنها فرع من فروع علم اللغة التطبيقي، يُعنى بوجهٍ خاص بمُشكل نقل المعنى من الرموز المنتظمة... إلى مجموعة أخرى من الرموز المنتظمة. أما جاكوبسون فقد أوضح أن الترجمة هي ثلاثة أنواع متباينة على أساس أن اللغة هي مجموعة من الرموز الصوتية.

1. **الترجمة داخل اللغة ذاتها:** أو الصياغة بألفاظ أخرى، وهي تفسير الرموز اللفظية برموز أخرى من نفس اللغة.
2. **الترجمة بين اللغات:** أو الترجمة الحقيقية، وهي تفسير الرموز اللفظية برموز لغة أخرى.
3. **الترجمة بين الأنظمة الرمزية، أو التحويل:** وهي تفسير الرموز اللفظية برموز نظام رمزي

---

[1] محمود فهمي حجازي، **علم اللغة العربية**، الكويت: وكالة المطبوعات، 1973، ص 9.

[2] K.Dejean Le Feal, Linguistique et traduction,Turjuman, Revue de tarduction et d'interprétation, volume1, numéro 1, Avril 1992, p23

غير لفظي.[1]

الترجمة واللسانيات التقابلية:

يرى أغلب الباحثين في الدراسات اللسانية أن تعليم اللغات يقوم في المقام الأول على علم اللغة التقابلي. وموضوع البحث في علم اللغة التقابلي الذي أحدث مناهج علم اللغة– هو المقابلة بين لغتين اثنتين أو لهجتين اثنتين أو لغة ولهجة أي بين مستويين لغويين من نفس العصر. ويهدف علم اللغة التقابلي إلى إثبات الفروق بين مستويين لغويين، ولذا فهو يعتمد على علم اللغة الوصفي. فإذا كان المستويان اللغويان تم وصفهما وصفاً دقيقاً بمنهج لغوي واحد، أمكن بحثهما بعد ذلك بالمنهج التقابلي. ثُم إن إثبات الفروق بين المستويين يوضح جوانب الصعوبة في تعليم اللغات. فإذا أراد أبناء اللغة الانجليزية تعلم العربية فالصعوبات التي تواجِهُهُم ترجع في المقام الأول إلى اختلاف لغتهم الأم وهي الإنجليزية عن اللغة التي يرومون تعلمها وهي العربية.[2]

إن الفروق الفردية تجعل بعض الأفراد مؤهلين أن يتعلموا اللغات الأجنبية أسرع من غيرهم، غير أن علم اللغة التقابلي لا يهتم بهذه الفروق الفردية بل يهتم بالفروق الموضوعية؛ ولذا فهو يقابل مستويين لغويين اثنين بهدف بحث أوجه الاختلاف بينهما وتعرُّف الصعوبات الناجمة عن ذلك. فعلى سبيل المثال الصعوبات التي تواجه أبناء اللغة الصينية في تعلمهم للعربية، ليست هي نفسها التي تواجه أبناء اللغة الإسبانية أثناء تعلمهم للعربية. ونفس الشيء للعرب الذين ينشدون تعلم اللغات الأجنبية، وتحديد الصعوبات الموضوعية يجري عن طريق مقابلة اللغة الأم واللغة الهدف، وهذا مجال علم اللغة التقابلي، أما تحويل هذا إلى برامج تطبيقية مع استعمال كل الوسائل التعليمية الحديثة فهذا يدخل ضمن موضوع علم اللغة التطبيقي.[3]

---

[1] علي القاسمي، **علم اللغة وصناعة المعجم**، المملكة العربية السعودية: جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، الطبعة الثانية 1992، ص 90.

[2] ينظر إلى محمود فهمي حجازي، **علم اللغة العربية**، ص 40، 41.

[3] ينظر إلى محمود فهمي حجازي، **علم اللغة العربية**، ص 40، 41.

"وإذا كان علم اللغة قد أوضح أن المعنى هو حصيلة الاستعمال في المواقف الكلامية والثقافية المختلفة وأن إيحاءات الرمز اللغوي هو حصيلة استعماله في هذه المواقف فإن تعليم اللغات أخذ يضع في اعتباره أن دلالة الكلمة أو العبارة لا تتضح عند التلميذ إلا إذا دُرست مرتبطة بمواقف استعمالها، فاستظهار قوائم المفردات لا يعني إدراك إيحاءات المعنى المُراد، ودلالة الألفاظ لا تكتسب إلا في مواقف استعمالها، ولا تعلم إلا في مثل هذه المواقف أو بِبيان هذه المواقف".[1]

لقد أثبتت التجربة التي خضتها مع طلبة قسم الأدب العربي، تخصص لسانيات تطبيقية (السنة الثانية) طيلة سنوات، أن التعليم بالترجمة فعّال من ناحية تركيب الجمل باللغتين العربية والفرنسية في آن واحد، إذ تمكن هذه الطريقة الطالب من التعرف بخصائص كل من اللغتين من الناحية الدلالية، والمعجمية، والتركيب، والمصطلحات، وأن السياق أو مقام الحال له دور فاعل في تغيير معنى اللفظ والمصطلح، غير أننا لا حظنا أن الطلبة غالبا ما يستعملون الترجمة الحرفية وسيلةً سهلةً للحصول على الجملة المرادة سواء في العربية أو الفرنسية، مع أن الترجمة تر تكز في المقام الأول على نقل المعنى وليس الكلمات.

ومن الأمثلة العملية التي تثبت ذلك لفظة article التي أخذت معانيَ مختلفة تبعاً للسياق الذي وردت فيه عند ترجمتها إلى العربية، وما يسمى في الفرنسية la polysémie

.1 La vente de ce médicament est interdite conformément à l'article premier de la loi n°125 du 20 février 1984.

إن بيع هذا الدواء محظور وفقا للمادة الأولى من القانون 125 المؤرخ في 20 فبراير 1984.

.2 Les articles vendus par le commerçant sont souvent de mauvaise qualité.

إن السلع التي يبيعها هذا التاجر غالبا ما تكون ذات نوعية رديئة.

أو إن السلع التي تم بيعها من قِبل هذا التاجر غالبا ما تكون ذات نوعية رديئة.

.3 Le rédacteur en chef de ce journal quotidien ne publie qu'un seul article par

[1] المرجع نفسه، ص 53.

semaine ,car il est souvent absent.

إن رئيس التحرير هذه الجريدة اليومية لا ينشر إلا مقالا واحدا؛ لأنه غالباً ما يكون غائباً.

.4 Plusieurs articles alimentaires manquent sur les marchés de la ville à cause de la crise économique.

العديد من الأصناف الغذائية نادرة في أسواق المدينة؛ بسبب الأزمة الاقتصادية.

دور اللسانيات في تعليم اللغات وتعليمية الترجمة

يعد علم اللغة التطبيقي applied Linguistics ثمرة اللقاء بين علم اللغة والتربية وموضوعه يتمثل في الإفادة من علم اللغة بمناهجه ونتائج دراساته، وتطبيق هذه المجالات برمتها في مجال تعليم اللغات.

لقد انتهج علماء اللغة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين المنهج المقارن، ولم يكن آنذاك أي ارتباط بين دراساتهم وعلم التربية، غير أن البحث الوصفي للغات والتقدم الذي أحرزه علم اللغة العام في القرن العشرين أوضحا حقائق كثيرة عن بنية اللغة وحياتها، وبدأ المختصون في تعليم اللغات وخصوصا في العشرين عاما الماضية محاولة تطبيق مناهج علم اللغة ونتائجه في تعليم اللغات. فاللغة الأجنبية لم تعد تُعلَّم بوصفها ظاهرة مكتوبة، بل بوصفها ظاهرة صوتية في المقام الأول. وقد بدأ الاهتمام بالنطق إذ أصبح يحتل المكان الأول في تعليم اللغات، باعتباره الأصل، أما الكتابة فهي ظاهرة تابعة، ومن ثَم أصبح من المتفق عليه في علم اللغة التطبيقي أن يُعدَّ تعليم النطق أساساً لتعليم الكتابة. إذ يُبدأ بتعليم اللغة في جانبها الصوتي ثم تأتي كيفية الكتابة بعد ذلك، مع ملاحظة أن الفروق بين البِنية الصوتية للغة ونظام كتابتها تُسبِّب صعوبات التدوين، ومن ثَم ينبغي الإشارة إليها باعتبارها ظواهر خاصة بالكتابة لا باللغة.[1]

وينطبق تعليم اللغات عن طريق الترجمة في الجانب الصوتي، فلا بأس بإعطاء أمثلة بسيطة للطلبة وتدريبهم على ترجمتها شفوياً، فالترجمة وسيلة فعالة لتعميق مدارك الطلبة وتطوير

[1] المرجع نفسه، ص 52.

مهاراتهم وملكاتهم اللغوية في لغتهم الأم، وإنمائها أيضاً في اللغة الأم؛ لذلك "لابد من العمل المتوازي في اتجاهين اثنين لإنماء الكفاءة اللغوية عند المتعلم، بالتركيز على اللغة المترجم منها وعلى العربية كلغة مترجم إليها".[1]

وفي عصرنا الحالي أصبح من الأهمية بمكان، أو كما يحلو للبعض تسميته بعصر العولمة (globalization) التواصل مع الشعوب والأمم؛ لتبادل الثقافات والمعارف والعلوم، وهذا لن يتأتى إلا باكتساب لغة الآخر والتمكن منها، بغية التقدم والازدهار وتَبَوُّؤِ مكانة مرموقة بين لغات العالم، خاصة أمام التحديات والمنافسة الشديدة بين اقتصاد الدول المتقدمة. ولذلك فإن تعليم اللغات الأجنبية أصبح ضرورة للاطلاع والانفتاح على ثقافة الغير. ومن أهم إيجابيات تعليم اللغات الأجنبية:

- أنها أداة انفتاح على العالم الخارجي، ووسيلة لتعزيز التواصل بين الشعوب والأمم، ولتبادل العلم والمعرفة، ووسيلة أيضا لإزالة حواجز المكان والزمن بين مختلف الشعوب والثقافات.
- تعلم اللغات الأجنبية هو السبيل الأمثل لتوسيع مدارك الفرد وإثراء تجاربه، إذ لا ينبغي أن تنحصر معرفة الفرد بلغته الأم فقط.
- تعليم اللغات الأجنبية وتعلُّمها فعل حضاري يكتسب أهمية كبيرة في عصر الانفجار المعرفي والشابكة (الإنترنت).
- تعليم اللغات الأجنبية يمكّن من الاطلاع على العلوم والمعارف التي تزخر بها دول العالم وخاصة المتقدمة منها.[2]

فمثلاً تعد لغة الهان وهي اللغة الصينية الرسمية، من اللغات الرسمية المستعملة في الأمم

---

[1] محمد الديداوي، **منهاج المترجم**، الدار البيضاء (المغرب)، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2005، ص 321.

[2] مقال لأستاذة جميلة راجا، **استراتيجية تعليم اللغة العربية واللغات الأجنبية في الجزائر**: ضرورة التكامل، عن أعمال الندوة الوطنية حول التخطيط اللغوي في الجزائر "اللغات ووظائفها" التي جرت فعاليتها يومي 12 و13 أفريل 2011 بالجزائر، ص 92.

المتحدة، ومن اللغات الأقدم والأكثر تطورا في العالم، ويعود ظهورها إلى حيز الوجود الى أكثر من 6000 سنة. وبخصوص تحول تعلم اللغة الصينية إلى قضية ساخنة تهم العالم كله قال السيد سون – رئيس مكتب لجنة الامتحان...": الصين بلد ذو ثقافة ساطعة وعريقة ودفعت عجلة الحضارة البشرية، وفي السنوات العشرين الماضية من تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح، حققت الصين زيادة قوتها العامة، بحيث استعادت مكانتها العامة على المسرح العالمي، هذا وتزداد التعاملات بين الصين والبلدان الأخرى والمنظمات الدولية والأشخاص الأجانب، وهذا ما يجذب المزيد إلى تعلم اللغة الصينية. "... وخلال عشرين سنة بين عامي 1980 و1999، تم إنشاء مئات الآلاف من الشركات الأجنبية داخل حدود بر الصين وهونغ كونغ، وأصبحت إجادة اللغة الصينية من الشروط اللازمة المفروضة على العاملين فيها.[1] وكذلك الترجمة منها وإليها.

وقد أقر العديد من علماء اللسان أنه لا مندوحة عن الترجمة، إذ لا يمكن إغفال إنجازاتها المتمثلة في النقل الذي قام به العلماء المسلمون للميراث اليوناني، وإسهاماتها في إبراز العديد من الأعمال الأدبية مثل Le Neuveu de Rameau للكاتب Diderot هذا العمل الذي لم تطلع شمسه في فرنسا إلا بعد ترجمته التي نجحت إلى الألمانية من قِبل غوته عام 1805.

كما استطاعت توحيد لغة قشتالة في عهد مدرسة طليطلة، واللغة الألمانية الخاصة بلوثر، وتلك المرتبطة بشوسر وكاكستون وهي الإنجليزية، والفرنسية لدو بلاي.[2]

صعوبة ترجمة الألفاظ والمصطلحات

من المعروف أن لكل لغة أمة من الأمم تصنيفها الخاص للعالم، والواقع أن اللغة، أيَّ لغة، ليست إلا أداة اتصال بالتجربة الإنسانية وأداة تحليل لها، وأن هذه التجربة تتباين من مجتمع لآخر ومن بنية لأخرى. وما ننشده من كل لغة إنسانية، ومنها لغتنا العربية الفصحى هو تحديد

---

[1] http://www.chinatoday.com.cn/Arabic/a12/chanese.htm العدد 12، الصين اليوم ديسمبر (كانون الأول) 200..

[2] Joelle REDOUANE, Encyclopédie de la Traduction, Alger: OPU, édition4, 1996, p37.

رؤيتنا للحقائق والأشياء وللكون والحياة والإنسان، فنحن نتوخى من اللغة أن نتمكن بواسطتها من تحديد رؤية كل منا للعالم الذي يحيط به.

لذلك يجد المترجم صعوبة في العثور على المقابلات الكافية وبخاصة المصطلحات العلمية الحديثة التي لم يتم تطويعها بعد في لغة الشرح، أو المصطلحات الحضارية المتعلقة بثقافة لغة المتن، وتكمن المشكلة الأساسية للمترجم، حين يكون مطالباً بالقيام بمهام المعجمي، والمصطلحي، والمتخصص في علم من العلوم أو أكثر في آن واحد.

وتَعذُّر الترجمة يعود أساساً لكونها تجمع بين نظامين لغويين متمايزين، أي بين ثقافتين مختلفتين للكون والواقع، ذلك أن دلالة الكلمات ترتبط في ذهن الفرد بمجموعة من التجارب الخاصة والأحداث الاجتماعية التي يمر بها؛ لذلك فإنها توحي بظلال وإيحاءات قد تختلف من فرد لآخر من نفس البيئة، لكن هذا لا يعني أن التفاهم غير ممكن بين اللغات، بل هناك قدر مشترك لدلالة الكلمات يجري على أساسه التعامل مع الأفراد. وفي حين نجد، في الغالب، بالإمكان نقل الجمل وترجمتها، فإن العثور على مقابلات دقيقة أمر صعب أحياناً. وتتبع هذه الصعوبة من وجود علاقة وُثقى بين اللغة والحضارة، وما دامت المفردات عبارة عن رموز لخصائص حضارية ديناميكية محددّة، فإنه ليس من السهل التوصل إلى مطابقة مُطلقة بين الكلمات المتقاربة في لغتين مختلفتين. فالفروق الحضارية مثلا جلية في الألفاظ الخاصة بالبيئة، والقرابة والنسب، والوحدات الزمنية وهلم جرا. وكذلك تتبع صعوبة إيجاد مقابلات دقيقة من طبيعة المعنى ذاته. ولعلماء الاقتصاد وجهة نظر في هذا الشأن فقد"عبروا عن رؤيتهم الأساسية للنظرية الوظيفية للقيمة حيث أن بإمكانها أن تفسر التشابه المدرك حدسياً بين النقد واللغة فكلاهما – حسب رأيهم – تعوزهما القيمة في الاستعمال حيث يكتسبانها عن طريق التبادل، وهو ما يُطلق عليه الاقتصاديون "القيمة الشرائية" ويطلق عليه اللغويون "المعنى".[1]

فإضافة إلى التباين في التضمن (أو ما يسميه بعضهم بالمعنى الهامشيّ، وهو المعنى

[1] فلوريان كولماس، **اللغة والاقتصاد**، الكويت: عالم المعرفة، 2000، عدد الصفحات 364، ص 163.

الإضافي الذي توحيه الكلمة للمتكلم أو السامع فضلاً على معناها الأصلي أو المعنى المركزي)، وفي التنوع الأسلوبي، تختلف المقابلاتُ في بنيتها الصوتية، فهناك فروق في عدد مقاطعها، ونمط نبرها، وقافيتها.[1]

إن المقابلات المطلقة التي لها الدلالة ذاتها والوظيفة النحوية عينها في كلتا اللغتين نادرة جداً. ونعرض في السطور التالية أسباب التباين بين المقابلات المتشابهة في اللغات المختلفة:

1. تتباين اللغات في أقسام الكلام، ففي حين تقسم مفردات معظم اللغات الهندية – الأوربية بصورة تقليدية إلى ثمانية أقسام وهي: الأسماء، والأفعال، والظروف، والضمائر، وأدوات التعريف والتنكير، وحروف الجر، وأدوات الوصل وأدوات التعجب، تقتصر بعض اللغات على ثلاثة أقسام فحسب، بل في تصنيف الفعل الواحد أو الحالة الواحدة أيضاً. فالأسماء العربية "طعام" و"إيمان" و"حب" يجب أن تترجم كأفعال إلى اللغة المازيتية المُتداولة في بعض مناطق المكسيك.
2. أحياناً لا نجد مقابلات لألفاظ أو كلمات في لغة أخرى. وعند تعذر إيجاد المقابل المناسب نضطر إلى التعبير عن معنى تلك الكلمة بوسيلة نحوية في اللغة الأخرى. فأداة الاستفهام العربية "هل" تقابلها أداة استفهام مُكوّنة من ثلاث مفردات في اللغة الفرنسية est-ce que، ولكن ليست لها كلمة مقابلة باللغة الإنجليزية، وإنما يعبر عن معناها بوسيلة نحوية تُدعى القلب، وذلك بتقديم الفعل على الفاعل. مثلاً:

   المرأة سمينة The woman is fat

   هل المرأة سمينة؟ Is the woman fat?
3. قد تستعمل اللغات المختلفة طرائق نحوية متباينة للتعبير عن أوجه مُعيّنة من الخبرات، فلكي نعطي ترجمة عربية أمينة للعبارة الإنجليزية I met my friend. يجب أن نختار بين صيغتي

[1] علي القاسمي، **علم اللغة وصناعة المعجم**، ص 95.

التذكير والتأنيث للاسم الوارد في هذه العبارة (صديق أو صديقة).[1]

4. التباين الجوهري يتمثل في الأصناف النحوية الخاصة بكل لغة فدلالة الصنف النحوي المُسمّى بـ (الجمع) في اللغة العربية، مثلا، تختلف عن دلالة نظيره في اللغة الإنجليزية. فالعربية تتميز بنظامها العددي المتمثل في المفرد والمثنى والجمع وهذا ما يثبت دقتها في التحديد العددي الذي يميزها عن باقي اللغات الأخرى، في حين أن للإنجليزية نظاماً عددياً ثنائياً (مفرد – جمع)؛ ولهذا فنحن نُترجم العينين بـ eyes، ولكن هذا المقابل الإنجليزي لا يتصف بالدقة بتاتاً، وليست هنالك مطابقة تامة بين المقابلين المذكورين. والجنس من حيث التذكير والتأنيث مثل آخر على اختلاف الأصناف النحوية من لغة إلى أخرى. فما هو مُذكّر في لغة قد يأتي على صيغة المؤنث في لغة أخرى فالقمر في العربية مذكر على حين في الفرنسية نقول la lune مؤنث، وكذلك الشأن بالنسبة للشمس فهي مؤنثة في العربية ومذكر في الفرنسية إذ نقول le soleil.

الترجمة اللسانية:

من المعروف أن الترجمة هي في الأصل نقل من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، شرطَ أن يلتزم المترجم بالأمانة في نقل الأفكار، آخذاً في الاعتبار خصائص كل من اللغتين، والترجمة اللسانية كغيرها من أنواع الترجمات في مختلف التخصصات تقتضي احترام معاني النص الأصلي ونقلها دون الإخلال بها، أو تحريفها.

فقبل قرنين، تقريباً، عبَّر شليغل عن الترجمة ومخاطرها تعبيراً بليغاً يكاد يصلح للحكم على المترجمين في زمن نقص معرفة المترجمين وعلمهم بقواعد الترجمة الضابطة أو بميدانها. لقد قال ما معناه:[2] "إن الترجمة مبارزة قاتلة يموت فيها، لا محالة، المترجم أو المترجم له". وكم من مترجم قتل صاحب النص الأصلي بسوء فهمه وقلَّة درايته. ولنا في السجالات القائمة حول

[1] المرجع نفسه، ص 96.

[2] http://www.saidbengrad.net/inv/fouhi/tramaroc.htm

الأعمال المترجمة خير دليل على القولة.

إن هذه الأعمال المترجمة تقدم "حافية" دون أي تعليق. فإذا اعتبرنا الترجمة عملية تأويلية وتفسيرية، وإذا علمنا استحالة التطابق التام بين النص في لغته الأصل واللغة المترجم إليها، أدركنا أهمية وضرورة أن يقوم المترجم ببعض التعليقات على ما يرد في النص من أفكار.

وسنقف عند نماذج ثلاثة لمترجم واحد هي،[1] محاضرات في علم اللسان العام والمرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث واللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي.

محاضرات في علم اللسان العام

إن هذا الكتاب ترجمة لمؤلَّف دوسوسير الشهيرcours de linguistique générale الذي جمعه تلامذته بعد وفاته. وأول ما سيتوقفنا العنوان، فعلم اللسان ليس ترجمة سليمة لمصطلح Linguistique المترجم عادة بـ لسانيات. إن مترجم هذا الكتاب وقع في أخطاء ذات طبيعة لغوية أو مصطلحية.

فمن أمثلة الأخطاء اللغوية قوله (ص: 246) الوحدات والهويات والحقائق ذوات التواتر الدياكروني. حيث جاء بـ "ذوات" وكان عليه أن يقول ذات لأن جموع المؤنث هاته جموع لغير العاقل.

وفيما يخص المصطلح نجد صاحبنا لا يلتزم وحدة الترجمة. فنراه يترجم Phonologie (ص: 55) بـ علم وظائف الأصوات ثم نجده يترجم espèces Phonologiques (ص: 63) بـ "أنواع صوتية ولو اختار "صواتة" لكان أفضل وأحسن. ومرة يترجم grammaire بـ: "علم النحو" ثم يعود ليترجم (ص: 185) "بالنحو التاريخي" فأصبح علم الشيء هو الشيء نفسه كما أنه يترجم appendices (ص: 251) مرة بـ " تذييل" ومرة أخرى بـ "ضميمة".[2]

---

[1] نفس الموقع.

[2] نفس الموقع.

وتكشف الأمثلة التالية عن عدم الدقة في الترجمة وضبط المصطلح الأنسب. وهكذا نجده يترجم Le phonéme dans la chaïne parlée (ص: 77) بـ: الوحدة الصوتية في التركيب الملفوظ المتسلسل. وكان عليه أن يقول: الفونيم في السلسلة الكلامية.

ونجده يترجم العلامة اللسانية signe ling (ص: 97) بـ الدلالة اللسانية فيوقع القارئ في حيرة ويخلط الأمور عليه فلا يدري هل يحدثه سوسير عن العلامة أم عما يرتبط بالمعنى. ويترجم (ص: 211) عبارة انقطاع الرابط النحوي (أو العلاقة النحوية) La rupture du lien grammatical بـ القطيعة مع العلاقة النحوية. ولم نجد في المعاجم الثنائية، قط، ترجمة de بـ مع. فهذه الأداة تقوم بدور ربط الاسمين في علاقة إضافة. وفي صفحة 261 نجده يترجم .ling géographique بـ علم اللسان والجغرافية اللغوية والأطلس اللغوي. فإذا كان القارئ لا يعرف لغة سوسير ظن أن هذا الأخير يتحدث عن اللسانيات والجغرافية اللغوية لا عن اللسانيات الجغرافية. وأخيرا نجده في صفحة 313 يترجم famille de langues et types linguistiques باللغات الأم وأنماط اللسان مع أن سوسير يتحدث عن الفصائل اللغوية والأنماط اللسانية.[1]

ونحن نقول أن على المترجم قبل البدء بالترجمة أن يتصل بالمختصين في اللسانيات، فضلاً على البحث عن معنى المصطلح اللساني أو اللفظة اللسانية في المعاجم الأحادية المختصة في اللسانيات، ثم الرجوع إلى المعاجم الثنائية وأخذ المقابل الدقيق للمصطلح اللساني، ونؤكد أن المترجم يجب أن يكون متمكنا من اللغتين المصدر واللغة الهدف.

الخاتمة

وأخيراً على المختصين في اللسانيات أن يتعمقوا في الدراسات اللسانية التي من شأنها أن تزيد من تطوير نظريات الترجمة، وإثراء المكتبات بالمراجع التي تعالج قضية الترجمة اللسانية فهي تعاني نقصاً في هذا المجال من الدراسات، والعمل على البحث والدراسة في ترجمة المصطلحات

[1] نفس الموقع.

ومعانيها: إن كان المشكل يرجع إلى المعاجم العربية أم إلى الكتب المتخصصة، أو المعاجم المتخصصة، فالرهان اليوم للنهوض باللسانيات العربية هو تأسيس معاهد تعنى بالترجمة وكذا تأسيس مؤسسة رائدة لصوغ المصطلح وسيادة أخلاق علمية تساهم في الرقي بالترجمة اللسانية والتخلي عن النزعة الذاتية أو التقوقع داخل نظرية ما أو التعصب لمدرسة والانتصار لها في كل حين فالهدف الأسمى الذي نصبو إليه هو تطوير اللسانيات العربية، وذلك لن يحصل إلا بالترجمة.

الوساطة، الحياد والأمانة في الترجمة الشفهية

نورية بلحاج
أستاذة مساعدة بقسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الشاذلي بن جديد – الجزائر

مقدمة

يعتبر تعريف الترجمة بأنها عملية وساطة من أكثر التعاريف تعميماً وشيوعاً وبساطة في ظاهره؛ غير أن مفهوم الوساطة في الترجمة الشفهية بكل أنماطها، وتوصيف الترجمان بالوسيط بناء على هذا التصور، بات من أشد المواضيع إسالةً للحِبر بين تأكيد وتشكيك وتقبل ومساءلة؛ على مدار العقدين الأخيرين في الدراسات الترجمية الغربية التي تتناول بالبحث الترجمة الشفهية إجمالا وعلى وجه التحديد الترجمة المجتمعية؛ وكذا دور الترجمان بوصفه "وسيطاً" بين شخصين أو أكثر، وبين لغتين/ثقافتين أو أكثر.

إن مفهوم الوساطة كما يستعمل في التعاملات القانونية أو الاقتصادية أو السياسية... إلخ، ليس له في الترجمة دليلٌ يضبط حدوده ومعالمه. فهو يحمل كل ذلك الزخم الدلالي ويسقط به على عملية الترجمة، ما يطرح جملة من الاشكالات المفهومية والاصطلاحية منشؤها الاحتكاك بين مفهوم الوساطة عامة ومبدأ الحياد الذي تقوم عليه قائمة الترجمة الشفهية، وقد يتشابك من جهة ثانية مع مبدأ الاحتراف في ممارسة الترجمان – الذي يبقى في نظر البعض مجرد قاموس ناطق حي متحرك – لوظيفته مهما كان نمط الترجمة الذي يشتغل به.

ولعل تحديد العلاقة بين الترجمة والوساطة يمر أساساً بمحاولة ضبط مفهوم الوساطة هذا وكيفية تطبيقه في الترجمة الشفهية، وإلى أي مدى يسمح للترجمان بأن يذهب في أداء دور

الوسيط، هل هذه الوساطة هي وساطة لسانية بحتة أم وساطة ثقافية أم كلاهما في آن واحد؟ هل تنحصر وساطة الترجمان في نمط الترجمة المجتمعية في الغرب مثلما في دوائر الهجرة والخدمات الاجتماعية أم يتعداها إلى الأنماط الأخرى؟ وهل يتعارض مفهوم الوساطة مع مفهوم الحياد أو: متكاملان (يكمّل أحدهما الآخر) ضمن العملية الترجمية؟ ما موقع الأمانة من المفهومين؟ إنّ محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات هي الأفكار الأساسية التي تتمحور حولها هذه الأوراق البحثية التي تبغي التدقيق في القضية من وجهة نظر الباحث العربي على اعتبار أن الموضوع نادر التدارس في الأبحاث باللغة العربية.

الوساطة

يعلق بوشهاكر في بداية نقاشه للطرح الذي يقدم الترجمة مبدئياً على أنها عملية وساطة بقوله: "يبدو أن هنالك افتراضاً متجذراً بعمق ولو أنه غير محدد على العموم بين أولئك الذين يعملون في ميدان الترجمة (والترجمة الشفهية) أن ما يقومون به هو شكل من أشكال الوساطة".[1]

وبالعودة إلى أصل كلمة «mediation» (وساطة) في اللغة الإنجليزية بحسب قاموس أكسفورد الإلكتروني فإنها ترجع إلى الكلمة اللاتينية «mediatus» ومعناها التموضع في الوسط. ويقدم ذات القاموس تعريف كلمة وساطة بأنها: "التدخل في نزاع ما بغرض حله. هي تحكيم". كذلك هي: "التدخل في عملية ما أو علاقة ما. شفاعة. أو توسط".[2] أما المعاني الأساسية للفعل[3]«mediate» (توسط) كما يسردها ذات القاموس المذكور فهي التالية:

- التدخل في نزاع ما بغرض التوصل إلى اتفاق أو مصالحة.
- العمل كوسيلة توصيل (نقل أو تبليغ).
- العمل كصلة بين شيئين.

[1] Pöchhacker Franz, Interpreting as Mediation, In Crossing Border in Community Interpreting : Definitions and Dilemmas, Carmen Valero Carcès & Anne Martin, Amesterdam/ Philadelphia, John Benjamins Publishing Company, 2008, P 10.

[2] https://en.oxforddictionaries.com/definition/mediation

[3] https://en.oxforddictionaries.com/definition/mediate

ويبدو جلياً أن المعنى الأول هو الطاغي في استعمال المصطلح نظراً لتعلقه بالمجال القانوني في الغالب، أما من وجهة نظر الترجمة فإن المفردة العربية "وساطة" تمثل المكافئ المثالي للكلمة الأجنبية في هذه السياقات.

ظاهرياً قد لا تشكل مفردة "وساط" غموضاً معرفياً، غير أن مقاربة مفهوم الوساطة بقيت مدةً، معقدة إلى حد بعيد. حيث يصرح بركوفيتش أنه: "لسنوات عديدة عانت دراسة الوساطة من عدم الدقة المفاهيمية ونقصاً مذهلاً في المعلومات".[1] إذ كان هناك قدر كبير من المقاومة في المجتمعات الغربية لإمكان تحليل وفهم طبيعة الوساطة، لأن ممارسيها أرادوا الحفاظ على شيء من الغموض بشأنها.

ومن جهة ثانية يرى باحثون آخرون على غرار كارنفال وبريت أن: "ميدان البحث في الوساطة هو ميدان متعدد التخصصات، تلتقي فيه مساهمات من علماء النفس والاقتصاد والسياسة والاجتماع والأنثروبولوجيا، وعلماء وباحثين في مجال الاتصالات والعلاقات الصناعية والقانون والسلوك التنظيمي".[2] وهو في هذه النقطة بالذات يتشارك مع ميدان الترجمة الذي طالما تقاطعت فيه تخصصات أخرى خارجة عنه وحوّرت كلاً من منظورها دراسات ونظريات رسمت خريطة طريقِ وتطورِ علم الترجمة من لسانية ووظيفية وسوسيولسانية وتأويلية وغيرها.

أما اصطلاحاً، ونذكر ما تورده الموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية والسلوكية: "الوساطة هي عملية يقوم فيها طرف ثالث (غالباً ما هو حيادي وغير منحاز) بتسهيل اتفاق متفاوَض عليه بالتراضي بين أطراف ما من دون تقديم قرار رسمي".[3] وما يلفت الانتباه في هذا التعريف هو عنصر الحياد وعدم الانحياز لأي طرف من أطراف عملية الوساطة وعدم محاولة التأثير بطريقة أو بأخرى في خلاصة الأخذ والرد لمصلحة أحدهما من قبل الوسيط كما هو مفترض.

---

[1] Bercovitch Jacob, Theory and Practice of International Mediation : Selected Essays, Routledge, London & New York, 2001, P 66.

[2] Carnevale Peter J & Pritt Dean, Negotiation and Mediation, Annual Review of Psychology, Volume 43, 1992, P 561.

[3] International Encyclopedia of Social and Behavioral Sciences, P 9507.

وتتمثل أهم مميزات الوسيط فيما يلي:

- العدل (لا يرجح كفة طرف على الآخر)
- الحياد (لا يصدر أحكاما على موضوع النزاع)
- كتمان السر المهني.
- الإنصات الجيد.
- التواصل السليم والواضح.
- مؤثر (يوجه مشاعر وأحاسيس أطراف النزاع ويشجعهم على تحديد الدواعي الحقيقية للنزاع).

من جانب أول، حيثما كان هنالك نزاعات اجتماعية، سياسية، مالية، تجارية، قانونية، ايديولوجية، اقليمية أو غيرها، كان هنالك حاجة للوساطة حسب كل اختصاص. هي جسر يربط بين أفراد متنازعين عاجزين عن التفاهم فيما بينهم لأسباب معينة. هي قناة لتمرير الأفكار في أخذ ورد بين أطراف في عملية محددة مهما كان طابعها. فالوساطة بهذا المنظور شكل من أشكال التواصل. وهي بهذا المعنى تقع في دائرة واحدة مع الترجمة التي تهدف أساساً إلى التواصل.

ومن جانب آخر، خلقت الموجة المكثفة الحالية للمهاجرين إلى أوربا صداماً ثقافياً مع مجتمعاتها المتعددة الثقافات. ثم إن الاختلافات اللغوية والثقافية تؤثر تأثيراً كبيراً في التكامل السلس والتعايش للمهاجرين في النسيج الاجتماعي للبلد المضيف؛ وبطبيعة الحال، تولدت عنه صعوبات في الاتصالات ومعالجة المعاملات الرسمية مع الجهات الحكومية، والمجموعات الأخرى وأرباب العمل. وهي نفس الظاهرة التي تعيشها دوائر الهجرة في أمريكا الشمالية والتي ظهر أثرها في الدراسات الترجمية المتخصصة في الترجمة المجتمعية.

حيث تهدف الترجمة المجتمعية (Community Interpreting) – أو ما قد يشار إليه بالترجمة في المرافق العامة – إلى "تمكين الأفراد والمجموعات في المجتمع ممن لا يتكلمون اللغة الرسمية أو السائدة التي تستعملها الحكومة المحلية عند تقديم الخدمات – تمكِّنهم من الحصول

على هذه الخدمات والتواصل مع من يقدمونها"[1].

وأكثر المجالات التي تستعمل فيها الترجمة المجتمعية عادة هي الخدمات الاجتماعية مثل الضمان الاجتماعي، والإسكان، والتوظيف، والمدارس؛ وكذا المجال الصحي مثل مراكز رعاية الأطفال، والمستشفيات، وعيادات الصحة العقلية؛ وكذا المجال القانوني مثل السجون، وأقسام الشرطة أو عند التعامل مع ضباط متابعة المساجين المطلق سراحهم"[2].

وقد نجم عن تلك الوضعية بروز وظيفة الوساطة بين الثقافات، في إطار خدمة أكثر تخصصا تهدف إلى مساعدة الطرفين (السكان الأصليين والمهاجرين) من أجل فهمٍ أفضل بعضِهم لِبعض، ليس فقط في الكلمات ولكن أيضا في الثقافة، حتى يكون التواصل فعالا وذا مغزى. إذ "استدعى ذلك نمطا جديدا من الوساطة، هو الوساطة الثقافية"[3] كما يشير بركوفيتش.

كان استعمال المترجمين الفوريين طريقة لسد تلك الفجوة أمراً لا مفر منه. غير أن عدد العاملين في هذه السياقات لا يَسُدُّ الحاجة لذا، واستجابةً لاحتياجات السوق التي لا توفر عددا كافيا من التراجمة والمترجمين المحترفين، غالباً ما يُفتح مجال اللجوء إلى المتطوعين من العارفين باللغتين والثقافتين من مهاجرين سابقين أو أبناء الجالية. ولا بد أن يكون لهذا تأثير في أداء الترجمة وضبابية المهمة. حيث تُرجِّح (وادنسجو) أن التراجمة العاملين في المجال "لا يمكنهم تجنب العمل كوسطاء بين الثقافات"[4].

وغير بعيد عن هذا السياق يرى (تافت) أن الوسيط بين اللغات هو: "شخص يسهل التواصل والتفاهم والتعامل بين أفراد يختلفون في اللغة و/أو الثقافة. يتمثل دوره/دورها في الترجمة الشفهية لعبارات ومقاصد وتصورات مجموعة ما لمجموعة أخرى بغاية تشكيل تواصل متوازن بينهما. إذ إنه شخص يمتلك فضلاً على المعرفة العميقة باللغات، مستوى عالياً من الوعي

[1] Carr Sylavana E. et al, The Critical Link: Interpreters in the Community, Amsterdam/ Philadelphia, Benjamins Publishing Company. 1997. P 8.
[2] https://benjamins.com/online/hts/articles/comm3.ar
[3] Bercovitch Jacob, Resolving International Conflicts ; The Theory and Practice of Mediation, Lynne Rienner Publishers, USA, 1996, P 07.
[4] Wadensjo Cecillia, Interpreting as Interaction, London & New York,Routledge, 1998, P 75.

الثقافي الذي يمكّنه/يمكنها من التفاوض بشأن المعنى بين الثقافتين المعنيتين ويجعله قادراً على نقله لأفراد المجموعة الأخرى."[1]

وعليه يظهر مبدئياً أن وجود الترجمان بين طرفين وبين لغتين/ثقافتين هو ما شجع على اعتماد مصطلح توسط لوصف المهمة التي يقوم بها، فهو الصلة بين الأشخاص وبين اللغات/الثقافات، كما أنه يعمل وسيلةً أو قناةَ توصيلٍ وتبليغٍ بين متحدثين بلغتين مختلفتين سواء كان ذلك في الحالات العادية أو في ظروف نقاشات ونزاعات لبلوغ اتفاق ما وحل لها. فالمعاني الثلاثة المذكورة سابقا للفعل توسَّط يمكن أن تساق كلها لوصف وظيفة الترجمان، ولو أن المعنى الثاني هو أكثر ما يعبر عن ثنائية الترجمة والوساطة.

ومن جهة ثانية، يشترك الوسيط والترجمان في نقاط عديدة أهمها أن وظيفتهما استجابة لحاجة في المجتمع تمكيناً وتسهيلاً للتواصل؛ ضرورة وقوفهما محايدين في العملية التواصلية والمامهما التام بموضوعها؛ الانصات الجيد والأداء السلس؛ الأمانة في أداء المهمة المنوطة بهما؛ اشتغالهما وفق أخلاقيات المهنة التي تضبط مجال عمليهما. إلا أن الترجمان يختلف عن الوسيط في وجوب امتناعه عن التأثير في سير العملية التواصلية. وهذا هو المفروض نظرياً، لكن في الواقع:" لأن لأفعال ترجمان ما تأثيراً آنياً كبيراً في تقدم وخلاصة التفاعل، أصبح شائعاً بشكل متزايد اعتبار نشاط وساطة الترجمان نشاطا "يعدل" و"يدير" مجريات التفاعل بُغية الوصول بها إلى خلاصة سلسة/مقبولة"[2] بحسب قول بوشهاكر.

وإذا عرجنا مجدداً على التعريفات التي تقدم للوساطة كما لاحظنا، يخلص بركوفيتش إلى أن: "عدداً كبيراً من التعاريف ترتكز على الحياد وعدم التحيز، في مقابل التحيز، بكونها الصفات المميزة للوساطة."[3] وعليه وجب التوقف عند مفهوم الحياد والحياد في الترجمة الشفهية لرسم حدود بارزة أكثر لمفهوم الوساطة.

---

[1] Taft Ronald, The role and personality of the mediator, In S. Bochner. (ed.) The Mediating Person: Bridges between Cultures, Cambridge, Schenkman, 1981, P 73.
[2] Pochhacker (2008), ibid.P 13.
[3] Bercovitch (1996), ibid. P 18.

الحياد

تؤكد الجمعية الدولية للتراجمة والمترجمين (AIIC) أن "التراجمة طالما ساهموا في تطور التجارة الدولية والتبادل الثقافي".[1] وهو أمر يمكن أن يُسقَط على دور الوسطاء عبر التاريخ. وفي مقال مطول عن أخلاقيات المهنة يجري التركيز على ثلاث نقاط هي أسس وركائز عمل هذه الجمعية وتتمثل في السرية والنزاهة والزمالة، حيث يفترض بكل ترجمان ومترجم منتسب لها الالتزام بها وتطبيقها في عمله، ويخلص ذات المقال في فقرة منه إلى أنه: "بناء على ذلك، فإن النزاهة الأخلاقية والسرية معا، يؤديان إلى الحياد".[2]

ولا مناص قبل الخوض في مفهوم الحياد من الإشارة إلى المفارقة في دلالة مفردة حياد التي يعرف العام والخاص أنها اتخاذ موقف وسط بين طرفين، رأيين أو قضيتين أو غير ذلك وعدم الانحياز إلى جانب معين؛ مع أن الأصل الذي اشتقت منه الكلمة العربية أي "حاد" أو "حيد" يعني نقيض ذلك تماما.

فحاد عن الشيء في مادة "حيد" في تاج العروس: "حاد عنه، يحيد حيدا بفتح فسكون وحيدانا محركة على الأصل في المصادر ومحيدا... مال عنه وعدل" وهو بنفس المعنى في لسان العرب. غير أن الاستعمال المعاصر للمفردة هو عدم الميل إلى طرف من أطراف الخصومة.

أما المعاني الحديثة للمصطلح "neutral"[3] فتشمل:

1. لا فاعل ولا سلبي.
2. لا يكون طرفا في جهات الجدال.
3. لا يشارك في حرب ما، بتقديم مساعدة فاعلة لأي من المتقاتلين.
4. لا يكون في صف أي من الأطراف داعما ومانحا الأفضلية.

---

[1] https://aiic.net/mode/5/conference-interpreting/lang/1
[2] https://aiic.net/page/739/aiic-and-ethics/lang/1
[3] https://en.oxforddictionaries.com/definition/neutral
[17] Vice J.W, Neutrality, Justice, and Fairness, UCI Ombudsman: The Journal.

ومع ذلك يؤكد و. فايس أن: "الحياد ليس بالشيء الذي يعطى تعريفا واضحا وجوهريا. الحياد ليس ماهية؛ إنه غياب. إذ يجب علينا أن نرقص حوله بما يكفي من المرادفات والأمثلة حتى نتمكن من إدراك متى لا يكون حاضراً".[1]

وبعكس دور المترجم في الترجمة التحريرية، فإن موضوع دور الترجمان في عملية الترجمة قد هيمن على ميدان الترجمة الشفهية المجتمعية، والدراسات في هذا المجال المحدد قد ركزت على التصورات والتوقعات التي يرسمها مستعملو خدمات الترجمة الشفهية وممارسوها في رأي جاكبسن[2]. وتفسير هذه الوضعية بحسب لانغ (أن "التراجمة المجتمعيين غالباً ما هم مشاركون فاعلون في العملية"[3] على الرغم من أن الدور الرسمي الذي يناط بهم هو كونهم فاعلين سلبيين. وهذه النقطة من أهم النقاشات التي تدور حول مدى بروز الترجمان أثناء الموقف التواصلي.

ويمكن تلخيص أدوار الترجمان المجتمعي في أربعة رئيسية كما تحددها روي[4] في مؤلفها القيم: دور الناقل أو الدور اللساني؛ دور مسهل أو موضح التواصل؛ دور الوسيط الثنائي اللغة – الثنائي الثقافة أو الوسيط (السمسار) الثقافي، ودور المحامي/المرافع أو المعين.[5] ويمكن ببساطة استخلاص أن الحياد يمكن تحقيقه من خلال نموذج يحترم الدور الأول الذي يجعل من الترجمان مجرد آلة أو قناة تنقل الخطاب من لغة إلى لغة ثانية. "فنموذج الناقل يركز على الأمانة اللسانية وإعادة البناء التقنية للكلام المترجم شفهياً، مع إغفال أي اهتمامات أخرى".[6]

---

[1] Vice J.W, Neutrality, Justice, and Fairness, UCI Ombudsman: The Journal.

[2] Jacobsen Bente, The Community Interpreter: A Question of Role, *Hermes- Journal of Language and Communication Studies,* 42, 2009. P 155-166.

[3] Lang Ranier, Behavioral Aspects of Liaison Interpreters in Papua New Guinea: some Preliminary Observations, David Gerver and Wallace Sinaiko (eds) (1978), *Language Interaction and Communication*. New York/London: Plenum, 231-244.

[4] Roy Cynthia, The problem with definitions, descriptions and the role metaphors of interpreters, *Journal of Interpretation*, 6 (1), 127-154. 1993, Reprinted in Pöchhacker Franz and Miriam Schlesinger (eds) (2002), *The Interpreting Studies Reader*. London: Routledge: 345-353

[5] الوسيط/السمسار هي ترجمة للمفردة الانجليزية broker، وهي مرادف للمفردة mediator مع دلالات حافة أردنا الاشارة اليها.

[6] Clifford Andrew, Is Fidelity Ethical? : The Social Role of the HealthcareInterpreter1, TTR: traduction, terminologie, rédaction, Volume 17, Number 2, 2e semestre 2004. P 95.

ويرى ديريكر من جهته أنه: "في أبحاث الترجمة الشفوية المجتعية، تركز الكثير من الدراسات على مدى تأثير وساطة الترجمان في عملية التفاعل وعلى العلاقات بين المتحادثين المشتركين فيها، وكيف أنها تبوح وتمثل وتعيد إنتاج وتسترجع أحياناً فروق القوة بين الأفراد، تماماً كما بين الأفراد والمؤسسات أو المجتمع عموماً".[1]

ومع أن مدونات أخلاقيات المهنة، التي تعد القاعدة النظرية لمعايير ممارسة مهنة الترجمة الشفهية، تركز على ضرورة حياد الترجمان فإن الممارسة في الواقع قد لا تُظهر تلك الصورة الكاملة، فكما يصرح ميتزغر: "في النقاشات حول مسألة حياد الترجمان، ما يتشاركه التراجمة والعامة من أقاصيص توحي بأن التصور التقليدي لدور الترجمان بوصفه ناقلا محايدا للغة يتعارض مع تجارب الناس في واقع الحياة".[2]

وبين مؤكدٍ ضرورةَ غياب الترجمان كطرف فاعل أثناء العملية التواصلية، ومُدافعٍ عن حضوره تُورِد جيانغ (Jiang) أنه:" ما من توافق حول دور الترجمان في وضع ترجمي – وسيطي حقيقي وما من توافق حول الأسس التواصلية التي تحدد دور الترجمان الفردي في خضم هذين الرأيين المتعارضين ضمن سيناريو ترجمي حقيقي".[3]

لكن الأمر المؤكد أن هناك توجهات جديدة ومتنامية في مجال الترجمة الشفهية المجتمعية بوجه خاص ترافع بُغية الابتعاد عن الصورة النمطية للترجمان كما ترسمها مدونات أخلاقيات المهنة وتقبل الصورة الحقيقية للترجمان كما يفرضها الواقع والممارسة الفعلية للمهنة. وهو ما عبرت عنه روبرتس بالقول: "بقراءة متأنية مقتضبة للآراء المعبر عنها من قبل العديد من المؤلفين على مدى العشرية الفارطة، يُظهِر تراصفٌ مستمر من الحياد/عدم بروز الترجمان نحو

[1] Diriker Ebru, De-/re-contextualizing Conference Interpreting, Amesterdam and Philadelphia, John Benjamins, 2004. P 2.
[2] Metzger Melanie, *Sign Language Interpreting: Deconstructing the Myth of Neutrality.* Washington, DC: Gallaudet University Press, 1999. p 1.
[3] Jiang Lihua, From 'Community Interpreting' to 'Discourse Interpreting': Establishing Some Useful Parameters." *MuTra – LSP Translation Scenarios: Conference Proceedings*. 2007. p 312.

الانخراط المباشر لهذا الأخير باعتباره موفّقاً بين الأطراف، مع مواقف توسطية بين الأمرين تحيل بتنوع إلى المشاركة الفعالة، المساعدة، الوساطة الثقافية والمرافعة".[1]

وتجدر الاشارة إلى أن بانكروفت[2] قد خلصت في أشمل دراسة استقصائية أجريت حتى يومنا عن تلك المدونات إلى جملة من المفاهيم الأخلاقية والمعايير الجوهرية، من بينها ثلاثة تعد عالمية أو مبادئ أخلاقية واسعة الانتشار هي: السرية (التكتم)، الدقة و/أو التمام، والحياد. في حين علق بوشهاكر[3] من جانبه أن الكفاءة والنزاهة والسرية معايير متفق عليها قطعا، في حين أن الحياد والأمانة تشكل تعقيداً وجدلية في تمظهرها. ومسألة بروز الترجمان (visibility) من عدم بروزه (invisibility) خلال الفعل الترجمي من القضايا الجوهرية الأخرى المرتبطة بدور الترجمان التي تثير الجدل بين الباحثين في الدراسات الترجمية الشفهية الأخيرة.

بناء على ذلك وجب إلقاء نظرة على مفهوم الأمانة الذي يدرجه الكثيرون ضمن التوجه الأخلاقي في تحديد مبادئ ومعايير الترجمة الشفوية. مع ضرورة الإشارة إلى ما نتج عنه من خلط في مهنة الترجمة الشفوية بين مبادئ الأخلاق (codes of ethics) ومبادئ السلوك (codes of conduct) حيث يرى علي درويش[4] أنه لا بد من التمييز بينهما. فمعرفة الفرق بينهما تساعد الترجمان ومن يقوم بتقويم أدائه. والغاية من كليهما مساعدة الترجمان الممارس في أداء عمله بكل احتراف وأمانة ودقة ووعي وتجنب المواقف التي تعرض نزاهته أو سمعته وسمعة مهنته للخطر وتنظيم سلوكه المهني.

---

[1] Roberts Roda , Community Interpreting Today and Tomorrow. In P. Krawutschke (ed.) *Proceedings of the 35th Annual Conference of the American Translators Association*. Medford, NJ: Learned Information, 1994. P 127-138.

[2] Bancroft Marjory, The Interpreter's World Tour. An Environmental Scan of Standards of Practice for Interpreters. California.USA. The California Endowment. 2005. P 18

[3] Pöchhacker Franz, Routledge Encyclopedia of Interpreting Studies. London/ New York: Routledge. 2015. P 146.

[4] علي محمد الدرويش، **دليل الترجمان في مبادئ الترجمة الشفوية**، منشورات شركة رايتسكوب المحدودة، طبعة 2011/2003، ملبورن، أستراليا. ص 200-201.

الأمانة

يورد بوشهاكر[1] أن الأمانة والدقة بالاشتراك مع الاكتمال/التمام تتقدم في أدبيات دراسات الترجمة الشفهية بكونها ضوابط معيارية متفق عليها على نحو واسع، إذ يعتمدها العديد من الباحثين لقياس وتقدير أداء الترجمان. وفي واقع الأمر، يبدو حسبه أن غالبية المؤلفين الذين تعرضوا لمفهوم الأمانة استنسخوا المعتقد الأساسي الذي نادى به هاربرت أن "كل ترجمة شفهية ينبغي أن تنقل بأمانة وتمام أفكار المتحدث الأصلي".[2]

لقد بقي مفهوم الأمانة ضبابيا لزمن طويل، فيرى بعضهم أن الترجمة تكون أمينة للنص عندما تحترم المحتوى العام للنص المصدر، ويرى آخرون أن الأمانة للنص هي الترجمة الحرفية، أي ترجمة النص كلمة كلمة. ومما لا شك فيه أن الجدال الأزلي حول الأمانة الذي خيم على الدراسات في الترجمة عامة لعدة قرون انطلاقا من شيشرون، مروراً بسانت جيروم، ثم اتيان دولي وخواكيم دو بيلي في عصر النهضة، حتى زمن جورج مونان و"الخائنات الفاتنات"، كذلك ولتر بنجامين وصولاً بعدها إلى نظرية المعنى ومدرسة باريس، لم يهمش كلية في النقاشات النظرية المتقدمة في دراسات الترجمة الشفهية.

وبمقابل نماذج دور الترجمان الأربعة التي أشرنا إليها، طبعت الدراسات الترجمية أيضا بأربع مقاربات أخلاقية تتمثل في التمثيل، الخدمة، التواصل، احترام المعايير.[3] ويرى كليفورد أن المصطلح المفتاحي في المقاربة الأولى هو الأمانة (fidelity/faithfulness)، مع حضور بارز لمصطلحات مثل الدقة والتكافؤ؛ ولتحقيقها يمتنع الترجمان عن أي زيادة أو حذف أو تغيير في النص الأصلي.[4]

إن الأمانة والمصطلحات المرادفة لها في العديد من اللغات ترتبط ضمنياً بدلالات الثقة

---

[1] Pöchhacker Franz, Introducing Interpreting Studies. London/ New York: Routledge. 2004. P 141.
[2] Herbert Jean, The Interpreter's Handbook: How to Become a Conference Interpreter. Geneva. Georg. 1952. P 4.
[3] Pym Anthony, The return to ethics, special issue of the Translator 7, 2001. P 129-138.
[4] Clifford Andrew, Is Fidelity Ethical? (ibid). P 97.

والنزاهة وتستدعي أخلاقيات الترجمان ومهنيته في ممارسة وظيفته. على الرغم من أن المفردة 'Fidelity' من جهة أقل استعمالاً في الدراسات الترجمية باللغة الإنجليزية من مقابلها الفرنسي fidélité في المؤلفات باللغة الفرنسية حول الترجمة، ومن جهة ثانية تميل غالباً إلى الاحالة على مفهوم الدقة 'Accuracy'.

وتجدر الاشارة إلى أن أول ربط مفاهيمي بين الأمانة والدقة برز للوجود عندما استعملت سليسكوفيتش[1] في مطالبتها بضرورة "الدقة المطلقة" "total accuracy" كترجمة للعبارة "fidélité absolue" في ندائها الأصلي باللغة الفرنسية في مؤلفها "الترجمان في المؤتمرات الدولية L'Interprète dans les Conférences Internationales"[2].

وفي اعتقادي أن مصطلح الدقة بطابعه التقني وابتعاده عن الأخلاقي من الدلالات الحافة التي توحي بها مفردة الأمانة، يتناسب أكثر مع المقاربة الوظيفية التي مالت إليها الدراسات الترجمية الشفهية انطلاقاً من سنوات الثمانينيات، ولعله نوع من التحرر من موضوع الأمانة الذي سيطر على الكتابات في دراسات الترجمة التحريرية قبلها.

ومعتقد الأمانة (الذي يحيل على التمام والدقة) في الترجمة الشفهية يصب في صميم دور الترجمان ويظل المطلب المسلم به ضمنياً عالمياً على الرغم من أن المفردة بحد ذاتها تستعمل تصريحياً بشكل أقل في دراسات الترجمة الشفهية. وحينما أسست سليسكوفيتش نظرية المعنى أو النظرية التأويلية في الترجمة أكدت بحزم أن الترجمان ملزم بفهم المعنى والقبض عليه خارج حدود الكلمات ثم عليه أن يلبسه مفردات اللغة الثانية المنقول إليها، وهذا جوهر الأمانة من منظورها أي الأمانة للمعنى.

وعملية الترجمة حسب هذه النظرية تنقسم بشكل مبسط إلى ثلاث مراحل:

- **الفهم: Compréhension:** وهي مرحلة تتلخص في تأويل الخطاب في اللغة الأصل للإحاطة

[1] Seleskovitch Danica, Interpreting for International Conferences, Washington, DC. Pen and Booth, 1978. p 102

[2] Seleskovitch Danica, L'Interprète dans les Conférences Internationales : Problèmes de Langage et de Communication, Paris, Minard Lettres Modernes, 1968. P 166.

بالمعنى المراد تبليغه في اللغة الهدف.

- **الانسلاخ اللغوي: Déverbalisation:** وهي مرحلة تهدف إلى تحرير المعنى من البنيات اللغوية للنص الأصل حتى لا تتداخل مع بنى اللغة الهدف في النص المترجم.
- **إعادة التعبير: Réexpression:** وهي المرحلة الأخيرة في عملية الترجمة وتهدف إلى إعادة صياغة نفس المعنى مع احترام كامل لخصوصيات التعبير في اللغة الهدف.

أما دانيال جيل[1] الذي يعتبر أول من صك تسمية دراسات الترجمة الشفهية (Interpreting Studies) فيذهب إلى أن كل ترجمة شفهية ينبغي أن تكون أمينة للأصل من حيث الخطاب والأسلوب. على حين ينادي هاريس من جهته بصيغة "المتحدث الصادق" كمعيار للأمانة؛ وفي رأيه على الترجمان بوصفه ممثل المتحدث الأصلي "أن يعيد صياغة أفكار هذا المتحدث وطريقة التعبير عنها بأكبر دقة ممكنة ومن دون أي حذف يذكر".[2]

لقد أثارت التجربة التي قام بها جيل[3] حول المتغيرية في التصورات عن الأمانة الشكوك حول التراجمة أنفسهم وكيفية تصورهم للمفهوم. حيث لاحظ كيف أن مقاطع من الخطاب المترجم في اللغة الهدف قيدها بعض المشاركين في التجربة على أنها تحمل أخطاءً أو حذفاً، في حين لم يشر إليها البعض الآخر. وهو الأمر الذي جعله يتساءل عما إذا كان ذلك حدث سهواً أم أنه يُبرز الاختلاف في التقييم الناتج عن المعايير المتباينة في تحديد الأمانة.

وسواء أخذت الأمانة من منظور لساني بحت أو بمقاربة أخلاقية، إن هي استهدفت الكلمات أم المعنى، هل تكون للخطاب في شكله وعناصره النحوية أم للموقف ومستعملها أي الزبون الذي يترجم له، فإنها تظل زئبقية الطبيعة وتخضع لمعايير فردية في الأداء والتقييم على حد سواء، هي بحق غاية طوباوية يسعى كل ترجمان إلى بلوغها احتراماً لمبادئ أخلاقيات المهنة والاحترافية في

[1] Gile Daniel, Basic Theoretical components for Interpreter's and Translators Training. (in) Dollerup, C. and Loddegaard, A. (eds) (1992). Teaching Translation and Interpreting. Amesterdam and Philadelphia. John Benjamins Publishing Company, 1992. P 189.
[2] Harris Brian, "Norms in Interpretation", *Target* 2 (1). 1990. P 118.
[3] Gile Daniel, Variability in the perception of fidelity in simultaneous interpretation, Hermes, Journal of Linguistics no. 22 – 1999. P 51-68.

أداء مهمته. فأمانة الترجمان في وساطته اللسانية الثقافية تخوله لاتخاذ القرارات الفردية النهائية حول حدود حياده أثناء نقله لأفكار وانطباعات مُستخدِمِه المهاجر أو المريض أو المتابع قضائياً بوجهٍ خاص، الذي يعتمد عليه كلية في مواقف حقيقية قد ترهن مستقبله وحياته. ولعل طبيعة الأمانة تلك هي ما تجعل منها ظاهرة مفتوحة للنقاش الدائم وتصبغها بطابع جدلي لم يتم حتى يومنا الفصلُ في أحقية أسس أو معايير محددة على حساب أخرى.

برنار سابلونييير: الإبداعية، والموسيقا، والسعادة[1]

ترجمة: د. محمد أحمد طجو
جامعة الملك سعود
السعودية

"**ليست الإبداعية سوى ربط الأشياء بعضها ببعض**"
ستيف جوبز

تنتج الإبداعية، إبداعية الفنان الرسام أو إبداعية عبقرية المؤلف الموسيقي، عن خليط فعال من قدرات ذهنية عدة. وتنشأ عن تأثير موهبة فطرية تمارس منذ التعلم الأولي، وتثيرها الخبرة المكتسبة أثناء الممارسة المتكررة والمتواترة. كيف يمكن والحال هذه تفسير الإبداعية الحيوية التي تظهر في منتصف حياة شخص من دون موهبة ظاهرة؟ لقد قارن فريق داليا زيدل من جامعة لوس أنجلوس أداء العديد من الفنانين الذين طوروا قدرة إبداعية بعد ظهور أمراض دماغية، مثل حادث وعائي أو خرف. ولوحظ آنذاك تجديد مفاجئ في قدرتهم الإبداعية في مجالات الكتابة والرسم أو النحت، يتيح لهم غالبا توضيح شكل جديد من التواصل والانفعالية و/أو القدرة الحركية. وتعتقد داليا زيدل وفريقها أن الفص الجبهي لدى هؤلاء الأشخاص يطور استراتيجية بقاء وتكيف على أثر إعاقة (فقدان الحركة، حبسة عصابية، صمم...) باعتبارها حافزا بيولوجيا عفويا ينبغي تجديده للتكيف بشكل أفضل مع البيئة.

إن العبقرية المبدعة لا تنزل أبداً من السماء، ولا تأتي من أي مكان. وتقوم على حل مشكلة

[1] هذه ترجمة للفصل السابع من كتاب *مناطق الدماغ الجديدة Nouveaux territoire du cerveau* بقلم برنار سابلونييير Bernard Sablonièrre الصادر عن دار النشر أوديل جاكوب Odile Jacobe في عام 2016.

لا بإضافة معلومات جديدة، وإنما بإعادة الربط بين معلومات سبق ترسيخها في الذاكرة بشكل مختلف. ومع ذلك، يمكن أن تتجلى أيضاً من خلال التعبير الحاد عن موهبة، أو عن قدرة ذهنية متطورة جداً، مثل المنطق الرياضي، أو أن تنتج عن تكرار مهمة أو حركة ينشط بصمة دماغية، كما في حالة النابغين في الموسيقا.

عباقرة الأعداد

إن الذكاء الرياضي والمنطقي ليس فقط نتيجة نشوء شبكات وصلات أكثر امتداداً وإنما أيضاً نتيجة تنشيط أكثر نجاعة لمناطق دماغية عدة. وقد خُصِّصت دراسات في التصوير الدماغي لكشف هذا السر: ما الذي يجعل الشخص عبقرياً؟

تتيح الذاكرة العاملة، كما سبق أن رأينا، حفظ ما يعادل 7 معلومات سريعة (أرقام أو كلمات) بسرعة كبيرة، مثل رقم هاتف أو عنوان بريدي دقيق. ويمكن للعبقري أن يحفظ فوراً 11 رقماً وأن يتذكرها بطريقة فعالة. ويلاحظ لدى الأشخاص العاديين ولدى العبقري تنشيط للمناطق البصرية، يثبت تصوراً فورياً ومجازياً مقترناً بالأرقام المراد حفظها. فالقدرة على السيطرة على الأرقام بالنسبة إلى حساب أكثر تعقيداً، كما في حل عملية ضرب عددين من رقمين، تنشط شبكة جبهية تمتد حتى الفص الجداري. ويلاحظ لدى العبقري فقط تنشيط إضافي لمناطق أخرى من الدماغ مسؤولة عن الذاكرة العرضية: القشرة الجبهية المتوسطة اليمنى، والفص المجاور للحصين، والقشرة الحزامية اليمنى.

يقدم ذلك دليلاً على أن الدماغ بكثرة التمرين والتدريب يستعمل ذاكرته العرضية الطويلة المدى كذاكرة عاملة يمكن الوصول إليها فوراً لِاستعادة معلومات محفوظة معقدة وجمعها في زمن قياسي.

هل ترتبط العبقرية بموهبة فطرية؟

زعم عالم النفس الأمريكي ك. أندرس إريكسون في التسعينيات أن العباقرة يطورون بفضل

ممارسة مركزة، بدلاً من استعمال ذاكرتهم القصيرة المدى، شبكاتٍ منظمةً لترميزٍ سريع للعناصر التي تم ترسيخها في الذاكرة الطويلة المدى. ويستعيدون بفعالية كل معلومة جديدة مرتبطة بمجال خبرتهم. وبعبارة أخرى، إنهم يتغلبون على حدود الذاكرة القصيرة المدى باستعمال ذاكرتهم الطويلة المدى.

استعمل بريان بيوتروورث أستاذ علم البيولوجيا العصبية في جامعة لندن تقنية الرسم الطبقي بإصدار البوزيترونات الذي يطبق في تطوير الدماغ، لمقارنة التنشيط الدماغي لحاسب خبير بتنشيط 6 أشخاص موهوبين طبيعياً في الحساب الذهني. وتشير النتائج إلى أن العباقرة في الحساب يستعملون شبكات تخزين طويلة المدى لحفظ معلومات بشكل سريع. ويطورون، بفضل التمرين الطويل والمتكرر، شبكة واسعة جداً من العصبونات لتشغيل ذاكرتهم العاملة. ويتوافق التنشيط الملاحظ في القشرة الجبهة والصدغية والحزامية الأمامية اليمنى مع الترميز وذاكرة الاسترجاع، أو القدرة على استعادة معلومة تم تعلمها في وقت سابق. وفضلاً على ذلك، تشارك القشرة الحزامية الأمامية في اكتشاف الأخطاء والصراع بين إجابات متنافسة. وتقوم بدور منظم للعمليات المعرفية يُظهر تأقلم السلوك مع مواقف معقدة. ويترجم ذلك بقدرة الخبير في الحساب على اكتشاف أخطائه العرضية وتصويبها فوراً.

إن البِنى الصدغية الوسطى اليمنى، مثل الحصين والمناطق القريبة، مسؤولة عن الجوانب البصرية – المكانية للذاكرة العرضية؛ فالمنطقة الصدغية اليمنى تتكفل بتخزين المعلومات والمحافظة عليها لأجلٍ طويل. فالعبقري يربط إذن مشاركة الذاكرة العاملة قصيرة المدى (البصرية – المكانية) والذاكرة العاملة طويلة المدى.

أداء العباقرة في الحساب

إن روديجر غام هو أحد هؤلاء "العباقرة في الحساب"، القادرين ذهنياً على تحقيق حسابات معقدة، وبسرعة كبيرة جداً، ومن دون جهد كبير ظاهرياً. فهذا الشاب الألماني يستطيع أن يرفع جميع الأعداد من رقمين إلى القوة من الدرجة 15، وأن يضرب أعداداً

من رقمين أو ثلاثة أرقام بعضَها ببعض، وأن يحسب قيم الجيوب sinus والجذور أو تقسيم عددين أوليين أحدهما على الآخر. ويستطيع أيضاً أن يعطي، فيما يخصُّ أي تاريخ ماض أو قادم، اليوم المقابل من الأسبوع.

يملك روديجر غام ذاكرة قصيرة المدى، واسعة بالنسبة إلى الأعداد. وهو قادر على تذكر 11 رقماً أعطيت له بالترتيب وبالعكس، في حين أن الأشخاص الذين ليست لديهم خبرة لا يتذكرون سوى 7 أرقام بالترتيب و5 أرقام بالعكس. وهذه القدرة لا تنطبق مع ذلك على الحروف أو المواقع المكانية، وإنما على الأعداد فقط. وأخيراً، لقد حفظ روديجر غام عدداً كبيراً من المعلومات الرقمية: إنه يعرف عن ظهر قلب كل قوى الأعداد المكونة من رقمين، ويستطيع أن يقولها في أقل من دقيقة واحدة. فهذا العبقري هو إذن مثال جيد على الطريقة التي تنشط بها ذاكرة الأعداد المجلية جداً هذه القدرة العبقرية.

ما الذي يحدث في دماغ موهوب في الرياضيات؟ لاحظ المختصون في علم النفس العصبي الذين يجرون روائز الذكاء منذ 1990 لدى هؤلاء الأشخاص زيادة الأداء في الحل السريع للمشكلات، وقدرة ممتازة على استعمال المفاهيم، وذاكرة عاملة جيدة جداً. وقد أوضح التصوير زيادة الشبكات العصبونية المسؤولة عن الذاكرة العاملة في جانبي الدماغ، تشير إلى احتمال وجود اتصالية دماغية أعلى من المتوسط.

حلل فريق مانويل ديسكو من جامعة مدريد في عام 2014 كثافة الألياف العصبية بالتصوير الرنيني المغنطيسي لدماغ مجموعة من اليافعين كان نصفهم موهوبا في الرياضيات. لوحظ آنذاك ارتفاع عدد الوصلات بين نصفي الدماغ لدى الموهوبين بفضل كثافة ألياف الجسم الجاسئ، وهو منطقة من الدماغ تربط الجانبين الأيمن والأيسر، يمر عبرها نحو 300 مليون ليف عصبي. وفضلاً على ذلك، سجل مانويل ديسكو زيادة كثافة الوصلات العصبية بين الفص الجبهي المسؤول عن الذاكرة العاملة والذكاء والفص الجداري المسؤول عن الذاكرة البصرية – المكانية.

يرى هذا العالم المختص في البيولوجيا العصبية أن أفضل قدرات الذاكرة المقترنة بزيادة سهولة استعمال المفاهيم مرتبطةٌ مباشرة باتصالية عالية لفصوص الدماغ الرئيسة في ما بينها.

يملك الموهوبون في الحساب أداء ممتازاً في "ذكائهم السائل" أي في الإدراك السريع للعلاقات بين المعلومات المجردة، وفي ذاكرتهم العاملة، وفي استعدادهم لتصوير المعلومات الرقمية المعقدة ذهنياً. فذاكرتهم العاملة تساعدهم على الاستعمال السريع للمعلومة بهدف حل مشكلة، وتمنحهم قدرتُهم على التصوير الذهني القدرةَ على توضيح معلومات متعددة لبناء الحل وفهمها.

الدماغ المبدع: الدماغ الأيمن والدماغ الأيسر

ليس الإبداع قدرة على التخيل وإنما إنتاج عمل أصيل، وجديد، وفريد. ففرضية وظيفة دماغية مسؤولة عن الموهبة الفنية والقدرة الإبداعية جاءت نتيجة ملاحظة مرضى أجريت لهم عمليات في الستينيات من القرن العشرين، لا سيما على أيدي فريق روجر سبري[1] في كاليفورنيا.

كان هذا الجراح يجري عملية في الدماغ تسمى بضع الصوار[2]، وتقوم على إجراء شق من بضعة مليمترات في مسار الألياف العصبية التي تربط الدماغ الأيمن بالدماغ الأيسر. وكانت هذه العملية تستعمل آنذاك لمعالجة مرضى الصرع، بهدف الحد من انتقال النوبات من طرف من الدماغ إلى الطرف الآخر. وقد قادت الملاحظات العديدة لنتائج هذه العمليات على القدرات الذهنية والمعرفية روجر سبري إلى الدفاع عن فكرة دماغ أيمن تختلف قدراته عن الدماغ الأيسر. ويستعمل الدماغ الأيسر تفضيلياً القدرات اللغوية والحسابية، على حين يطور الدماغ الأيمن

---

[1] روجر سبيري هو عالم أعصاب ونفس عصبي أمريكي (20 أغسطس 1913 - 17 أبريل 1994) حاز جائزة نوبل في الطب عام1981 مشاركة مع تورستن فيزل وديفيد هوبل لعمله في مجال بحث انقسام الدماغ. (المترجم)

[2] بضع الصوار commissurotomie هو شق جراحي للصوار في الجسم، مثل ذلك الشق الذي يحدث في القلب في أطراف الصوار المُكوّن بواسطة الصمامات القلبية أو الشق الذي يُجرى في المخ لمعالجة مرض عقلي معين. في بعض الأحيان، يحتاج مرضى تصلب الجلد، وهو مرض يثخن ويصلب الجلد، إلى بضع صوار فمي لفتح زوايا الفم، أي الصواري، للسماح بإمكانية المعالجة السنية. وتترك هذه العمليات في الغالب ندوبًا مميزة. (المترجم)

قدرات التجريد، والإدراك البصري – المكاني، ويتدخل في القدرة الإبداعية.

يرى عالم النفس الكندي فينود غول أن إنجاز عمل فريد هو ثمرة قدرة الدماغ البشري على حل مشكلة يجعل تفاعل الدماغ الجبهي الأيمن والأيسر فعالاً جداً. ويقترح نموذجاً معرفياً للقدرة الإبداعية التي تبنى وفقاً لأربع مراحل رئيسة:

– يضع المبدع لنفسه هدفا، ورؤية واضحة لما يريد إبداعه؛

– يتصور حلولا تمهيدية مجازية وغامضة في هذه المرحلة؛

– يكون فكرة دقيقة عن إبداعه؛

– يزين إنجاز هذه الفكرة وينهيها.

ويعتبر فينود غول أن دماغ العبقري المبدع مرتبط بصراع تخصص وظائف الفص قبل الجبهي الأيمن والفص قبل الجبهي الأيسر. ويسهل هذه الصراع تفاعلهما، ويفسر مختلف المراحل الذهنية للإنتاج الإبداعي. فَعَلَى حين يبقى الدماغ الأيمن تجريدياً وتصورياً ومنفصلاً عن الواقع، يعقلن الدماغ الأيسر التفاصيل التي يجيد ربطها بالعالم الواقعي ويدركها. ويحاول كل جانب الهيمنة على الآخر، وبوجهٍ عام، يكون المنتصر هو الدماغ الأيسر، وهذا الأمر يؤدي إلى حَيرة في مواجهة المشكلات المراد حلها، وإلى تردد وصعوبة في الإحاطة بالتفاصيل.

يرى هرمان فون هيلمولتز، وهو ألماني مختص في علم وظائف الأعضاء، أن المراحل الأربع هذه تتصف بالتحضير، والحضانة (الكمون أو الاختمار incubation)، والإشراق أو الإلهام، والتحقيق أو التنفيذ. ففي المرحلة الأولى يتدخل الطموح المبدع، المستنير بقوة بالمعارف التي يملكها الشخص، وكفاءاته الخاصة، والمصادر التي بحوزته لتنمية طموحاته. وتتداخل خلال المرحلة الثانية العديد من الأفكار المجردة التي ستكون مفيدة في بناء تصور العمل المراد إنجازه. وتبقى هذه الأفكار مبهمة لا بل غامضة، وتستعمل تنشيط القشرة الجبهية الجانبية اليمنى. وتهيمن القشرة الجبهية اليسرى خلال المرحلة الثالثة، وتتيح للشخص تمثل صورة محددة ذهنياً، وواضحة، وغير غامضة لما يريد إنجازه؛ ففي هذه المرحلة يصرخ قائلاً "وجدتها". وأخيراً، يأمر

الدماغ قبل الجبهي دماغ القرار والفعل، ويخلق الفنان عمله بكل تفاصيله.

لقد تم التحقق من هذه الملاحظات باستعمال جهاز التصوير بالرنين المغنطيسي وتحليل صور دماغ موسيقي يؤلف قطعة موسيقية. وقد لوحظ فيه تنشيط كبير للفص قبل الجبهي الأيمن. ويرى فريق ناما مايزليس من جامعة حيفا أن الدماغ أمام الجبهي الأيمن هو مقر الأصالة والتفكير المتضارب، أي القدرة على تبني عدة حلول في مواجهة موقف معين.

إن الحماسة المراد استكشافها ومعرفتها وفهمها، والقدرة على إدراك الجديد وغير المتوقع إدراكاً أفضل، ترتبطان على وجه الخصوص بتنشيط دارة المكافأة التي تتطلب تأثير الدوبامين. وإن الرغبة في الاستكشاف أو بالأحرى الاهتمام بعدة معلومات خارجية تثير في الدماغ آلية مكافأة داخلية. وتقلل هذه الآلية من التردد المتعلق بالحدوث الفجائي لأحداث غير مرغوبة، ويعزز فرصة النجاح في تحقيق الهدف النهائي المتوخى والمرغوب. وقد درست بترا سوينجنشوه عالمة الأعصاب في جامعة غراتس Graz النمساوية القدرات الإبداعية لمرضى في بداية مرض باركنسون، كانوا يظهرون منذ سنوات عدة موهبتَهم في الرسم. ولاحظت أن بعض أولئك الفنانين كانوا يغيرون تدريجياً من سلوكهم بالعلاج بالأدوية المنشطة للإفراز الدماغي للدوبامين. وقد أصبح نشاطهم الإبداعي زاخراً، وجامحاً أو قهرياً أحياناً.

جين الإبداعية؟

يرى علماء النفس أن الإبداعية تقوم على القدرة على حل مشكلة بتقديم حلول متعددة. ويستعمل الدماغ عندئذ التفكير المتضارب الذي يبرهن على ثلاث قدرات معرفية: الطلاقة الإبداعية، والمرونة، والأصالة. وقد برهن علماء البيولوجيا العصبية على نحوٍ جيد على تأثير هرمون الدوبامين على القدرة الإبداعية. يؤثر الدوبامين في مستقبلاته فينشطها، ومنها الجين المسمى DRD4 الذي يقوم بدور حاسم في سلوكيات الفضول والمبادرة والإبداعية. وبرهن فريق ناما مايزليس على أن المتغير 7R للجين DRD4 الذي يحمله نحو 25% من الأشخاص مقترن بسلوك أكثر انجذاباً للجديد، ولكن

أيضاً بقدرة إبداعية أكثر سهولة. وتدل هذه الملاحظات على تأثير الدوبامين في تحفيز الشبكات العصبونية المشاركة في التفكير المتضارب، والاستعداد لتقديم أفكار جديدة ومرونة معرفية أفضل.

العصبونات التي تصنعها الأصوات

إن العزف على آلة موسيقية هو أحد التمارين الأكثر تأثيراً في قدرة الدماغ على التكيف مع البيئة. وكما سبق أن رأينا، تساعد اللدونة الدماغ على التعلم واكتساب معارف وحركات يؤدي تكرارها – وهو مرحلة تميز التعلم – إلى تعديل نمو الوصلات العصبية. ينتج عن ذلك، أفضل تكيف للدماغ في ممارسة التمرين.

تحفز الموسيقا مناطق دماغية عدة مسؤولة عن الإدراك الحواسي. وتتطلب قدرة معرفية ممتازة وكفاءة تجريدية، مرتبطتين بإتقان السلم الموسيقي. وأخيرا، تحتاج إلى تنسيق وثيق بين الإدراك الحواسي والتمرين الحركي، وذلك باستعمال الذراعين والأصابع، لا بل القدمين. إن العزف المتواصل والمنتظم على آلة موسيقية يحفز تخلق النسيج العصبي في المناطق السمعية والحركية.

ولكن لماذا تُدخل الموسيقا السرور (في قلوبنا) وتحفز انفعالاتنا؟ إن الاستماع للحن يدخل السرور بتنشيطه الدارة الدماغية للمكافأة. ومع ذلك لا يرتبط الشعور بهذا السرور بِسَدِّ حاجة حيوية مثل الشهية إلى الطعام أو الرغبة في الجنس. فما هو سبب تقدير الدماغ البشري للأصوات وللموسيقا منذ نحو 50 ألف سنة؟ تعبر الأصوات غير المنتظمة، لدى أنواع عدة من القرود والثدييات، عن ظاهرة طبيعية: حفيف الأشجار أو صوت أمواج البحر. وأما الأصوات المنتظمة التي تصدر بنغميات متغيرة مثل شقشقة العصافير فإنها تعبر عن شكل من التواصل بين الحيوانات. برهنت ملاحظة قردة المرموسيت marmousets أنها كانت قليلة التأثر بتغيرات نغمات لحن موسيقي يقل عن مجموعة من ثماني وحدات ونصف.

وبالمقابل، يميز الإنسان بسهولة الفرق بين الموسيقا السارة واللحن النشاز. وترتبط هذه الميزة بنمو القشرة قبل الجبهية وقدرتها على اكتساب ذاكرة عاملة تتعلق بالأصوات والموسيقا. وقد طور الإنسان نتيجة قدراته اللغوية ذاكرة فورية للأصوات، وضرورية لفهم معنى جملة يسمعها. وراكم بعد ذلك خبرات، وحفظ العديد من الألحان في ذاكرته الشخصية، ومعرفة للعالم الذي يحيط به في الذاكرة الدلالية. إن الاستماع لموسيقا سارة يطلق شعوراً بالسرور المعرفي، يختلف عن الشعور بِسَدِّ حاجة حيوية (العطش، الجوع). يرى علماء البيولوجيا العصبية أن سَدِّ هذه الحاجة يؤدي إلى شعور بالسرور لا يقترن بحاجة حيوية، وهذا الأمر يفسر على الأرجح غياب الإدمان المرضي على الموسيقا.

الرعشة الموسيقية والأثر العلاجي للموسيقى

إذا كانت الموسيقا تهذب الأخلاق فإن لها تأثيرات عدة على الدماغ. وليس العلاج بالموسيقا فكرة حديثة، إذ إن الفيلسوف يامبليخوس[1] ذكر أن فيثاغورث كان "ينقل النفس من حالة إلى عكسها بفضل ألحان مناسبة". ويرى كثير من علماء النفس أن الموسيقا سرور مفهومي لأنها لا تشبع أية رغبة أولية. ولا تتكشف هذه الجمالية إلا عندما ندرس كل نتائج الاستماع إلى نغمة أو إلى لحن تنشده جوقة موسيقية.

تسهل الموسيقا في الواقع التواصل الاجتماعي وتنطوي على العديد من الإمكانيات العلاجية. فعزف الموسيقا يعني التبادل، سواء في إطار الأوركسترا، أو بالعزف المنفرد. وتسهل الموسيقا ما

[1] يامبليخوس (245–325م)، عرف أيضاً بيامبليخوس الخلقيسي أوالقنسريني حيث مدينة خلقيس اليوم هي قنسرين Iamblichus Chalcidensis أو يامبليخوس الأفامي بسبب سكناه في أفاميا (المدينة الأثرية السورية، التي تقع في وسط سهل الغاب على بعد 55 كم شمال غربي مدينة حماة، والتي يقع إلى جوارها حصن قديم حمل اسمها ويعرف اليوم باسم قلعة المضيق) ونشاطه الثقافي فيها، أما لفظ يامبليخوس باللغة اليونانية فليس إلا تحريفاً لاسمه الآرامي السوري القديم (يا ملكو) أي "هو الملك"، كان يامبليخوس فيلسوفاً ورياضياً سوريا ومن المؤسسين لمذهب الأفلاطونية المحدثة. (المترجم)

يطلق عليه علماء النفس اسم التعاطف المشترك copathie، وهو شكل من المشاركة العفوية من دون اللجوء إلى الكلام، لعاطفة مهدئة، أو مزيلة للكرب ومهدئة للأصحاب.

وتنظم الموسيقا الانفعالات، وتقوم بدور مهم في التطور المعرفي، لا سيما لدى الطفل. فالرقص أو العزف يسهل تنسيق الحركات، ويقوي اللحمة الاجتماعية، ويعزز المشاركة والثقة في الآخر.

يحاول علماء البيولوجيا العصبية الذين لديهم فضول لمعرفة تأثيرات الموسيقا على الدماغ فهم ما يلي: ما هو مصدر رعشتنا لدى سماع بعض الألحان؟ هل هو رد فعل منعكس؟ وهل هو نتيجة للشعور؟ إنهم يستعملون، لملاحظة ذلك، التصوير بالرنين المغنطيسي IRM (أو تقنية التصوير بإصدار البوزيترونات، وهي تقنية لتصوير الدماغ). تنشط عندئذ بقوة منطقة من الدماغ تقع في الجسم المخطط striatum، وهذا الأمر يؤدي إلى إطلاق الدوبامين. وتنشط هذه المنطقة من الدماغ بالطريقة نفسها عندما نشرب الماء بعد عطش شديد، وبعد أكل الشوكولا، وخلال العلاقة الجنسية، أو أثناء تعاطي المخدر. فإطلاق الدوبامين الذي ينشط الدماغ الانفعالي يصاحبه وفقاً للأفراد إحساس بالسرور، وبالفرح الشديد، لا بل بالسعادة.

يثبت التصوير بالرنين المغنطيسي تنشيط الجزيرة Insulat والقشرة الحزامية. فهاتان المنطقتان القادرتان على فك شفرة الإدراكات الحواسية تقومان بمزامنة استجابات الدماغ التي تترجم بعدئذ في الوعي بشعور بالسرور مع مختلف أوجه التعبير: حركية (التصفيق باليدين)، وبدنية (الشعور بالرعشة، التعرق)، وذاتية (الشعور بحالة جيدة، والتعبير عن السرور). ويبرهن الباحثون على أن هذا الشعور بالسرور بني انطلاقاً من تجارب موسيقية خاصة ومعرفية، وقدرات على الاستماع والانتباه، وأنه لا يمكن بأي حال أن يرتبط برد فعل منعكس.

يبين ستيفان كولش من جامعة برلين بفضل التصوير بالرنين المغنطيسي الدارات التي تنشط إدراك انفعالي كهذا. فعندما قارن استجابات الدماغ لاستماع موسيقا منغمة وسارة بالاستماع للحن نشاز وغير سار، لاحظ في الحالة الأولى تنشيطاً قوياً لدارة السرور، لا سيما تنشيط الجزيرة الذي يعبر عن الشعور بالسرور، ويمتد إلى اللوزة التي تقيم بدورها التكافؤ السار للعاطفة وتنبه القشرة

الحجاجية الجبهية orbito-frontal التي تترجم للوعي بأن "الشعور جيد". وإن كان إدراك الموسيقا باعتبارها غير سارة فإن الجزيرة لا تنشط.

عندما يشعرنا الكمان بالقشعريرة

إن الاستماع للحنٍ ذي نغمات متغيرة جداً وغنية بالتوافقيات يمكن أن يطلق غالباً انفعالاً قوياً يشبه رعشة في الظهر أو إحساساً بالقشعريرة إن بدا لنا ممتعاً جداً. وقد فحص فريق روبير زاتور من جامعة McGill في كندا تأثير مثل هذا الانفعال بمسح الدماغ بتقنية التصوير بالرنين، وحاول تحديد الآلية الدماغية للرعشة الموسيقية.

إن تجربة السرور القصيرة ناجمة عن إطلاق الإندورفينات endorphines، وهي أحد المفاتيح الكيميائية للسرور. وترتبط هذه التجربة بتنشيط الجسم المخطط striatum والفص الصدغي الداخلي والفص الجبهي. وبعبارة أخرى، إن الموسيقا تسرنا لأنها تنشط دارة المكافأة.

تستعمل منذ سنوات كل فوائد الموسيقا هذه في معالجة مختلف أمراض الدماغ أو صدماته، لاسيما من أجل مرضى تعرضوا لحادث وعائي دماغي وأطفال مصابين بالاضطرابات اللغوية مثل عسر القراءة والفهم dyslexie. ويسرد البروفسور إيمانويل بيغان من جامعة ديجون قصة سيدة أصيبت بالبكم نتيجة مثل هذا الحادث الوعائي ولم يعد لديها أية رغبة في التواصل. قام الفريق المعالج بإسماعها أغنية شارل ترنيه "الوردة الزرقاء". وقد رددت السيدة خلال بضع دقائق لازمة الأغنية وغنتها مع الآخرين، مستعيدة بذلك اللغة. إن هذه القدرة المعرفية للموسيقا أكثر مقاومة للإصابات الدماغية من القدرات الأخرى، مثل الذاكرة. ففي حالة آفة نصف الدماغ الأيسر المرتبط باللغة، يمكن للموسيقا التي تثير شبكة دماغية واسعة يطلقها الانفعال أن تنقل تنشيط الشبكات المسؤولة عن اللغة إلى نصف الدماغ الأيمن.

ثمة مثال آخر على إعادة التمرين العصبي تتعلق بالاضطرابات الحركية، لا سيما عدم رشاقة الأصابع وصعوبات التنسيق الحركي لأصابع اليد اليمنى بعد إصابة بالفالج الشقي

hémiplégie. إن ممارسة العزف على البيانو في هذه الحالة، بالنسبة إلى لحن من السهل جداً عزفُه، وحتى من دون قراءة الألحان، تطلق إعادة تنظيم للقشرة الحركية المتضررة. وإن تنبيه القشرة السمعية ينشط شبكات خاصة متناسقة بقوة مع القشرة الحركية، ومختلفة عن تلك التي تستعمل في تمارين التحكم الإرادي للأصابع واليدين البسيطة. ففائدة هذه الممارسة تكمن في عوامل عدة تعمل في آن واحد، مثل تكرار الحركات، ودقتها، لا سيما اقترانها مع الصوت، وارتباطها بمنبه عاطفي أو تعليلي. فبعد تعلمٍ مدةَ أربعة أسابيع، يلاحظ الباحثون تعزيزاً للوصلات العصبونية بين المناطق السمعية والمناطق الحواسية الحركية للأصابع. ويلاحظ أيضاً أهمية الإيقاع لمعالجة الاضطرابات اللغوية مثل عسر القراءة والفهم لدى الطفل. وبذلك، تساهم الموسيقا بقوة في إعادة تنظيم الدارات العصبونية وفي تحفيز اللدونة وترميم شبكات العصبونات التي أصيبت بآفات.

ممارسة الموسيقا

لاحظ المختصون في التصوير تغيرات مرئية في الدماغ لدى متوسطي السن الذين يمارسون نشاطاً موسيقياً. وهكذا، إن عدد الوصلات بين نصفي الدماغ يزداد بعد بضعة أسابيع من ممارسة متصلة ومنتظمة للعزف على آلة موسيقية. وتساعد هذه الممارسة على تشكيل احتياطي معرفي، أي إنها تطور وصلات بعيدة المدى بين القشرة السمعية والقشرة الصدغية والقشرة الحركية، وهي عادة أضعف لدى الذين لا يمارسون الموسيقا. تبدأ بالعمل عندئذ استراتيجيات تعويضية في الدماغ فتجعل عمله المعرفي الشامل في صورته المثلى. وهذا ما تدافع عنه أعمال برندا حنا- بليدي من جامعة كنساس في عام 2011. فالموسيقيون يحصلون على أفضل النتائج في الاختبارات المعرفية. وفضلاً على ذلك، يعتبر أداء الموسيقيين المحترفين الذين تجاوزوا سن 70 سنة في هذه الاختبارات أفضل من أداء الموسيقيين الهواة الذين ينجحون بشكل أفضل في هذه الاختبارات من الذين ليست لديهم أية ممارسة موسيقية.

لا يمكن أن تزيل الموسيقا آثار مرض دماغي. ولكنها تسهل مع ذلك، من خلال فاعليتها في تحسين الوصلات بين مناطق دماغية عدة سواء في نصف الدماغ نفسه أو بين النصفين، استراتيجيات إعادة تنظيم دارات القشرة، وهو أمر يبدو مفيداً جداً لتعويض وظيفة دارة تالفة في الذاكرة، على سبيل المثال أثناء الشيخوخة. وكما سنرى في الفصل التالي، ينبغي تمرين الدماغ باستمرار لتحفيز قدراته على إعادة التنظيم والتكيف.

تنظير الترجمة

جاكلين غيمان فلِشر
ترجمة: **د. عادل داود**
جامعة البعث – سورية

اتّسم التفكر في الترجمة قروناً عديدة – وإلى حد معين حتى يومنا هذا – بثنائيات متعارضة، من نحو: اللغة المصدر/اللغة الهدف، والنص الأصلي/النص المترجَم، والحرفية/الترجمة الحرة، وترجمة الحرف/ترجمة روح النص. وهذه الأقطاب –كما تبيّن المصطلحات– ليست تماماً من الفئة ذاتها؛ إذ تبقى ظاهرةُ التوجه نحو النص المصدر أو النص المترجَم مركزيةً، وذلك مع وجود بعض التدرج فيها. ويلاحَظ – في كل عصر – تواتر هذين التيارين في المواقف الفردية والمواقف الجماعية على حد سواء. فيبدو أن عاملين قد أدّيا دوراً حاسماً في هذا الجدل. ويخص العامل الأول العلاقة بين النظرية والتطبيق؛ إذ كان المترجمون يعللون خياراتهم المتخذة في الترجمة العملية بصورة لاحقة، ويُنشئون نظريةً من المبادئ التي سوغت الحلول المنتقاة، فعُبِّر عن هذه المواقف بشكل رسائل جدلية أو توطئة تفتتح العمل المترجَم. أما العامل الثاني فيرتبط بطبيعة النصوص المترجَمة التي كانت تغذي هذا التفكر؛ فاقتصر الأمر على الإنجيل، من ناحية؛ وعلى الأدب – والشعر بوجه خاص – من ناحية أخرى.

قبل القرن التاسع عشر

يعود أصل الجدل إلى العصور القديمة، فإن كان تفضيل اللغة المصدر أو اللغة الهدف همّاً شاغلاً وثابتاً منذ تلك العصور، فالمسوغات الضمنية بعيدة مع ذلك عن التوحد في محتواها. وقد

أدّى (شيشرون) دور الملقن الأول، وذلك على نحو مزدوج؛ فهو أول من عبّر عن مواقفه بشأن نشاط الترجمة، وفتح بموازاة ذلك نقاشاً عن القطب الواجب تفضيله. وكان ينوي في الواقع "لَتَنَنَة" النصوص الإغريقية. فترجَمت غايته – السياسية والثقافية في آن واحد – الانصراف إلى تأكيد التفوق الروماني. ثم إنه أظهر في المنحى اللغوي وعياً شديداً لعدم تجانس اللغات؛ فليس ممكناً أن يُستبعَد احتمال إسهام هذا العامل بدور في الموقف المُتبنّى. غير أن مناصري النص الأصلي تارة، ومناصري النص المترجَم تارة أخرى، ردّدوا شعاره المشهور: «ترجمة المعنى بالمعنى، لا الكلمة بالكلمة». فلمّا كانت الفحوى الدقيقة لهذا الكلام غير محدَّدة، فُهِم بيسر سبب تأويل شعاره بطريقة متباينة.

أما في العصور الوسطى، فغلَب وضع الإبداع الأدبي والترجمة في المستوى ذاته. وكذا فعل (شوسِر) في كتاباته، إذ قلّما أبرز اختلافاً بين أعماله الأصلية وأعماله المترجَمة؛ فكان يُنظر إلى هذه الأخيرة على أنها إبداع بصورته الكاملة، مع امتلاكها مكانة مستقلة بالنسبة إلى العمل الأصلي.

وفي عصر النهضة، أبصر اهتمامٌ جديد النورَ؛ وعلى وجه الخصوص في ترجمة (لوثِر) للإنجيل، وذلك بجعْل النصوص المترجَمة مفهومة للعامة من الناس. وشدَّد (لوثِر) – سعياً وراء هذه الغاية – على اللغة الدارجة، فعلّل بذلك تعديل المصطلحات والتراكيب التي لم يكن من السهل تَعَرُّفُها باللغة الألمانية.

وفي القرن السابع عشر وشطرٍ واسعٍ من القرن الثامن عشر، سجّل مفهوم الترجمة انعطافاً جذرياً. فغيّرت الترجمات العملَ الأصلي تحت مسمى الحرية، وذلك إلى درجة غلبت عليها الترجمة بتصرف، ومن هنا جاءت عبارة: «الجميلات الخائنات».

وإن كانت التيارات المذكورة حتى ذاك الحين تفضّل –تحت عناوين مختلفة– النصَّ الهدف، فإن التوجه نحو النص المصدر حظي بتمثيل واسع أيضاً. وأفضى الاهتمام بعدم الإخلال بالكلام الإلهي في ترجمة الإنجيل في عصور مختلفة من التاريخ إلى تقيدٍ بشكل الأصل، بلغ أحياناً حدَّ

الترجمة الحَرفية. وفي هذا المنحى، يمكن ذكر ترجمَتَي الإنجيل الآتيتين، اللتين تعودان إلى العصور القديمة:

- *Revised Version* (النسخة المراجَعة، 1881-1885) في إنكلترا.
- *American Standard* Version (النسخة المعيارية الأمريكية، 1901) في أمريكا.

واستُحسن النص المصدر أيضاً في كنف الأيديولوجية الألمانية إبان العهد الرومانسي؛ وذلك رفداً للّغة الذاتية، وإغناءً للأدب عن طريق النص الأصلي.

القرن العشرون

الترجمة ونظرية الكلام

أمسى الوضع في القرن العشرين أكثر تعقيداً بكثير. وإنِ استمر الجدل المتقدم ذكره، بيد أن تغيراً لافتاً برز بموازاة ذلك في العديد من الأعمال النظرية. والحقُّ أن مجيء اللسانيات سجّل انعطافاً في المواقف المتخَذة.

فارتدّ وقْع اللسانيات أول الأمر داخل الإطار النظري للبنيوية، في زمن واحد في أوربا الشرقية، بواسطة مجموعة براغ؛ وفي الولايات المتحدة، بدفع من (يوجين نايدا) رئيس جمعية ترجمة الإنجيل. وأضحت الترجمة – التي كانت تُعدّ حتى ذاك الحين فناً – مادة بحث علمي. ويشهد بذلك مؤلَّفات (نايدا):

- *Toward a Science of Translatin* (نحوَ علم الترجمة، 1964).
- *Language Structure and Translation* (بنية اللغة والترجمة، 1975).

وما نشره بالتعاون مع (شارل تابر):

- *The theory and Practice of* Translation (النظرية والتطبيق في الترجمة، 1969).

فارتبطت نظرية الترجمة – للمرة الأولى – ارتباطاً وثيقاً بنظرية الكلام. واستُشِّف تأثير اللسانيات بعد ذلك في أوربا مع تنوع الأطر النظرية. فأشار العديد من المنظّرين إلى ضرورة

العَقد بين نظرية الترجمة ونظرية الكلام، ومنهم: (جورج مونان) في: **المشكلات النظرية للترجمة** (1963) ، و(هنري مِشونيك) في: **من أجل الشاعرية** 2 (1973)، و(جورج ستينِر) في: **بعد بابل** (1975)، و(لويس كِلّي) في: **المترجم الفوري الحقيقي** (1979)، و(جان رينيه لادميرال) في: **الترجمة: مبرهَنات من أجل الترجمة** (1979)، و(بيتر نيومارك) في: **مقاربات في الترجمة** (1981)، و(أنطوان بيرمان) في: **اختبار الغرابة** (1984) و**بغية نقد للترجمات: جون دون** (1995).

غير أنه تَظهر اختلافات بارزة في عدد من النقاط بين الكتّاب المذكورين. ويُعبَّر عن التباينات عموماً بمصطلحات متناقضة، على غرار السجالات حول اللغة المصدر واللغة الهدف. فتخص النقطة الأولى الصلة بين اللسانيات ونظرية الكلام؛ وقد يحمل ذلك مفارقة. فإنْ لم يطرح ربط المفهومين أحدهما بالآخر مشكلةً لدى الغالبية العظمى من المنظرين، فهما وفقاً لـ (هنري مِشونيك) منفصلين بصورة جلية؛ فقد نُبذت اللسانيات لأنها غير متناسبة مع نظرية الترجمة. ويسوِّغ هذا النبذ أحد الطروح الأساسية الواردة في كتاب: **من أجل الشاعرية 2** (ص 314)، وهو أننا: «لا نترجم اللغة التي في النص؛ بل نترجم وننظِّر لصلة نص بنص آخر، لا لغة بلغة». ويشدّد بالمقابل (ص 325) على ضرورة ربط التفكر في الكتابة والترجمة بنظرية الكلام، والربط بصورة عكسية بين نظرية الكلام ونظرية الكتابة والترجمة. وحينما يهاجم اللسانيات، يستهدف على نحو أساسي البنيوية واللسانيات التحويلية، ويضع – في هذه الرؤية – اقتراحات (يوجين نايدا) موضع الشك.

وتناول (جورج ستينِر) هذه الانتقادات من جديد في كتابه **بعد بابل**. فسجل – على غرار (مِشونيك) – موقفاً معارضاً للسانيات التجريدية، مشيراً إلى أهمية خصوصية اللغات والثقافات؛ إذ يقول (ص 107): «هنالك فسحة أقدمها لنهج يركز جلّ اهتمامه على اللغات بدلاً عن تركيزه في لغة واحدة..».

فنظرته إلى الترجمة تقع ضمن حيِّز واسع جداً، يودِع الترجمة داخل اللغة بذاتها، ويقوم

بمعارضة التوجهات المتطرفة نحو القطب المصدر أو القطب الهدف، مقترحاً موقفاً أكثر تمايزاً، يقوم على إيجاد التوازن بين القطبين.

وسبق لـ (جورج مونان) أن عبّر عن رأيه في هذا الموضوع؛ فمنذ الفصل الأول من مؤلَّفه: **مشكلات نظرية في الترجمة**، طرح وجهة نظره بوضوح قائلاً: «لماذا تُدرَس الترجمة على أنها اتصال بين اللغات؟ لأن الترجمة والاتصال شيء واحد في المنطلق» (ص 4). ويخصص جزءاً كبيراً من كتابه للعقبات التي تعترض نشاط الترجمة، والتي يطرحها التناسق المختلف لمعطيات الخبرة، وفقاً للّغات؛ فيحمل الفصل الخامس من هذا العمل عنوان: «النشاط الترجمي وتعدد الحضارات».

أما (جان رونيه لادميرال) فيتبنى التمييز بين اللغة والكلام، ويصرح قائلاً: «إننا لا نترجم علامات بعلامات، ولا وحدات من اللغة بوحدات من اللغة، بل بالأحرى وحدات من الكلام أو من الخطاب..» (**الترجمة: مبرهَنات من أجل الترجمة**، ص 206).

ويقف (يوجين نايدا) جلياً في منظور يستشرف منه اللغة في بُعد عالمي؛ إذ يقرن – تبعاً للعرف الأمريكي – اللسانيات في جميع ارتباطاتها بعلم الأعراق البشرية. ويميز بين نوعين من المكافِئات: المكافئ الحيوي والمكافئ الشكلاني. فالأول هو المكافئ الأقرب لرسالة اللغة المصدر، والثاني هو المقابل للوحدات اللغوية على صعيد التركيب النحوي. وتشتمل نظريته على الكاتب والمستقبِل، إذ ترتبط بنموذجٍ في التواصل.

ويشدّد (جورج ستينِر) أيضاً على ضرورة إصحاب الترجمة نموذجاً في التواصل: «أيُّ نموذج في التواصل هو في الوقت ذاته نموذج للترجمة، ولنقل المعنى سواء أكان ذلك على المستوى العمودي أم الأفقي» (**بعد بابل**، ص 45).

بيد أنه لا يَحصُر وظيفة الكلام في التواصل. فمراعاة النموذج "التواصلي" أو عدمه محكومٌ – في حقيقة الأمر – على نحو واسع بنوع الترجمة التي يتقيد بها المنظِّرون. غير أن عاملاً ثانياً يدخل في القضية، ويرتبط إلى حد ما بالعامل الأول؛ وهو أن غاية الترجمة – في نظر غالبية

المنظرين – لا تحتمل المراهنة؛ فيشير (لويس كِلّي) بجلاء إلى ضرورة أن يكون الأمر كذلك، فيقول: «المتغير الأساسي لا صلة له بالموضوع، بل تبقى صلته بالنيّة. فيُقوّم المترجم الوظيفة تبعاً للشروط التي وضعها بوهلر لنص المصدر. وهو الذي يحدد مسؤوليته تجاه قارئه، وإنِ استدعى ذلك تجاهله، كما في حالة بنيامين» (**المترجم الفوري الحقيقي**، ص 22).

ويقول بعدها: «طوّر الأمريكيون نظرية الترجمة في سياق البحث الأنثروبولوجي والنشاط التبشيري المسيحي وطوروا الإنجليزية لتُلائم احتياجات الإدارة الاستعمارية» (المصدر السابق، ص 225).

ومع استثناء الترجمة التقنية (يُنظر مقال نيكولا فروليجِر)، فقد قُزِّم هذا المعيار في أغلب الأحيان. والواقع أن ذلك يفسر – نوعاً ما – توجه المترجمين الأدبيين، الذين يبلغون أحياناً حدَّ تغييب المستقبِل تماماً.

ويُناط الاهتمام الذي يولَى لشكل النص المصدر – على نحو واسع أيضاً – بطبيعة نص الترجمة، إذ يثور بعض المنظرين ضد المفهوم الثنائي المكوَّن من الشكل والمعنى. فتمضي هذه الثنائية، لدى العديد من المنظرين مثل (شارل تابِر)، لتبلغ درجة عدِّ الأسلوب إضافة، وتجميلاً فحسب. ولكن كما يقول (مِشونيك) إن الفصل بين المعنى والأسلوب، ووضع المعنى في المقدمة، وبعده الأسلوب، ليس عملاً بريئاً ولا بسيطاً.

وبعيداً عن الخوض في نقاش التصنيف النوعي للنصوص الذي يبدو إشكالياً بمقتضى الظروف، يبدو من الطبيعي – مع تجاوز عتبة معينة – ألا يكون نوع صعوبات الترجمة في نص أدبي مطابقاً لنوعها في نص تقني. وسواء ارتبط الأمر بآلية عمل الكلام أم بالترجمة، فليس ممكناً مع ذلك طرح المشكلة في ضوء الثنائية. وفي أكثر الحالات تطرفاً، كما في "الخائنات الجميلات" لـ (جورج مونان)، يكون الشعر مضاداً للعلم. وفي الجهة المقابلة، يتناول منظرون آخرون، بوجه يقبله المنطق، آلية الكلام في إطارٍ من الاستمرارية؛ فينتمي (جورج ستينِر) إلى هذه الرؤية حين يقول: «بين النظم الأكثر رصانة أو النثر الأكثر ابتذالاً، تظل مسألة قابلية

الترجمة معياراً من المعايير» (المصدر السابق، 144).

ويصرّح (لويس كِلّي) على غرار ذلك: «تعدد النوع لا يحوّل دون نظرية موحدة؛ ووحدة النظرية لا تنكر التنوع ضمن النوع الواحد» (المصدر السابق، 219).

تطور الترجمة

إنْ كانت نظرية الترجمة قد تركزت لأمد طويل في الأدب والإنجيل، فإن دفاع (لويس كِلّي) عن نظرية موحدة هي الأكثر تناسباً، إذ نرى اليوم في عمل الترجمة توافراً في "تنوع الأجناس"؛ فثمة نصوص قانونية وأعمال علمية واقتصادية وكراسات طرق الاستعمال ومقالات صحفية ومنشورات صادرة عن الهيئات الدولية.. ويصعب تقديم قائمة وافية لكثرة المجالات.

إنَّ كمية المعلومات وضرورة نشرها على الصعيد العالمي تَسببا معاً في نشأة الترجمة الآلية. وسعى برنامج /إيروتا/ – الذي أطلقته المجموعة الأوربية – إلى ترجمةٍ مباشرة للنص ذاته بلغات عدة، وهذا ما حثّ على القيام بالعديد من الأبحاث في الدول المعنية. بيد أن النتائج التي جرى التوصل إليها أجبرت الباحثين على إعطاء توجه جديد لهذا المنظور. وبدلاً من الحديث عن الترجمة الآلية، باتوا يتكلمون حالياً عن "الترجمة بمعونة الحاسوب". ولا ريب في أن بحثهم موجَّه نحو التطبيق العملي للترجمة أكثر من توجهه نحو التفكر النظري. بيد أن الفشل المعلَن للعديد من المحاولات يشير بالبنان إلى عدم قدرة الترجمة الآلية على مراعاة جميع المعايير التي تحكم انتقال نص من لغة إلى أخرى؛ فهي تجدّد، بصورة غير مباشرة، بيان تشعب نشاط الترجمة.

وسوّغ أيضاً اكتسابُ الترجمة، في النصف الثاني من القرن العشرين، مكانة مؤسساتية نشرَ العديد من المؤلَّفات في مجال الترجمة. فأُنشئت عام 1947 الجمعية الفرنسية للمترجمين، والاتحاد الدولي للمترجمين عام 1953، وجمعية المترجمين الأدبيين عام 1973. ويشهد جلياً إنشاء مراكز للترجمة الأدبية في مدينة ستراِلن في ألمانيا وفي مدينة آرْل في فرنسا، وللترجمة التقنية في باريس بالأهمية المتزايدة لهذا النشاط.

تعدُّد التيارات النظرية

تتوافر التيارات النظرية وتزداد تنوعاً، مصاحِبةً هذا التطور في المجال العملي. ونتبين فيها حالياً –إنْ تجاوزنا السمات الخاصة– ثلاثة أنهج أساسية، هي: النموذج المثالي القائم على نقد الترجمات والحكم النوعي، والنموذج العلمي القائم على منهَجة الظواهر الخاضعة للملاحظة، والنموذج الذي يتناول عملية الترجمة في اللحظة التي يُترجَم فيها.

ويعلن مناصرو المقاربة "التقويمية" انتماءهم لفكر (والتر بينجاما). فالمعايير المقترحَة في كتابه: **مهمة المترجم** (1923)، والتي يمكن ضمها إلى الرؤية الرومانسية الألمانية، قد أثرت بنحو واسع في مجمل التيار الفكري الخاص بالترجمة. فينظر (بينجاما) إلى الترجمة على أنها تحوّل، يعدِّل المؤلَّف الأصلي، ويغْني في الوقت ذاته اللغة الأم بفضل اللغة الأجنبية. ويعلن (هنري مِشونيك) انتماءه لفكر (بينجاما) في نبذه "الإلحاق الترجمي". فيسجل – بمقابل ذلك – موقفاً مُضادّاً لحرفية (أندريه شوراكي) الشكلية في: **ترجمات الإنجيل** (1951-1952) التي تُكوِّن في نظره انتهاكاً للّغة، وذلك في كتاب: **من جوناس إلى جونا** (1981). ويلحّ (مِشونيك) على ضرورة أن تستند النظرية إلى تطبيق عملي، وأن تراعي البُعد الشامل للخطاب؛ إذ يشير بوجه خاص إلى أهمية الإيقاع و"الجانب المحكي" في النص المكتوب.

ويتوضع (أنطوان بيرمان) أيضاً في سلالة (بينجاما)، فيُخصّص عمله الأول: **اختبار الغرابة**، لألمانيا الرومانسية وعلاقتها بالثقافة. فيقوم مثل (مِشونيك) مُضادّاً «الرفض الممنهج لغرابة المؤلَّف الأجنبي»، ومؤكداً ضرورة استجلاء الناحية الأخلاقية للترجمة. ويتطلع في عمله الثاني **من أجل نقد للترجمات: جون دوْنّ** إلى إمكان تقويم الترجمات وفقاً لمعايير توافقية، فيطرح معيارين لتأسيس حكم قد يتجاوز البعد الذاتي؛ الأول ذو طبيعة أخلاقية، إذ يتضمن تكرار المعايير المطروحة سابقاً في عمله الأول، والثاني ذو طبيعة شاعرية. ويركّز (بيرمان) تحليله نحو انتقاد الترجمة، فيتناول على وجه الخصوص ترجمات (جون دوْنّ). ويعبّر – من منحى آخر – عن رأيه في المَزِيّات الخاصة بكل نهج من الأنهج النظرية الميّالة نحو النص المصدر

أو النص الهدف.

ولَمّا شرَع (جان لابلانش) وفريقه بترجمة عمل (فرويد) باللغة الفرنسية، تبنّوا – خلافاً لغالبية المنظرين – موقفاً معروفاً في وقت يسبق إنجاز العمل المترجَم. وهم يقصدون، باسم التجانس، ترجمة كل ورود لكلمة معينة لدى الكاتب، بالكلمة ذاتها بالفرنسية. ويدّعون في ذلك انتماءهم إلى سلالة (بيرمان)، ولكن يبدو أن هذا التشبّه فيه بعض المغالاة؛ لأن (بيرمان) نفسه رفض هذا التصريح، والحقُّ أن موقفه تجاه النص الغريب لم يَتخِذ مطلقاً شكل الحرفية المفرداتية. وعندما صدر المجلد الثامن عام 1988، وهو الأول في ظهوره ضمن المجموعة، تسبب في حدوث جدل بين المترجمين، وكان متابعة للخلافات السابقة في هذا الموضوع بين المحللين النفسانيين والنحويين. فرأى المحللون النفسانيون – وداعمهم (فرويد) – أنه يجب "ألْمَنَة" اللغة الفرنسية؛ في حين اتجه النحويون نحو "فرنَسة" اللغة الألمانية. فهذه الخلافات تفضي بنا مرة أخرى إلى السجال بين قطبي المصدر والهدف.

ولا يستند المنهج الثاني المتقدم ذكره إلى نقد الترجمات، ولا إلى حكم نوعي، بل إلى تفكر حيادي في النصوص المترجَمة. فالعلاقة بين النظرية والتطبيق مركزية في الحالتين، لكنها لا تتبع النظام ذاته. إذ تقترح الحالة الأولى نموذجاً مثالياً، فينعكس هذا الموقف في المصطلحات المستعملة: «مهمة المترجم» (والتر بينجاما)، و«غاية المترجم» (أنطوان بيرمان). وتنطلق الحالة الثانية من مجموعة نصوص مترجَمة، ساعية بطريقة موضوعية إلى تحديد «الضوابط» الداخلية التي تحْكم تكوين النص الهدف. فذاك نهج استنتاجي لا وصائي؛ إذ يظهر بنحو جوهري في مقاربتين، هما: مقاربة (جيْدِون توري) في كتاب: **دراسة في نظرية الترجمة** (1980)، ومدرسة تل أفيف و جوزيه لامبير في: **الأدب والترجمة** (1978)، التي تُبرِز المظهر التاريخي والاجتماعي والثقافي للترجمات، والضوابط التي تحْكم درجة تقبّلها في ثقافة وعصر معينَين؛ ومقاربة (جاكلين غيمان فلِشر 1 وآخرين1، و(ميشيل بالارد): **الترجمة من النظرية إلى التعليم** (1984) المرتبطة

[1] **النحو المقارَن بين الفرنسية والإنكليزية، مشكلات الترجمة**، 1981.

مباشرة بنظرية الكلام. فتسعى هذه المقاربة، انطلاقاً من اختيارات متكررة وملزِمة تقريباً في بعض الحالات في عمل المترجمين، إلى تحديد معايير باطنية تحدد نشاطهم.

ويقع النهج الثالث خارج جدل النص المصدر والنص الهدف، لكنه يندرج مع ذلك في النسق الوصائي. ويتمثل بنظرية (دانيكا سيليسكوفيتش) و(ماريان لِدرر) المعروضة في كتاب: **التأويل من أجل الترجمة** (1984). وتتركز نظريتهما، مع اشتمالها على النصوص المكتوبة، في محور الترجمة الفورية، فتسعى للإحاطة بالمراحل التي تميز فعل الترجمة، في وقت الترجمة ذاته. فتنقسم هذه العملية وفقاً للكاتبتين إلى ثلاث مراحل، هي: تأويل النص الهادف لاستخلاص معناه، و"تجريد المعنى عن الكلام" في النص الأصلي، وإعادة التعبير عن المعنى في نص الوصول.

الموازنة بين النظريات

هل يمكن في نهاية هذا العرض تقويم مختلف النظريات التي جرى تناولها؟ بل تبدو المهمة صعبة لأن التباينات تتحدر في الغالب من غايات مختلفة، أي من تصورات مختلفة عن مفهوم النظرية. إذ ولَّد هذا الموقف سوءَ فهمٍ دائماً؛ فيؤاخذ بعضُهم بعضهم الآخر غالباً على عدم قيامهم بما لم يسْعَوا هم أنفسهم للقيام به. فيبدو حرياً إذن توضيح مصدر – أو بالأحرى مصادر – هذه الأنواع من سوء الفهم.

ولنتناول أولاً الجدل المركزي حول التوجهين نحو قطب المصدر وقطب الهدف. فهذا الجدل قد ارتبط توّاً منذ القرن العشرين بالمجال الذي يتأتى منه التنظير، أي بالأدب والتحليل النفسي من ناحية، وعلم الاجتماع واللسانيات من ناحية أخرى. وتأثرت – على نحو مباشر – الصلة بين النظرية والتطبيق، لأن الحالة الأولى مرتبطة بنظرية وصائية، والحالة الثانية بنظرية استنتاجية.

ويُبحَث في هذا التمييز عن إظهار الفروق الدقيقة، فلطالما رَأينا أن عدداً من التوجهات

---

[1] مجموعة (**اللسانيات التقابلية والترجمة**)، باريس، أوفريس، 1992.

ينجلي داخل الموقف الوصائي. فيؤسس مترجمو النصوص الأدبية معاييرهم في الواقع على نقد الترجمات الموجودة، في وقت يحدد فيه مترجمو فرويد المعايير التي من شأنها توجيه عملهم بصورة سابقة لفعل الترجمة. وينبغي الإشادة بكلا الفريقين لاهتمامهما باحترام النص الأصلي. غير أن هذا الدافع يتضمن إنكار آلية عمل الكلام في العديد من الحالات. فإنْ تحدث عدد من مناصري هذا الموقف عن تعويض المؤثرات الأسلوبية لنص الانطلاق، عدّ آخرون أنه يتعين إعادة تقديم كل مؤثر أسلوبي في نص الوصول. ويقترب هذا الموقف من موقف مترجمي فرويد، بل إنه أكثر تطرفاً منه، لأنه يكمن في ترجمة كل تكرار للمصطلح ذاته في نص الانطلاق، بالمصطلح عينه في نص الوصول.

إن التأمل في مجموعة من النصوص المترجَمة يُظهر بصورة جلية أن الدأب على إبدال مؤثر أسلوبي بالمؤثر الأسلوبي ذاته، لا يمكن له إلا أن يفضي إلى نص غير متجانس. فكل أثر أسلوبي يحكمه نحوُ اللغة المعنية. وثمة مجموعة من المؤثرات الأسلوبية التي تُنسَب إلى الاستعمال الشائع في لغة معينة دون أخرى. فيمكن بذلك للأثر المحدَث أن يكون طبيعياً تماماً في حالة ما؛ ومناسباً أو غير مناسب، في حالة أخرى. فلا تراعي الترجمة الدائمة لمصطلح بالمصطلح ذاته واقعَ أن الحقول الدلالية غير متطابقة من لغة لأخرى.

وإنه لمن الطبيعي أن يُعنى المنظرون الأدبيون – على نحو خاص – بالمظهر الإبداعي في عمل ما. ومن قبيل آخر، يستحيل للّسانيين، الذين ينساقون في نظرية تهدف لتصنيف الظواهر الملاحَظة – أي بدرجة التنبؤ بها –، مراعاة ما هو خاص بكل عمل على حدة. فينتج عن ذلك توقف تفكيرهم تماماً على العتبة التي تبدأ منها نظرية الترجمة الأدبية. وخلافاً لما يُظن غالباً، ليس في الأمر البتة إنكار منهم لوجود المؤثرات الأسلوبية؛ بل يعدّونها على العكس جزءاً لا يتجزأ عن الكلام، لا «ابتعاداً منهم عن المعيار». وتجدر الإشارة أيضاً إلى ارتباط النظريات الوصائية على نحو شبه دائم بفئة معينة من النصوص، إذ لا يمكنها تكوين نظرية متوحدة عن الترجمة؛ فلا يمكن – مثلاً – إلا مشاركة (مِشونيك) الرأي في الأهمية التي يوليها للإيقاع في الترجمات الإنجيلية والأدبية؛ بيد أنه تبدو نجاعة هذا المعيار أقل جلاء بخصوص النصوص التقنية.

ويكمن أحد الإرشادات الرائجة بطريقة نافذة في ضرورة أن يجري في التفكر النظري تَناولُ الثوابت التي تسهم في قضية الترجمة، أي تناول الظواهر اللغوية والأدبية والمجتمعية، وغيرها... ولا يمكن لمنظور كهذا أن يُطبَّق إلا على نظرية وصائية. فقد لا تفضي محاولة دمج هذه الأبعاد جميعها في نظرية واحدة هدفها تصنيف الوقائع المرصودة – سعياً لإيجاد تفسير– إلى بلوغ نتائج متجانسة، لأن كل مظهر من هذه المظاهر يتأتى من مجال نظري مميز.

وتنطوي النظرية التأويلية في الترجمة على حالة متفردة، من حيث ارتكازها على عملية الترجمة ذاتها. فيستحوذ تأكيد إعادة صياغة المعنى المنجلي عن تأويل نص الأصل، مع مراعاة العوامل الخارجية غير الجلية، على مكانته –حُكماً– في نظرية راسخة في الترجمة الشفهية بصورة أساسية. ولكنها تُطبق أيضاً إلى حد معين على الترجمة التحريرية. غير أنه لا يبدو ممكناً استيعاب هذين النوعين من العمليات استيعاباً كاملاً. ولكي نحصر الحديث في النصوص الأدبية نقول: إن مراعاة الإيقاع والجودة الشاعرية في نص ما يتضمن فضلاً على ذلك صياغةَ المعنى صياغة جديدة.

فمن وجهة نظر مصطلحيّة، يبدو في استعمال تعبير "تجريد المعنى عن الكلام" بعض المغالاة، مثله مثل "قصد" المتكلم. ويشدَّد على ضرورة الابتعاد – في الغالب – عن التركيب النحوي، وعن مفردات الأصل لبلوغ ترجمة ناجحة. ولكن هل يمكن لتركيب المعنى أن يُفصَل عن الكلام؟ وإنْ كنا نعلم ما يقوله المتكلم أو كاتب النص المكتوب، فهل يمكننا حقاً معرفة ما "يقصده"؟ إذ يبدو عسيراً، التحدث عن السمة الأحادية المعنى وغير المبهمة للكلام؛ نظراً لقلة البراهين الموضوعية.

وتؤسَّس النظرية التأويلية في جزء واسع منها على التشكيك في اللسانيات؛ ولكن تُثار بعضٌ من الأطر اللسانية فحسب، من نحو: البنيوية واللسانيات التوليدية وعلم النفس اللغوي. ويُستهدف مظهران من اللسانيات بوجهٍ خاص. يكمن الأول في سمة اللغة التجريدية والافتراضية والخارجة عن السياق، بالتضاد مع الخطاب. وقد يثير هذا النقد الاستغراب لبقائه على حاله في النسخة

المراجَعة والمنقَّحة لكتاب: **التأويل من أجل الترجمة** الصادر عام 2001، في حين يرتكز تيار كامل من البحث في الترجمة منذ أكثر من عشرين عاماً على لسانيات الخطاب، ويقف على القيم المرافقة للسياق، وعلى تركيب القيم المرجعية انطلاقاً من الوصل بين مصطلحات العبارة المنطوقة، والإشارة إلى العلاقة الإسنادية نسبةً إلى مصدر المنطوقة وموقف إيرادها. ويكمن اعتراض النظرية التأويلية الثاني في أن الباحثين اللسانيين لا يرون في عملية الترجمة إلا «رد فعل للتبديل بين لغة وأخرى»[1]. فإنْ تشبَّث اللسانيون بمنطوقات النص الأصلي وبالنص المترجَم، فلا يكون ذلك البتة لتخيلهم أنه يجري العبور مباشرة "من لغة إلى لغة" من غير إعادة بناء المعنى؛ بل لأنهم يعرضون الوقائع التي يمكن التحقق منها بموضوعية فحسب. بيد أن غرضهم يختلف جذرياً عن غرض النظرية التأويلية، فهم لا يسعون إلى إدراك عملية الترجمة في اللحظة التي تجري فيها، بل يحاولون استخلاص الظواهر الممكن تعميمها في نشاط الترجمة.

نشاط الترجمة والضوابط اللغوية

ماذا يُقصد بالظواهر القابلة للتعميم في نشاط الترجمة؟ إن في ذلك حدوداً ثقافية تنعكس في تنسيق الخطاب. وإذا كان صحيحاً أننا نترجم نصوصاً لا لغةً، بدا مع ذلك من الوهم الظنُّ أنه في وسعنا الدأب على تقديم "المبرَز بالمبرَز وغير المبرَز بغير المبرَز"[2]. وقد يَفترض الأمر استقلالية المستوى الإبداعي في اللغة عن النحو واستعماله. فلا تُفهم الترجمة حينئذ بأنها إنشاء جديد للنص الأصلي، بل في هذه الحالة يُرى فيها غرابة وعدم تجانس. فيأخذ (جورج ستينر) موقفاً واضحاً، إذ يقول: «هل ينبغي أن تحشد الترجمة الجيدة لغتها الخاصة نحو أصالتها؟ وهل يولّد ذلك شعوراً بالغرابة المتعمدة والإبهام الهامشي؟ أم يجب أن تُحيَّد الترجمة عن طبيعة المستورَد اللغوي بحيث تجعله وطنياً في كلام المترجم وقرّائه؟» (المصدر السابق، ص 266).

وعبّر الكتّاب عن رأيهم في هذا الموضوع أكثر من المنظرين. ويُذكر (ميشيل تورنيه) على

---

[1] دانيكا سيلسكوفيتش، **التأويل من أجل الترجمة**، ص308.

[2] هنري مِشونيك، **من أجل الشاعرية2**، ص315.

وجه الخصوص؛ إذ يشير إلى خبرته مترجماً في مقال بعنوان: «ريح روح القدس»، وهاكم ما يقول: «الترجمة بالطبع من أكثر التمارين المفيدة التي يمكن أن يخضع لها الكاتب المتدرب، والغاية منها صياغةُ فكر غريب بلغة مسترسلة وسلسة ومألوفة قدر الإمكان. ويلزَم المترجم تعلم إجادة استعمال العبارات الجاهزة (كليشيه) والتعابير والصيغ الجامدة والتراكيب الشائعة ومجموعات الألفاظ الأخرى المكوِّنة لجوهر اللغة التي يَكتب فيها، إذ يشير غيابها أو ندرتها إلى تلك العبارة البغيضة المسمّاة: "مترجَم من"». ويقول في موضع لاحق: «بيد أن هذا التمرين يحضِّر على نحو ممتاز لكتابة عمل أصلي. فالتدبير المستمر للمكونات الأساسية التي تتضمن تلقائية اللغة لا تُعلِّم في الواقع استعمالها في الترجمة فحسب، بل تُعلِّم أيضاً تغيير مظهرها وإجلاءها في العمل الأصلي» (المصدر السابق، ص 164).

ويمكننا أيضاً ذكر مقال (إيف بونفوا): «شكسبير والشاعر الفرنسي» (1962)، أو تمحصات (جوليان غرين) في كتاب: **الكلام ونسخته** (1985). وكلٌّ منهما يُعبّر بطريقته عن مدى صعوبة التعبير عن فكر ورؤية يخصان العالم، في لغة تتوافق مع ثقافة مغايرة.

ولنحاول أن نرى كيفية ظهور هذه الاختلافات في التنسيق الخطابي بالفرنسية والإنكليزية، وذلك انطلاقاً من الأمثلة الواقعية التي تخص الإشارة من خلال الفعل الإسنادي. ولن نقف على الاختلاف بين العلامات الإسنادية الزمانية والمكانية في اللغتين؛ والتي ينبغي مراعاتها بمقتضى الضرورة، بيد أن الجوهر يخص المَعْلمات التي تسود في تنظيم المنطوقات. وهاكم الأمثلة:

(1) Les moindres bruits parlent. Un son mat? C'est un rocher qui se détache de la falaise [...] un écho feutré et sourd? C'est un pan de neige qui glisse; **ce névé** qui brille ? A contourner si possible, la neige y est molle. **Cette glace noire**? A éviter, elle se déroberait sous le pied. **Cette glace blanche**? Bonne, épaisse.

(J. Malaurie, **Les derniers rois de Thulé**, 407)

(كان أصغر أنواع الضجيج ناطقاً. هل هذا صوت باهت؟ انفصلت الصخرة عن الجُرف [...] أهو صدىً خفيض وكتوم؟ تنزلق نُدْفة من الثلج. فهل تلمع **هذه**

النُدْفة؟ ينبغي الالتفاف حولها إنْ أمكن، لأن الثلج هناك رخو. هل **هذا جليد أسود؟** يجب تجنبه أيضاً، إذ يتخفى تحت القدم. هل **هذا جليد أبيض؟** إنه كثيف وسميك..).

(ج. مالوري، آخر ملوك ثول، ص 407**).**

The smallest noises were eloquent. A dull thud? A rock had broken loose and fallen from the cliff [...] A low, muffled echo? A section of snow had slid down someslope. **A patch of shining névé**? Better skirt it, because there the snow was soft. Black ice? Avoid that, too, for it would give way under me. **White ice**? Good, thick... (A. Foulke, p. 290).

(2) ..le prix des produits locaux est incroyablement bas: **cet** ananas me coûterait vingt sous, **ce** régime de bananes deux francs, **ces** poulets qu'un boutiquier italien fait rôtir à la broche, quatre francs.
(C. Lévi-Strauss, **Tristes tropiques**, 95)

(ثمن المنتجات المحلية بخس بنحو لا يصدق، ف**هذه** الأناناس تكلفني نحو عشرين قرشاً، وتكلفة **هذا** العنقود من الموز فرنكان، وثمن **هذه** الدجاجات التي شواها صاحب الدّكان الإيطالي على السيخ أربعة فرنكات).

(س. ليفي–ستروي، مناطق استوائية حزينة، ص 95**)**

...the prices of local produce were incredibly low. **A** pineapple **cost** twenty sous, **a** bunch of bananas two francs, **ø** chickens, spit-roasted by an Italian shopkeeper, four francs each.
(J. & D. Weightman, 81-82).

ويُحيل المثال الأول إلى نوع من عوامل الظهور الافتراضية: هذه النُدْفة– هذا جليد أبيض؟– هل هذا جليد أسود؟. ويُحيل المثال الثاني إلى عوامل ظهور معينة: هذه الأناناس – هذا العنقود من الموز – هذه الدجاجات. ويُحيل نوع الظهور في الحالتين إلى مجال تصوري يُمثَّل بالآتي:

كان أصغر أنواع الضجيج ناطقاً (في 1)، ثمن المنتجات المحلية بخس بنحو لا يصدق (في 2). فيُشار إلى كل عنصر بالفرنسية من خلال عناصر إسنادية، وبالإنكليزية بأداة تعريف نكرة بالمفرد وعلامة Ø بالجمع. وإذا احتُفظ بالإسنادات في الترجمة، فيمكن تأويل ظهور العناصر المثارة في ظروف غير معلنة في سياق وضعي خاص. وبعبارة أخرى، تكون القيمة الافتراضية قد أُزيحت كلياً أو جزئياً.

ويأتي التأثير الأسلوبي بالفرنسية في المثالين من إيراد العناصر المذكورة في ظروف محددة، مع وضعها في موقف تمثيلي. بيد أنه لا يمكن الحفاظ على هذه اللعبة من الغموض بالإنكليزية، بسبب الضوابط المذكورة. ولنذكر أيضاً مثالاً مأخوذاً من تعليق في أثناء مباراة هوكي على الجليد في الألعاب الأولمبية:

آمل في أن أزفّ لكم قريباً **هذا** الانتصار، وأن أزفَّ مساء اليوم **هذا** التأهل.

فالانتصار افتراضي للفريق الفرنسي، بغية تأهل ليس أقل احتمالاً في البطولة. فلم يُنَل النصر في لحظة الإعلان، ولم يكن ممكناً الحفاظ على الإشارات الإسنادية في الترجمة الإنكليزية.

الخاتمة

تنظير الترجمة؟ يمكن التساؤل إنْ كانت هذه العملية في التنظير ممكنة، نظراً لتشعب المسألة. فيأتي التباين بين المواقف السائدة بتساؤلات؛ ويبدو في الواقع من الصعب التوفيق بين التيارات المختلفة. والسبب في ذلك هو أن مفهوم النظرية بذاته مختلف جذرياً وفقاً لكل حالة؛ إذ تندر مراعاة هذا الواقع، أو إدراكه. وهذا هو السبب نفسه لصور سوء التفاهم بين المنظرين. فيقصد أنصار النص المصدر بالنظرية إيديولوجيةَ الترجمة، ويضعون مبادئ تستند في جلّ الحالات إلى نقد الترجمات، وإلى تقويم ذاتي لجودتها. ويهدف التيار المستنِد إلى التأمل الحيادي في النصوص المترجَمة إلى منهَجة الوقائع في حدود الممكن؛ أي إلى التنبؤ بها. وبذلك يُرى تلبّس النظرية والتطبيق معدَّلاً بنحو ملحوظ. ويستند تفكر المنظِّر في الحالة الأولى إلى ممارسة شخصية، وفي الحالة الأخرى إلى ممارسة مجموعة من المترجمين. ويسوِّغ النهجَ الثاني اهتمام

مزدوج، يكمن في الاستناد إلى معايير موضوعية، واستشراف التنوع في النصوص بهدف الجنوح نحو نظرية موحدة وتعميمها. فلربما يسمح أخذ العلم بوجهي المصطلح (نظرية) بتبديد سوء التفاهم على الأقل.

- Arrowsmith, W. & Shattuck, R. (eds.) (1971): *The Craft and Context of Translation.* Réimpression (1e ed., 1961), Austin, University of Texas Press.
- Ballard, M.(1992): *De Ciceron à Benjamin. Traducteurs, traductions, réflexions.* Lille, Presses Universitaires de Lille.
- *La traduction de la théorie à la didactique*, Lille, Presses Universitaires de Lille, 1984.
- Bassnett-McGuire, S.(1980):. *Translation Studies.* Londres, Methuen.
- Benjamin, W. (1923): Die Aufgabe des Ubersetzers. Préface à la traduction des *Tableaux parisiens* de Baudelaire, Weisbach, Heidelberg. Trad. française de Maurice de Gandillac, La tâche dutraducteur, in *Oeuvres,* vol 1, *Mythe et violence* , Paris, Denoël, 1971, 261-275.
- Berman, A.(1984): *L'épreuve de l'étranger*. Culture et traduction dans l'Allemagne romantique. Paris, Gallimard (coll. 'Les essais' CCXXVI).
- *Pour une critique des traductions : John Donne* , Paris, Gallimard, 1995.
- Bonnefoy, Y.(1962): Shakespeare et le poète français. Dans *Hamlet*, traduction d'Yves Bonnefoy, Paris, Mercure de France.
- Brower, R.A. (1966): *On Translation.* Réimpression (1eéd., 1959), New-York, Oxford University Press (Galaxy Books n° 175).
- Cary, E.(1956): *La traduction dans le monde moderne.* Genève, Georg.
- Catford, J.-C. (1965): *A linguistic theory of translation.* Londres, Oxford UniversityPress.
- Green, J. (1985): *Le langage et son double.* Paris, Éditions de la Différence.
- Guillemin-Flescher, J. (1981): *Syntaxe comparée du français et de l'anglais: problèmes de traduction.* Paris, Ophrys.
- Holmes, J. S. (éd.) (1970): *The Nature of Translation, Essays on the Theory and Practice of Literary Translation.* La Haye-Paris, Mouton.
- van Hoof, H. (1973): *InternationaleBibliographie der Übersetzung, International Bibliography of Translation,* PullachbeiMünchen, VerlagDokumentation,1973 (Handbuch der internationalenDokumentation und Information, n°11).
- Kelly, L.G.(1979): *The True Interpreter. A history of Translation Theory and Practice in the West.* Oxford, Blackwell.
- Ladmiral J.-R. (1979): *Traduire : théorèmes pour la traduction*. Paris, Payot / Gallimard, 1994.
- Lambert, J. (1978): *Literature and Translation.* Leuven, J. S. Holmes, J. Lambert & R. van den Broeck,.
- Larbaud, V. (1984): *De la traduction*. Arles, Actes Sud.
- Levi-Strauss, C. (1955, 1976) : *Tristes tropiques*. Paris, Plon, Trad. anglaise par Weightman J.& D., New York, Pocket Book, 1977.

- Malaurie, J. (1976): *Les derniers rois de Thulé*. Paris, Plon, collection "Terre Humaine". Trad. Anglaise par Foulke A., Londres, Jonathan Cape, 1982.
- Meschonnic, H.(1973): *Pour la Poétique II, Epistémologie de l'écriture, Poétique de la traduction.* Paris, Gallimard.
- Meschonnic, H.(1981): Traduire la bible, de Jonas à Jona. *Langue Française* 51, 35-52.
- Mounin, G.(1955): *Les belles infidèles.* Paris, Cahiers du Sud.
- Mounin, G.(1963): *Les problèmes théoriques de la traduction*. Paris, Gallimard.
- Newmark, P. (1984): *Approaches to Translation.* Réimpression (1[e]éd. 1981), Oxford, Pergamon Press.
- Nida, E..(1964): *Toward a Science of Translating.* Leiden, Brill.
- Nida, E..(1975): *Language structure and translation: essays.* Stanford, Stanford University Press.
- Nida, E. & Taber, C. R. (1969): *The theory and practice of translation*. Leiden, Brill.
- Reiss, K.(1971): *Möglichkeiten und Grenzen der Übersetzungskritik. Kategorien und KriterienfüreinesachgerechteBeurteilung von Übersetzungen.* Munich, Hueber.
- Rener, F. (1989): *Interpretatio : Language and Translation from Cicero to Tytler.* Amsterdam, Rodopi.
- Seleskovitch, D. &Lederer M. (1984): *Interpréter pour traduire*. Paris, Didier Erudition(rééd. 2001).
- Steiner, G.(1975-1977): *After Babel. Aspects of Language and translation.* New-York London, Oxford University Press. Trad. française par Lotringer L.: *Après Babel*. Paris, Albin Michel, 1978.
- Tournier, Michel. *Le vent Paraclet*, Paris, Gallimard « Folio », 1981.
- Toury, G. *In search of a theory of translation,* The Porter Institute for Poetics and Semiotics, Tel-Aviv University, 1980.
- Tytler, A. F. (1907): *Essay on the Principles of Translation,* réimpression (1[e]éd., 1791), Londres, Dent.
- Wilss, W. (1982): *The Science of Translation*, Tübingen, Gunter Narr Verlag.

بحوث في الحضارة العربية الإسلامية

الفكر الجمالي عند القدماء والمحدثين

فلسفة الجمال عند إخوان الصفاء وخِلاّن الوفاء – نموذجاً

آلاء ياسين دياب

سورية

مقدمة

إنّ تاريخ الفلسفة ليس ترديداً لأقوال القدماء، بل هو فلسفة تتأتى من إعادة النظر في الأسس والمبادئ التي بنى عليها القدماء آراءهم. فالمنظومة التراثية العربية معين خصب وثّر، يكتنف كثيراً من القضايا التي أصبحت اليوم محوراً للجدل والنقاش، وهي قضايا لم تكن مثاراً للاهتمام قديماً، بل إن فعل القراءة أجّجها وكشف عنها.

يعدّ هذا البحث محاولة علمية جادة في فهم تطور الفكر الجمالي عند العرب القدماء وخاصةً إخوان الصفاء؛ لأنّ تجربتهم تأخذ خطاً لافتاً، ويتجلّى من خلالها الكثير من التجارب الأخرى، وتتكرر المحطات والمواقف والرؤى، ومن هنا كان من الجدير بهذا البحث أن يتوقف عند إخوان الصفاء وقفة خاصة، وأن ينظر إليهم في خصوصيتهم أيضاً .

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

ما الجمال؟ وأين تقف حدوده؟ هل نستطيع أن نقصره على الفن، أم هو موجود في الطبيعة فقط؟ وأين يكمن الجمال هل هو موجود في الذات أم يقع خارجاً عنها؟

هل تطرق الفلاسفة والنقاد العرب إلى موضوعات علم الجمال؟

أولاً : الجمال بين الواقع والفن:

فقد ذهب بعض منظِّري علم الجمال إلى نفي الجمال عن الطبيعة[1]، وقصروا حدود علم الجمال على الفن،[2] فالإستطيقا عندهم هي علم الجميل الذي يتصل بالتعبير عن الجمال في الفن فقط.[3] فالعمل الفني إذن يتمتع بقيمة جماليّة منفصلة عن جمال الشّيء أو قبحه؛ لأنّ الجمال في

---

[1] **فقد رأى هيجل أن يُعلي من قيمة الجمال الفنّي على حساب الجمال الطبيعي في نظرته الفلسفيّة إلى الفن معتقداً أنّ للرّائع في الواقع الموضوعي عيوباً تقضي على جماله، ولهذا يضطر خيالنا إلى أن يُعيد صياغة الرائع الموجود في الواقع الموضوعي ليجعله رائعاً حقاً بعد أن يخلصه من العيوب المقترنة حتماً بوجوده الفعلي**. ينظر في ذلك:

- ن. غ. تشير نيشفسكي، **علاقات الفن الجمالية بالواقع**، ترجمة يوسف حلّاق، الطبعة الثالثة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1983م:57.
- هيجل، **فكرة الجمال**، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت،1981م: 87.
- عبد الرحمن بدوي، **فلسفة الجمال والفن عند هيجل**، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، 1996م:69.
- أميرة حلمي مطر، **فلسفة الجمال**، الطبعة الأولى، دار الثقافة، القاهرة، 1984م:113-114.
- محمد علي أبو ريان، عبد القادر ماهر، **دراسات في الفن والجمال (مدخل فلسفي)**، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، 121-122.
- مجموعة، **الجمال في تفسيره الماركسي**، عدد من الفلاسفة السوفييت، ترجمة يوسف حلّاق، مراجعة أسماء صالح، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، 1968م:310 وما بعدها.

[2] الفن: "**بالمعنى الواسع للكلمة تحويل أو تعديل الإنسان للمواد الطبيعية، أو هو الإنسان مضافاً إلى الطبيعة كما يقول بيكون**". يُنظر من أجل ذلك: محمد علي أبو ريان، **فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة**، قدّم له الدكتور: محمد عبد القادر حاتم، الطبعة الأولى، الدار القومية للطباعة والنشر، 1964م:68.

[3] **انظر تفصيل ذلك:** جمال مقابلة **اللحظة الجمالية محاولة فهم نقدية**، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 1، المجلد 35، يوليو سبتمبر، 2006م:11.

حيث رأوا أنّ الجمال فيه الطبيعة في الكثير من العيوب والنّواقص التي تقضي على جماله، وتجعل الجمال الفني أسمى منه بكثير. يُنظر في ذلك:

- علي أدهم، **فصول في الأدب والنقد والتاريخ**، د. ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979م:229
- عبد الكريم اليافي، **بدائع الحكمة (فصول في علم الجمال وفلسفة الفن)**، الطبعة الأولى، دار طلاس، دمشق،

العمل الفني ليس هو الجمال المتمثل في الطّبيعة أو قبحها، "**والدّليل أنّ الإنسان يُسرُّ بالتشبيه بالطبع ويفرح، هو أنّا نسلتذّ ونسرّ بمحاكاة الأشياء التي لا نسلتذ بإحساسها، وبخاصة إذا كانت المحاكاة شديدة الاستقصاء**"[1]. فالعمل الفني هو شيء أُضيف إلى هذه الطبيعة من جمال أو قبح، وعلى ذلك يكون التصرّف فيما يراه المبدع من حوله من جمال أو قبح في الطبيعة، "**ليس فقط من حقّ الفنان، بل من واجبه لكي يسمى فناناً**".[2] فما يهم أصحاب الفلسفة الجمالية هو انتقال الجمال الطبيعي إلى عمل الفنان، وأن يسكب عليه من جماله الذاتي.[3] هذا أدّى إلى نشوء اتجاه آخر يعارض هذه النظرة،[4] ويعدّ تشيرنيشفسكي من أوائل الذين أخذوا هذا المنحى، حيث يجري حواراً مع هيجل، ويطرح مفهومي الأدب والواقع أو العكس والمعكوس، ونظرية الانعكاس، ثمّ يقرر تفوق جمال الواقع على جمال الفن، لأنّ العاكس أقلّ جمالاً من المعكوس،

1999م:260.

[1] ألفت محمد كمال عبد العزيز، **نظرية الشّعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد**، د. ط، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، 1984م: 130.

[2] روز غريب، **النقد الجمالي وأثره في النقد العربي**، الطبعة الثانية، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1983م: 15.

[3] انظر تفصيل ذلك: شوقي ضيف، **البحث الأدبي (طبيعته – مناهجه– أصوله – مصادره)**، دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر، 1976م: 118. وهذا الرأي نجده عند شارل لالو حيث يقول: "**وفي الحقيقة ليس للطبيعة قيمة جمالية إلّا عندما يُنظر إليها من خلال فن من الفنون**". يُنظر: شارل لالو، **مبادئ علم الجمال**، ترجمة خليل شطا، الطبعة الأولى، دار دمشق، دمشق، 1982م: 6. وهذا ما أكدّه إبراهيم زكي خورشيد في مقالته الموسومة بـ **(مفهوم الجمال)**، مجلة الفيصل، السنة العاشرة، العدد 118، كانون الأول، 1986م: 32.

[4] حيث يُرى أنّ الجمال الحق في الطبيعة أولاً، ثمّ يأتي جمال الفن في المرتبة الثانية، فالماديون يقلبون المفهوم المثالي تماماً، ويعارضون النظرة الهيغيلية، فالفن غايته إعادة تصوير الواقع القيّم، والواقع أسمى من الحلم. يُنظر في ذلك:

– عدنان الرشيد، **مفهوم الجمال في الفن والأدب**، مطابع مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، العدد101، الطبعة الأولى، 1422هجري:116

– غينادي بوسبيلوف، **الجمالي والفني**، ترجمة عدنان جاموس، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1991م:120.

ومن ثم فالأدب أقل جمالاً من الواقع،[1] تحت هذا الاتجاه يندرج رأي إخوان الصفاء حيث يقولون: "**وذلك أنّ الذين زعموا أنّهم استخرجوا العلوم والصنائع بقوّة عقولهم وجودة فكرهم ورويّتهم، لولا أنّهم رأوا وشاهدوا مصنوعات الطبيعة، فاعتبروها وقاسوا عليها**"،[2] فالجمال الأسمى هو الجمال الطبيعي، على حين الجمال الفني يكمن فَحُسنه في قدرته على الانسجام مع مبدعه، بحيث يقترب من اكتشاف الذات أو يبتعد بقدر جودة محاكاته للخلق الطبيعي "**وأمّا صناعة المصوّرين فليست شيئاً سوى محاكاتهم صور الموجودات المصنوعات الطبيعية أو البشرية أو النفسانيّة**".[3] فالفن عند الإخوان يعدّ ثمرة الجهد الإنساني في البناء والخلق، فالفنان يعمل جهده في سبيل إعادة تشكيل الوجود وصياغته من خلال فكره أو عمله الفني، والمتلقي يقوم بعملية إعادة تكوين الموضوع الجمالي.

وقد توسط جيروم ستولنيتز الاتّجاهين فذهب إلى أنّه لا يمكن استبعاد أيٍّ من الطبيعة أو الفن عن موضوعات الإستطيقية،[4] وهذا ما أعتقده لأنّ الحكم على كون الفن أرفع جمالياً من الطبيعة أو العكس لا يصدق دائماً. أمّا الفلاسفة العرب فقد أكدوا وجود العلاقة بين الجمالين، فلمّا " **كان الجمال الفني من مصدر إنساني، والإنسان بحدّ ذاته هو من الجمال الطبيعي ذي المصدر الإلهي فإنّ العلاقة بين الجمالين الفني والطبيعي أكيدة، وحلقة الوصل فيها الإنسان**".[5] وهنا تظهر الصبغة الإسلامية، فالجمال الطبيعي مستند إلى مفهوم الخلق والإبداع

---

[1] ينظر في ذلك: ممدوح أبو الوي، **علم الجمال عند النقّاد الروس**، مجلة الآداب الأجنبية، العدد 133، 2008م:12؛ **وانظر ايضاً**: ن. غ. تشير نيشفسكي، **علاقات الفن الجمالية بالواقع**: 128.

[2] **رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء**، قدم لها الدكتور طه حسين، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،2005م.: 249/1.

[3] نفسه: 244/1.

[4] انظر تفصيل ذلك: جيروم ستولنيتز، **النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية**، ترجمة فؤاد زكريا، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م:67.

[5] حسين الصّديق، سعد الدين كليب، **مدخل إلى الفكر الجمالي عند العرب المسلمين**، الطبعة الأولى، منشورات جامعة حلب، حلب، 2006م:103.

والتّوحد مع الله، فللطبيعة مكانة المعلم، وهي مسخرة لنا بأمر الله تعالى، حتى تمدّ الإنسان بكلّ ما هو بحاجة إليه لتحقيق معنى استخلافه،[1] فالجمال الطبيعي هو الركيزة لكل جمال فني، وأوّل من قال به بهذا الرأي التوحيدي،[2] ثمّ أصبح الأساس في الرؤية الجمالية الإسلامية، فجمال الفن يستند إلى جمال الطبيعة؛[3] لأنّه امتداد لها، وأساس العلاقة بين المثال الأعلى الجمالي والشكل الفني الحسيّ هو المحاكاة، فالفن لا يقوم إلّا بعاملين متمازجين هما: الطبيعة والقلب، وتدبّر الطبيعة بعين النفس هو الشكل الجمالي للمحاكاة في الفن وما دون هذا هو خروج عن وظيفة الفنّ من جهة، وعن طرائقه الفنّية من جهة أخرى.[4] فالفن يستلهم الطبيعة، ويحاول محاكاتها

---

[1] **انظر تفصيل ذلك:** صالح أحمد الشّامي، **ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام (الطبيعة – الإنسان– الفن)**، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988م:66.

[2] يقول التوحيدي: "**لم يُجز أن تكون الصناعة مساويةً لها، كما لم يُجز أن تكون مستعليةً عليها، لأنّ الصّناعة بشرية مستخرجة من الطبيعة التي هي إلهية، ولاسبيل لقوةٍ بشريةٍ أن تنال قوةً إلهيةً بالمساواة**". يُنظر تفصيل ذلك:

– التوحيدي (أبو حيّان، علي بن محمد. ت414هـ)، **المقابسات**، تحقيق حسن السندوبي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، القاهرة، 1929م:367.

– حسين الصديق، **فلسفة الجمال ومسائل الفن عند أبي حيان التوحيدي**، الطبعة الأولى، دار القلم، حلب، د.ت: 116.

– وفاء محمد إبراهيم، **علم الجمال قضايا تاريخية ومعاصرة:** 39–40.

– زكريا إبراهيم، **فلسفة الفن في الفكر المعاصر**،الطبعة الأولى، دار مصر للطباعة، مصر، د. ت: 317–318.

– عبد المجيد شكير، **الجماليات (بحث في المفهوم، ومقارنة للتمظهرات والتصورات)**، الطبعة الأولى، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 2004م:14–15.

[3] كان للدكتورة روز غريب رأيٌ مختلفٌ، فرأت أن جمال الفن أتم من جمال الطبيعة:، يُنظر في ذلك: روز غريب، **النقد الجمالي وأثره في النقد العربي**:35.

[4] انظر تفصيل ذلك: الأب جبرائيل ريّاط، **بحث في الجمال والفن**، دراسة وتحليل سعد الدين كليب، الطبعة الأولى، دار المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2007م:56. وانظر أيضاً: سعد الدين كليب، **القيم الجمالية**

بطريقته، وكثيراً ما نجد أنّ للطبيعة حضوراً ملّحاً في الأعمال الفنية، فالفن العظيم يحرص أن تكون الطبيعة متجلية فيه. فالجمال هو الفكرة، ولكن هذه الفكرة ليست ذات طابع تجريدي، إنّها الفكرة التي تعبّر عن الوحدة بين الذّات والموضوع، بين الجسد والروح، بين المتناهي واللا متناهي، أو بمعنى آخر الجمال هو التظاهر الحسي للفكرة، أو الفكرة حين تدرك في إطار حسي، فالفن يرتفع بالكائنات الحسيّة والطبيعية إلى المستوى المثالي، أي إن المراد هو التوصل إلى التعبير عن الوحدة العينية بين الداخل والخارج. "**فالشاعر ليس أبداً مجرد ناسخ للحقيقة من مسافات بعيدة، بل إنه تلقّى بركة استبصار للحقيقة العليا**".[1]

ثانياً: الجمال بين الذات والموضوع

الاتجاه الموضوعي

لعلّ ديمقريط وهرقليط من أوائل فلاسفة الإغريق الذين ذهبوا إلى مثل ذلك، فهم يرون أنّ للجمال أساساً موضوعياً، وأنّ جوهره يكمن في التناسب، وانسجام الأجزاء، والنسب الرياضية الصحيحة، والفيلسوف اليوناني ديمقريطس ينظر إلى الجمال نظرة موضوعية ماديّة، فهو عنده انتظام أجزاء الأشياء المادية وتناسبها.[2] وقد تحدّث أفلاطون قديماً عن جمال الأشياء مستقلّة عن توافقها مع أهوائنا، ورغباتنا، ويؤمن الموضوعيون بأنّ الجمال في الأشياء لابدّ أن يكون صفةً مستقلةً عنّا وعن رغباتنا، أو أنّه قد يستطيع أن يجذب ميولنا، واهتمامنا، ولكن الأشياء الجميلة

في الشعر العربي الحديث 1950-1975، رسالة قُدّمت لنيل شهادة الدكتوراة في الأدب العربي الحديث، إشراف فؤاد المرعي، جامعة حلب، 1989م:13-14، وانظر أيضاً: عدنان الرشيد، **مفهوم الجمال في الفن والأدب**:175

[1] ريتشارد داتون، **مقدمة للنقد الأدبي**، ترجمة دعد طويل قنواتي، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011 م: 34.

[2] انظر تفصيل ذلك: نايف بلوز، **علم الجمال**، الطبعة الأولى، المطبعة التعاونية، دمشق،1981م: 10. وينظر أيضاً: محمود خضرة، **تاريخ التفكير الجمالي**، الطبعة الأولى، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1999م:72.

لابدّ أن تمتلك مبدئياً صفات الجمال ومقوّماته،[1] وكذلك يهتمّ أرسطو بالجوانب الشكلية للجمال، فالجمال عنده موضوعي، ويتجلّى في البنية الصورية أو الشكلية لموضوعات العالم، وفيما يتّصف به الشيء من ترتيبٍ وانسجام ووضوحٍ، فالجمال هو الوحدة والتمام والترتيب،[2] ومن أهمّ صفات الشيء الجميل: الترتيب والتناسب والوضوح والغائية والوحدة والتَّنوع والتغيير.[3] ويذهب الدكتور نايف بلوز إلى أنّ هذه النظرة الأرسطية أثرت في ثقافتنا العربية الإسلامية، فقد اقتبسها العديد من فلاسفتنا العرب الذين اهتموّا بالطبيعة وجمالها، بل تابعوها وطوّروها.[4] ويندرج رأي إخوان الصفاء في هذا الاتجاه، فتحدثوا عن الانسجام الكونيّ، ونظام العالم البديع، وأعادوا الاعتبار إلى نظرية المحاكاة وإلى الإحساس الجماليّ الطبيعي.[5] إذ قالوا : "**والصور الإنسانية قائمة بالحق ناطقة بالصدق مُقرّة بتوحيد الخالق سبحانه وتعالى، ومقرّة بحدوث خلقها، وإتقان صنعها، وكمال بنِيتها بوجود باريها ما أوجده فيها وقدمه عليها، فهي صورة مماثلة لصورة**

---

[1] لقد أكد أفلاطون أنّ "**هناك شكلاً للجمال، وأننا إذا اتّبعنا تدريباً مناسباً أمكننا أن نصل إلى معرفة هذا الشكل الجميل، كما يمكننا أن نعيد عرض صور الأشياء التي سبق للإنسان معرفتها متمثلةً في الصوّت، أو اللون، أو الحجم، فالفروق في الأحكام ليست فروقاً ذاتية بحتةً، أي مجرد فروقٍ في الذّوق، بل هي فروق في المعرفة**". من كتاب: بشير زهدي، **علم الجمال والنقد**، الطبعة الأولى، مطبوعات جامعة دمشق، دمشق، 1982م، 23.

وهذه المعرفة ضرورية جداً بالنسبة إلى الفنان، لأنّه يستمدّ فنّه من مصدرٍ موضوعيّ وليس من ذاتيته؛ أي إنّه يستمد قصيدته أو روايته أو لوحته من واقعٍ ملموسٍ، له وجوده الموضوعيّ، وليس من خياله وتصوّراته، ولذا فإنّ عمله الفني يستمدّ جماله من مشاركته في مثال الجمال، بل تعود مدى قيمة هذا العمل إلى مدى تحقق هذه المشاركة بشكل شموليّ عميق.

[2] ينظر في ذلك: أرسطو، **أرسطوطاليس في الشعر**، تحقيق شكري عياد، 60.

[3] ينظر في ذلك: غازي الخالدي، **علم الجمال نظرية وتطبيق في الموسيقا والمسرح والفنون التشكيلية**، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة، د. م، 1999 م:45.

[4] ينظر في ذلك: نايف بلوز، **علم الجمال**:16.

[5] انظر: **رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء:** 192/4– 175/3.

العالم الكبير؛ فلذلك سميت عالماً صغيراً".[1]

ويحاول الدكتور عزّ الدين إسماعيل أن يرصد جذور هذه النّظرة الموضوعيّة في دراسة الجميل لدى نقادنا القدماء، فقد رأى أنّ وجود مثل هذه القواعد الموضوعية للعمل الأدبي الجميل كانت علي أية حال ومهما قيل عن قيمتها وسيلةً فعالةً في إيجاد الناقد الذي يعرف كيف يحكم على العمل الأدبي وفق مفهومات واضحة.[2] ويعدّ المرزوقي مثالاً واضحاً لمن نادى بموضوعية الصفات الجميلة، فقد تحدّث في مقدمته لشرح ديوان الحماسة عن هذه القواعد، وأهميتها الكبرى في منع الفوضى النقدية إذ لابدّ من وضع حدٍّ للجيد، والمتوسط، والسيئ منعاً من الفوضى التي تحدث في الأحكام النقدية العائدة إلى ذوات الناس وأهوائهم.[3] ونجد مثل هذه النظرة الموضوعية للجمال عند ابن قتيبة، وقُدامة بن جعفر. وقد رأى الدكتور عبد الرؤوف برجاوي أنّ نظرة قدامة إلى الجمال جاءت في بعض سماتها أثراً من آثار الإغريق، فقد أخضع الشعر لمقاييس وقواعد أضفى عليها طابع التفكير العلمي، والحساب الرياضي، حتى غدت آراؤه في بعض الأحيان أشبه بمعادلاتٍ رياضيةٍ يراعي فيها النّسب، وتساوي الأجزاء، وإذا ائتلفت هذه الأجزاء، وتساوت فيما بينها، نشأ جمال الشّعر وروعته. فإذا كان قدامة قد أجاد في مجالاتٍ كثيرةٍ، فإنّ ما أُخذ على هؤلاء أنّهم تأثروا بالروح العلمية، وهذا يتنافى مع طبيعة الشعر والفنّ الذي يكون الرائع فيه يُفهم ويتذوق من دون أن يُشرح ويُعبّر عنه. فالضوابط الفكرية قد ضيّقت على الشّاعر مدى الإلهام،

---

[1] نفسه: 175/4.

[2] ينظر في ذلك: عز الدين إسماعيل، **الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة)**، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، 1974م: 158.

[3] يقول المرزوقي: "**ثمّ سألتني عن شرائط الاختيار فيه، وعمّا يتميز به النَّظم عن النثر، وما يُحمد أو يُذم من الغلوّ فيه أو القصد، وعن قواعد الشّعر التي يجب الكلام فيها وعليها حتى تصير جوانبها محفوظة من الوهن، وأركانها محروسة من الوهي، إذ كان لا يُحكم للشاعر أو عليه بالإساءة، أو بالإحسان إلّا بالفحص عنها، وتأمّل مأخذه منها، ومدى شأوه فيها، وتمييز المصنوع مما يحوكه من المطبوع والأتيّ المستسهل من الأبيّ المستكره...**". من كتاب: المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن – **شرح ديوان الحماسة**: 3/2-4.

وحصرت أنفاسه وحدّت من أفقه.[1] وهكذا نرى أنّ أصحاب الاتجاه الموضوعي يردّون ماهيّة الجميل إلى علاقاتٍ صوريّةٍ شكلية تخصُّ مجالاً موضوعياً بحتاً هو المجال الطبيعي الفيزيائيّ – الرياضي. وأحكامهم الجمالية تنصب على جمالٍ في الشيء ذاته؛ إذ إنّ الميزان في تقدير الأشياء الجميلة مستمدٌّ من طبيعة الأشياء نفسها. فالجمال يبدأ من الموضوع، وما ورد لدى النقاد العرب تلميحاً، نجده في النقد الحديث الذي كان سائداً في أوربا، وهو يحمل شعاراً "**اتّجه إلى الموضوع، واترك المشاعر تتّخذ مجراها**".[2] وقد تطرّق الدكتور زكي نجيب محمود إلى هذا، فهو يرى أنّ هناك اتجاهين في النّقد. أحدهما: يطالب الفن بأن يحاكي داخل الفنان، والثّاني يطالبه بمحاكاة عالمه الخارجي. والمطلوب من الناقد أن يهتمّ بالخصائص الفردية للعمل فيدرس ائتلاف العناصر الذي أدّى إلى حسن وقعه في نفوس متذوقيه من دون أن يتدخل في الحكم أي عامل خارجي كأحاسيس الناقد ومشاعره.[3]

الاتجاه الذاتي

أمّا أنصار الاتجاه الذّاتي[4] فهم يقيمون آراءهم على أساس أنّ الأشياء تفقد مفهوماتها وقيمتها إذا ما فصلناها عن ذات الإنسان، إنّهم يرفضون القول بموضوعيّة الجمال، ويرفضون الاعتراف

---

[1] ينظر في ذلك: عبد الرؤوف برجاوي، **فصول في علم الجمال**، الطبعة الأولى،دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981م:282-283.

[2] أميرة حلمي مطر، **مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن**، الطبعة الثالثة، دار غريب، القاهرة، 1998م:81.

[3] يقول الدكتور زكي نجيب محمود: "**إنني على عقيدة راسخة بأنّه لا نقد إلا إذا كان الناقد على استعداد لتعليل رأيه، فإنّ قال هذا حسنٌ وذلك رديٌّ، كانت عليه البيّنة فلماذا كان الحسن حسناً والرديء رديئاً، ولا يكفينا منه أن يمصّ شفتيه استحساناً وأن يمطّها استهجاناً**". من كتاب: زكي نجيب محمود، **فلسفة النقد**:221.

[4] يعدّ الفيلسوف الإنكليزي هيوم من أوائل الذين أرسوا أسس هذا الاتجاه الذاتي في علم الجمال . انظر تفصيل ذلك: نايف بلوز، **علم الجمال**:18.

وقد كان **كروتشه** يرى أنّ الجمال يرتبط بنشاط الإنسان أو الطاقة النفسية، فهو لا يضع مركز الجمال خارج نفس الفنان بل في داخله. انظر تفصيل ذلك: عبد العزيز حمودة، **علم الجمال والنقد الحديث**، د. ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت: 75

بوجوده الخارجيّ واستقلاليته عن ذواتنا، وهم يرفضون أن يكون له مقاييس، لأنّ قياسه هو تحليله، وتحليله يهدمه، وما كان الجمال إلا إلهاماً؛[1] لأنّ الجمال لا يوجد إلّا فينا ومن أجلنا، إنّه موجود في داخلنا، وهو ليس إلّا صفة ذاتية يتوقف الشعور بها على حالتنا النفسية. فنحن نرى الأشياء جميلة وفق الطريقة التي نتصوّرها بها في فكرنا، أو وفق إدراك عقولنا، هذا ما قصده أفلوطين عندما رأى أنّ الأشياء تبدو رائعة من خلال احتكاكها بأفكارنا وتصوّراتنا، فالروح جميلة بقدر اكتشافها للجمال.[2] فجمال الخالق فوق كلِّ جمال، والغاية المثلى هي إدراك هذا الجمال وهو لا يدرك. ويذهب الدكتور عزّ الدين إسماعيل إلى أنّ مثل هذه النظرة الجمالية الذاتية التي اهتمت بفكرة الجمال وصلته ببواطن النّفوس وخفاياها، كان لها وجودها في نقدنا العربي القديم، ويسوّق مثالاً على ذلك كتاب الوساطة للقاضي الجرجانيّ.[3] وعند عودتي إلى الكتاب، استوقفني حديثه عن مواقع الكلام، فالقاضي تنبّه إلى اختلاف عملين، أحدهما يستوفي مقاييس الجمال وشروطه جميعها، والآخر يخلّ بأحد الشروط ومع ذلك نحكم له بالجمال، ويكون أحسن موقعاً في القلب، وأعلّق بالنفس.[4] وكأنّ الجمال عند القاضي راجعٌ إلى الوقع في النفس لا إلا ظواهر الألفاظ أي جمال مستمد من تجربة تلقي العمل الأدبي.

---

[1] ينظر من أجل ذلك: منير العجلاني، **مدارس الجمال عند الغربيين**، المجلة العربية، السنة 10، العدد 106، آب 1986م:108.

[2] يقول أفلوطين: "**أنّ كلَّ جمال يمكن اكتشافه فينا وبالحدس، وأنّ جمال الأشياء الخارجية يرجع إلى جمالٍ داخليّ روحيّ ولهذا يجب البحث عن الجمال في داخلنا**". من كتاب: مصطفى عبده، **المدخل إلى فلسفة الجمال (محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية)**، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م: 58.

[3] انظر تفصيل ذلك: عز الدين إسماعيل، **الأسس الجمالية في النقد العربي**: 164-165.

[4] انظر تفصيل ذلك: الجرجانيّ، (علي بن عبد العزيز . 366هجري)، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، لبنان، 1966م:412. ويعلّق عزّ الدين إسماعيل فيقول: "**وهناك صورة طريفة تمثل لنا هذا الموقف تصويراً عملياً في قول الشّاعر عن قلبه (ويرحم القبح فيهواه) فهذا الموقف الجمالي طريف ولاشك، وهو يرد الجمال إلى مفهوماتٍ نفسيةٍ لا إلى خصائص موضوعية**". من كتاب: عز الدين إسماعيل، **الأسس الجمالية في النقد العربي**: 164-165.

وقد كان إيزر يرى أنّ الوقع الجمالي هو غاية شمولية يتقاطع فيها الذّاتي والموضوعي، ويتداخل فيها ما هو اجتماعي مع ما هو فكري أدبي، إذ من اللامنطقي أن ننظر إلى الوقع الجمالي على أنّه نابعٌ من اتجاهٍ وحيدٍ هو العمل ذاته، فعلى الرغم من أنّ النص ذاته هو مصدر هذا الوقع فإنّه يؤدي إلى تمثلات عدّة في ذهن القارئ هي ما تصبح الوقع نفسه. فالنّص من وجهة نظر إيزر يتقدم بوجهين؛ الأوّل: فنيٌّ وهو مرتبط بإنتاج النّص من طرف المؤلف، والثاني: جماليٌّ ويمثّل التّحقق المنجز من طرف القارئ. وهنا يتساءل إيزر ما الذي يحدد الطبيعة الجمالية للنص: دلالته أم طاقته التي تُثير وتستقر. فالخاصيّة الجمالية المميزة للعمل الأدبي هي قدرته على إنتاج شيءٍ آخر غيره.[1] ورأي الفيلسوف إمانويل كنت يندرج في نفس السياق.[2]

ونرى أنَّ ديدرو يفرق بين المتلقين ومقاماتهم، ويؤكد انسجام العمل الجميل، لأنّ الجمال موضوعيّ، ويهتم بمقاييسه. "**وقد استعرض ديدرو مسألة الجمال واختلاف الناس فيه، على حسب أعمارهم، أو على حسب العصور ودرجات المدنية**"[3] أمّا تلقي المعنى الفني والجمالي فهو؛ "**إدراك العلاقات بين الأشياء والأجزاء**".[4] وعلى هذا لا يمكن أن نقصر تلك اللحظة الجمالية على العمل وحده كتقنيةٍ، أو على القارئ وحده كنفسية، إنَّها علاقة سيكولوجية شمولية – يتلاقى

---

[1] انظر تفصيل ذلك: عبد العزيز طليمات، **الوقع الجمالي وآليات إنتاج الوقع عند وولف غانغ إيزر**، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، مطبعة النجاح الجديدة، العدد 6، الدار البيضاء، شتاء 1992م:55. "**وعلى هذا المستوى فإنّه لا يجب الخلط بين النّص وبين تحققه، أي بين النص كتجسيدٍ ماديٍّ وبين نتائجه. إنّ النص في نظر إيزر يرسم تحقق معناه، ويكمن طابعه الجماليّ بالضبط في بنية التحقق هاته، هذه البنية التي لا يمكن أن تكون مماثلة للنص، ولا يجب أن تختلط به لسببٍ وحيدٍ هو أن القارئ يشارك في بنائها**".

[2] فقد تساءل كنت إلى أي حدّ يتمتّع حكم القيمة الجماليّ بصفة الموضوعيّة؟ ويجيب بقوله: "**لكي نميّز الشيء هل هو جميل أو غير جميل، فإننا لا نُعيد تمثّل الشيء إلى الذّهن من أجل المعرفة بل إلى مخيلة الذّات**". من كتاب: إمانويل كنت، **نقد ملكة الحكم**، ترجمة: غانم هنا، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة– مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000م: 101-102-103.

[3] محمد غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**: 295.

[4] نفسه: 295.

فيها الذاتي والموضوعي – تتناول علاقة القارئ بالنص في إطار انفعاليّ. "**فإمّا أن يُختزل الجمالي بأحد مستوياته، وهو اللغة، أو أن يُختزل بأحد أقطابه وهو المتلقي**".[1]

الاتجاه التقويمي الجدلي

لكنّ الجمال ليس ذاتياً محضاً، ولا موضوعياً خالصاً، فالجمال علاقةٌ بين الجميل والعقل الذي يدركه.[2] إنّ هذه النظرة التقويمية الجدلية في دراسة الجمال تقوم أساساً على كون الجميل علاقة بين الذّات والموضوع.[3]

---

[1] د. سعد الدين كليب، **المدخل إلى التجربة الجمالية**:26.

[2] "**بأيّ عقلٍ ندرك الجمال؟ يقول الدكتور علي شلق: "وفي نظري أنّ هنالك ثلاثة عقولٍ: عقلاً واعياً، وعقلاً لا واعياً، وعقلاً ثالثاً يربطُ بينهما، وبذلك ندرك الجميل الذي به نستوحي، ومنه ندرك صورة أعلى للجمال**". من كتاب: علي شلق، **الفن والجمال**، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1985م: 65.

وليكن هذا العقل الثالث الذي يدرك الجميل هو **العقل الإبداعي** كما يسميه الدكتور مصطفى عبده، **إنّ هذا العقل** Creativety Mind **هو الجامع بين العقلين الظاهري والباطني، إذ يحوي الحسّ والحدس، والتأمّل الجمالي**". من كتاب: مصطفى عبده، **المدخل إلى فلسفة الجمال**:34.

فالعقل الظاهري أو العقل الواعي يباشر فهم الحياة، ويدرك العالم لأنّه يمتلك الإدراك والإحساس والدهشة، والعقل الباطني أو اللاوعي مختمر مترسب، يمتلك التخيل والتوهم والتذكر ويستيقظ عند الإثارة. أمّا العقل الإبداعي فهو يمتلك المعرفة، والتأمل، والتصور، إنّ هذا العقل يحوّل الإدراك من تخيّلٍ إلى تصوّرٍ، وينقل الإحساس من تذكرٍ إلى تأملٍ، ويحوّل الدّهشة من توهّم إلى معرفة. إذاً في العقل الإبداعي يتحقق الإدراك الحسي والحدسي معاً، إذ يعمل العقل الظاهري جنباً إلى جنبٍ مع العقل الباطني في تجاورٍ وتجاوبٍ وتداخلٍ.

انظر تفصيل ذلك: مصطفى عبده، **فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني**، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م:88 وما بعدها.

[3] "**تقوم التجربة الجمالية على مكونين أساسيين، هما الذات والموضوع. الذات بطبيعتها الذوقية والمعرفية والثقافية والروحية عامة؛ والموضوع بطبيعته الحسية /المادية ومضمونه القيمي الاجتماعي العام. فليس ثمة تجربة جمالية في غياب أحد هذين المكونين**". من كتاب: سعد الدين كليب، **المدخل إلى التجربة الجمالية**: 6. غير أنّ حضورهما لا يعني وحده حضور تلك التجربة، فلهذه شروط وعناصر ضرورية متممة هي التي تحدد

لقد حصر عددٌ من الباحثين مقاييس الجمال بجودة البناء، والتعبير والعاطفة، والخيال والفكرة... إلخ متناسين أن هذه المقاييس الجمالية هي من أساسيات العمل الفني ومهمتها تشكيل معمارٍ كاملٍ لأثر أدبي يحمل سمات الإبداع، لهذا عندما نخرج من حسابنا مقاييس الجمال السابقة، فإننا نستطيع أن نحلّل أجزاء العناصر المكوّنة للجمال تحت أضواء الحالة والمعاناة والمعايشة التي تفتح مغاليقَ الأثر: زماناً ومكاناً، وحالةً وإحالةً، فعلاً وانفعالاً، عندئذٍ من الممكن أن تتبدى الحالاتُ جميعها كواقعٍ متنامٍ في معمار الأثر الجميل.[1]

ولعلّ معنى هذا:

1. ليس للجودة في الشّعر صفة. فالقيمة الفنية هي شيء يظهر في العمل الفني، ويمكننا أن نتحقق من وجودها، وهذه القيم توجدُ مستقلة عن إدراكنا، أمّا القيمة الجمالية فتتطلب خبرة جمالية؛ لأنّ إدراكها لا يقف عند الفنان المبدع بل يتعداه إلى المتلقي، أو على حد تعبير إنجاردن: "**يجب أن يحدث تفاعل بين القصدين – القصد المستقبل والقصد المرسل – كي يمكن أن تظهر وتنبثق القيم الجمالية في العمل**".[2]
2. إنّ جمال البيت في القصيدة مثلاً يجبُ أن يقاس بالنسبة إلى روح القصيدة كلّها، فطريقة الحكم على الكل من الجزء من أخطر ما يكون،[3] وهذا يلتقي مع رأي الدكتور سعد الدين كليب.[4]

ماهيتها ومسارها الجمالي، وهذا كله من طبيعة التجربة الجمالية نفسها.

[1] انظر تفصيل ذلك: محمد غازي التدّمري – **الجمال أبعاد ومنطلقات**، مجلة الثقافة، دمشق، أيلول، 2006م:5-6.

[2] سعيد توفيق، **جدل حول علمية علم الجمال (دراسات على حدود مناهج البحث العلمي)**، الطبعة الأولى، دار الثقافة، القاهرة، 1992م: 119-120.

[3] انظر تفصيل ذلك: محمد كامل الخطيب، **نظرية النقد(مقالات نقدية)**، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2002م:478/24.

[4] "**كما تذهب المقاربة الجمالية إلى تسليط الضوء على جزئية جمالية في النص، غير أنها تتعامل معها من منظور كلي عبر الجنس الأدبي**". من كتاب: سعد الدين كليب، **المدخل إلى التجربة الجمالية**: 16.

والعبرة في النقد الجمالي ليست للموضوع بوصفه شكلاً خارجياً، وليست للفكر والوجدان منفصلاً عنه، وإنّما العبرة لما صار إليه الموضوع بعد أن امتزج بذات الفنان وانصهر فيها.[1]

ثالثاً: الفكر الجمالي عند إخوان الصفاء

إن مفهوم الجمال يتضح أكثر فأكثر إذا ما أوغلنا عميقاً في مفهوم الجمال بوصفه تطوراً نوعياً عما درج تقليدياً في تعريفات الجمال الفلسفية التي اعتدناها، سواء عند أرسطو: بوصفه اجتماع الترتيب مع الاعتدال بين الصغر والكبر، أو عند أفلوطين بوصفه الفكرة التي يتلقى الكائن وفقها شكله الداخلي. إذ إنّه (أي الجمال) أقرب إلى ما ينسب إلى القديس أوغسطين من أن الجمال هو الحقيقة المتعالية عن الحس، وهو أقرب إلى الحدس ونحاول أن نعرب عن جملة العلاقات بين الذات المُدركة والشيء الجميل.[2]

إنّ البحث في فلسفة الجمال الإلهي عند إخوان الصفاء مرتبط بالعشق الإلهي،[3] ذلك أننّا لا نجد في رسائلهم مادة ما تتحدث عن الجمال أو فلسفة الجمال كمفهوم اصطلاحي، بل إنّ نظرتهم للوجود تفضح عن نظرتهم للجميل والجمال، والجمال بعدّه إشراقاً وانعكاساً لمفيض الجمال، فالمبدأ الأول للوجود هو المبدأ الذي فاض منه الوجود تفضلاً وإحساناً وجوداً وكرماً، وهو مبدأ الحياة والعلم والقدرة وواهبها لموجوداته، وهو الجميل بذاته ومبدأ لكل جمال.[4] وهذا الجمال احتوته الصورة الإنسانية، لتكون هذه الصورة وجوداً مقيداً قابلاً لتلقي كمالات الوجود،

---

[1] انظر تفصيل ذلك: محمد زكي العشماوي، **فلسفة الجمال في الفكر المعاصر**، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م: 55.

[2] سعد الدين كليب، **المدخل إلى التجربة الجمالية**: 24.

[3] انظر تفصيل ذلك: مقالة للدكتورة رائدة نهار الدّالي، **في العشق الإلهي وفلسفة الجمال عند إخوان الصفاء**، مقالة غير منشورة. وانظر أيضاً: محمد شكري عيّاد، **دائرة الإبداع (مقدمة في أصول النقد)**، الطبعة الأولى، دار الياس العصرية، القاهرة، د.ت: 49. وانظر أيضاً: ويليام. ك ويمزات، كلينيثث بروكس، **النقد الأدبي تاريخ موجز**، ترجمة حسام الخطيب، محي الدين صبحي، الطبعة الأولى، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، 1973م:121.

[4] انظر: **رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء**: 286/3.

فحوى الإنسان بصورته كل جماليات الوجود، وكان بما زوده باريه من أدوات معرفية كالعقل والنفس خليفة الله على أرضه، ومكتشفاً للجمال، ومدركاً للجميل،[1] فالموجود المقيد لا يتمكن من معرفة الأول المطلق إلا بالتجلي، وبالأنوار المشرقة على النفس، فالنور الإلهي الواحد يسري في كل هذا الوجود، وكل موجود يأخذ منه بحسب رتبته ودرجته في الوجود؛ فلذلك تختلف آثاره في الموجودات. كما يشير إخوان الصفاء إلى أنّ هذا الاختلاف بين الموجودات، يوجب أيضاً اختلافاً في كيفية التلقي والقبول لما يفاض عليها. وهذه الموجودات بأسرها تتحرك بالقوة التي جُعلت فيها شوقاً إلى ما يكملها، هذا الشوق هو شوق النقص إلى الكمال، وشوق إلى الاتحاد بالجوهر الإلهي، ويعبر إخوان الصفاء عن حركة الشوق هذه بالعبادة.[2] ويعدّ إخوان الصفاء أنّ للجمال صورة ومعنى.[3] وبناءً على ما تقدّم فإنّ حجج وبراهين الوحدانية قائمة في أنفسنا وفي أجسادنا، وفي ذلك الجمال الذي يلّف الوجود، وهو ﴿ **صُنع الله الذي أتقن كل شيء إنّه خبيرٌ بما تفعلون**﴾،[4] وفي تصفح الجمال الإلهي الساري في كل الوجود، والقراءة في مرآة التجلي، والترقي بين كثيف ولطيف، يعتقد إخوان الصفاء أنّك تبلغ النهاية، والتي هي البداية، قصة الخلق الأزلية كما جاءت في كتاب الله: ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾.[5]

وألخص فهمي للفكر الجمالي عند إخوان الصفاء بـ: أنّ الجمال هو نوعٌ من التشابك بين الإنسان والوجود وكأنّه وحدة الوجود مرة أخرى، فالجمال هو طريقتهم لرسم فهمهم للعالم بوصفه أيضاً نحن بقدر ما هو هو. وفضلاً على البساطة التي تتمتع بها النظرية التكوينية عند إخوان

---

[1] انظر: نفسه: 462/2.

[2] انظر: نفسه: 208/4.

[3] انظر: **الرسالة الجامعة**: 2 /251.

[4] **سورة النمل**: 88.

[5] **سورة الحجر**: 28-29.

الصفاء ثمة ما يمكن تسميته (الشعور الجمالي بمحتوميتها)،[1] أي يشعر المرء شعوراً عميقاً بمتعة جمالية مغزاها أن لا شيء يمكن تغييره. إنّ نوع الجمال الذي أراده إخوان الصفاء هو الجمال الذي نجده في النظريات الفيزيائية جمال البساطة والمحتومية؛ جمال البنيان المكاني، جمال تناسق الأشياء فيما بينها دون إمكان أي تغيير، جمال المتانة المنطقية.[2] فمقومات الجمال لديهم تتأسس حدسياً، وهي تحدد صحة الرؤية بترابطها الحدسي – الجمالي.

رابعاً: المقياس الجمالي عند إخوان الصفاء:

لا يمكننا الحديث عن المقياس الجمالي عند إخوان الصفاء، بعيداً عن السياق والنّسق الثقافيّ العاميّن، اللذين أسهما من قريب أو من بعيد في رسم الحدود والمعالم المؤسسة له، وتسييج الأطر والكيفيّات التي فيها ومن خلالها يتم فتح باب السؤال، والناجم ضرورةً عن حيثيات معينة.

اتجه إخوان الصفاء إلى التوحيد بين الجمال والحق، إذ رأوا أنّ الجمال في حقيقته هو تألق الحق والحقيقة، وذهبوا إلى أبعد من ذلك حين عدّوا الإحساس بالحق والجمال واحداً، فكلاهما يصدر عن رضا ذاتي يحدّثه الانسجام بين الأشياء التي نتأملها ونفكر بها. والفن الصحيح هو الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقةً في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها حقائق الموجودات كلّها. وقد ذكر إخوان الصفاء أسباباً عديدةً لاختلاف الناس في إدراك الجمال "**أحَدُها دقّة المعاني ولطافتها وخفاؤها، وثانيها فنون الطرق المؤدية إليها الأسباب المُعينة على إدراكها، وثالثها تفاوت قوى نفوسهم**

---

[1] اعتمدت في صياغة هذه العبارة على ما كتبه الدكتور عماد فوزي الشعيبي في مقالته الموسومة: الدكتور عماد فوزي الشعيبي، **إبستمولوجيا الجمال والتناظر كأساس في الفيزياء عموماً والفيزياء الكمومية خاصة**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29، العدد 3-4. 2013م: 353.

[2] ستيفن وانبرغ، **أحلام الفيزيائيين**، ترجمة: أدهم السمان، المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجية، الطبعة الأولى، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى، 1997م: 120.

الدرّاكة لها في الجودة والرداءة"،[1] وهذا قادهم إلى القول إنّ الأعمال الفنية هي التي تكون حقيقية ومطابقة للواقع؛ حيث يقولون: "**وذلك أنّ الذين زعموا أنّهم استخرجوا العلوم والصنائع بقوّة عقولهم وجودة فكرهم ورويّتهم، لولا أنّهم رأَوا وشاهدوا مصنوعات الطّبيعة، فاعتبروها وقاسوا عليها**"،[2] لأنّ الجمال هو مطابقة الصورة للشيء ذاته، والأشياء الجميلة توصف كلها بالصدق، فمقياس جمالها صدقها؛ "...**لأنّ الله لا يقول إلّا الصّدق**"،[3] ولذلك فإن كمال الفنون يتحقق في دقة إعادة تجسيدها للواقع، ويقاس جمالها بمدى مطابقتها له: "... **حتى أنّه يبلغ من حذقهم فيها أن تصرف أبصار النّاظرين إليها عن النّظر إلى الموجودات أنفُسها، بالتعجّب من حسنها ورونق منظرها**"،[4] وقد أكدّ أفلاطون قديماً هذه الفكرة، فوحّد بين الجمال والحق؛ لأنّه لا يمكن من وجهة نظره أن يكون الجمال جمالاً ويجانب الحق. فالمُثل الثلاثة متدرجة عند أفلاطون أدناها الجمال وأوسطها الحق وأعلاها الخير، فإذا انطبعت النفس منذ الصغر على الفن الجميل الذي يعلّم الفضائل الحسنة استطاعت في المستقبل أن تبلغ مثال الخير، فأفلاطون يعدّ من أنصار إخضاع الفن للأخلاق وخدمة المجتمع.[5]

كما ربط إخوان الصفاء – كمعظم فلاسفة الإغريق – بين الخير والجمال، واستعملوا أحياناً لفظاً واحداً للتعبير عنهما. فسقراط وحد بين الخيرية والنفع والجمال، فالجميل عنده هو الذي يخدم مصلحة الإنسان بالخير، وهو المفيد والنافع له دائماً.[6] وقد كان أفلاطون من أعلام هذا الاتجاه؛[7]

---

[1] **رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء:** 330/3.

[2] نفسه: 249/1.

[3] نفسه: 359/1.

[4] نفسه: 244/2.

[5] ينظر في ذلك: عبد الفتاح الديدي، **فلسفة الجمال**، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1985م: 701.

[6] ينظر في ذلك: لؤي علي خليل، **الجمال في المرحلة الذهبية للفلسفة اليونانية**، مجلة المعرفة، السنة 3، العدد 336، آذار، 1994م: 30.

[7] ينظر في ذلك: أحمد محمود، **مفهوم الجمال في فلسفة أفلاطون**، المعرفة، السنة الثلاثون، العدد 337، تشرين الأول، 1991م: 40.

لأنّ "**فضيلة الشعر الحضارية والأخلاقية تكمن فقط في الصفة السرية التي يملكها الجمال بالسمو بنفس من يتأمله**".[1] فالعلاقة بينهما خفية ويجب أن تظل خفية؛ ولأنّ رؤية إخوان الصفاء الجمالية كانت جوهريةً، تناولت مفهوم الشّعر بأنّه مفهوم المحاكى وأكسبته جدة فكرية تتوخى الدّقة، عندما تتبدى في مجال التعبير الذي لا يستدعيه ظرف معين أو حالة تأثرية آنية. فأرادوا منّ الشعر أن يكون إحساساً متطرفاً بالوجود وبالأشياء، يتقصى فكرة جوهرية تتسم بالدّقة والجمال معاً؛ وهذا محض برهان على أنّ الشّعر في جوهره خبرة جمالية، لأنّه حضور للأنا في غياب الآخر، بيد أنّ هذا الحضور قائم على الطرافة والجدة والغرابة، وعلى محاولة حث الإنسان على التسامي بفكره وبحاسة تلقيه للإبداع.

الخاتمة

لا غرو أنّ اتجاه إخوان الصفاء كان محاولةً لإيجاد محاكاة إبداعية مثلى تكون وليدة عمق وتأمل وليس انطباعاً تلقائياً يرتكز على التقليد، وهذا أيضاً هو السبب الذي يمنح الوقع الشعري في النفس لذة فريدة؛ لأن الشعر في هذه الحالة إن لم يكن كشفاً فإنّه دعوة إلى التأمل، ولكن هذا ليس دليلاً كافياً لكي نجعل حكمتهم نتاج تيار فلسفي قد يقترب من الفكر العربي أو يبتعد عنه. إذ إن ما يعنينا أنَّهم دأبوا على جعل الفكرة وسيلة من وسائل الفن على الرغم من اختلاف وجوه الصَّنعة التي عبّروا من خلالها عن هذا المنحى الذي يعدّ أساس تجديدهم، فالروافد الثقافية أَثْرت رسائلهم وأغنت الفكرة التي مضوا في محاكاتها ولم تكن تضاف إلى الفن الشعري إضافة تفصلها عن التوجّه الفكري. ولعلّهم أسرفوا في العلاقات الذهنية التي تُبرز تصوراتهم، أو أنهم صدروا عن تجربة حياتية قوامها القياس على نحوٍ قد يبدو انفعالياً مغرقاً في موضوعيته. وهذه المظاهر ترتد إلى جوهر رئيس وهو الإفادة من الفكر والفلسفة ليكونا من وسائل الفن. فكانت الحكمة تتوحد مع الشعر؛ لأنّ الفصل بينهما طارئ وليس أصلياً. ولعلّ ما دعا إليه إخوان الصفاء من توحيد القيم

[1] ينظر في ذلك: جعفر الشكرجي، **الفن والأخلاق في فلسفة الجمال**، الطبعة الأولى، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002م: 48.

الجمالية: الحق والخير والجمال، يفضي إلى غاية واحدة فضلاً على أنه يكمل رؤيتهم، فثمة امتزاج بين المجرد والحسي والواقع والخيال والفكر والشعور. والمدقق يخلص إلى أنّها تعبير عن فهم عميق للقيمة الشّعرية أولاً، وهي قيمة مستمدة من تقديرهم المتميز للهاجس الشعري، وصلتهم بالإبداع وآراؤهم في مجملها محاولة لمعرفة مكامن استثارة الشّعر في أعماق المبدع، ممّا يهيئ المتلقي لهذا الإبداع. فالشعر من أكثر الفنون التصاقاً بالتجربة الجمالية، وتجاوباً معها، والنص الأدبي لا تستنزفه الوظيفة الجمالية، وإن كانت هذه الوجهة الأحادية لها من يؤيدها، لكن النظر بعين أكثر موضوعية يقودنا للقول بتعدد وظائف النص الأدبي بِعَدِّه تجميعاً ميكانيكياً للوظائف، بحيث نعي الوظائف المتعددة للنص الأدبي، في ضوء إدراكنا لاكتماله.

المصادر

- **التوحيدي (أبو حيّان، علي بن محمد. ت414هـ)، المقابسات**، تحقيق حسن السندوبي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، القاهرة، 1929م.
- **الجرجانيّ، (علي بن عبد العزيز. 366هجري)، الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، لبنان، 1966م
- **رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء**، قدم لها الدكتور طه حسين، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2005م
- **المرزوقي، (أبو علي، أحمد بن محمد بن الحسن . ت-421هجري)، شرح ديوان الحماسة**، نشره أحمد أمين، عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1967م

المراجع

- الأب جبرائيل ربّاط، **بحث في الجمال والفن**، دراسة وتحليل سعد الدين كليب، الطبعة الأولى، دار المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،2007م
- ألفت محمد كمال عبد العزيز، **نظرية الشّعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد**، د .ط، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، 1984م.
- إمانويل كنت، **نقد ملكة الحكم**، ترجمة: غانم هنا، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000م
- أميرة حلمي مطر، **فلسفة الجمال**، الطبعة الأولى، دار الثقافة، القاهرة، 1984م .
- أميرة حلمي مطر، **مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن**، الطبعة الثالثة، دار غريب، القاهرة، 1998م
- بشير زهدي، **علم الجمال والنقد**، الطبعة الأولى، مطبوعات جامعة دمشق، دمشق، 1982م
- جعفر الشكرجي، **الفن والأخلاق في فلسفة الجمال**، الطبعة الأولى، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002م
- جيروم ستولنيتز، **النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية**، ترجمة فؤاد زكريا، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م
- حسين الصديق، **فلسفة الجمال ومسائل الفن عند أبي حيان التوحيدي**، الطبعة الأولى، دار القلم، حلب، د.ت
- حسين الصّديق، سعد الدين كليب، **مدخل إلى الفكر الجمالي عند العرب المسلمين**، الطبعة الأولى منشورات جامعة حلب، حلب، 2006م

- روز غريب، **النقد الجمالي وأثره في النقد العربي**، الطبعة الثانية، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1983م
- ريتشارد داتون، **مقدمة للنقد الأدبي**، ترجمة دعد طويل قنواتي، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،2011 م
- زكريا إبراهيم، **فلسفة الفن في الفكر المعاصر**، الطبعة الأولى، دار مصر للطباعة، مصر، د. ت
- ستيفن وانبرغ، **أحلام الفيزيائيين**، ترجمة: أدهم السمان، المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجية، الطبعة الأولى، دار طلاس، دمشق، 1997م
- سعد الدين كليب، **القيم الجمالية في الشعر العربي الحديث 1950-1975**، رسالة قُدّمت لنيل شهادة الدكتوراة في الأدب العربي الحديث، إشراف فؤاد المرعي، جامعة حلب، 1989م
- سعيد توفيق، **جدل حول علمية علم الجمال(دراسات على حدود مناهج البحث العلمي)**، الطبعة الأولى، دار الثقافة، القاهرة، 1992م
- شارل لالو، **مبادئ علم الجمال**، ترجمة خليل شطا، الطبعة الأولى، دار دمشق، دمشق، 1982م
- شوقي ضيف، **البحث الأدبي (طبيعته – مناهجه – أصوله – مصادره)**، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، 1976م
- صالح أحمد الشّامي، **ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام (الطبيعة – الإنسان– الفن)**، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988م
- عبد الرحمن بدوي، **فلسفة الجمال والفن عند هيجل**، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، 1996م
- عبد الرؤوف برجاوي، **فصول في علم الجمال**، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981م
- عبد العزيز حمودة، **علم الجمال والنقد الحديث**، د. ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت
- عبد الفتاح الديدي، **فلسفة الجمال**، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1985م
- عبد الكريم اليافي، **بدائع الحكمة (فصول في علم الجمال وفلسفة الفن)**، الطبعة الأولى، دار طلاس، دمشق، 1999م.
- عبد المجيد شكير، **الجماليات (بحث في المفهوم، ومقارنة للتمظهرات والتصورات)**، الطبعة الأولى، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 2004م
- علي أدهم، **فصول في الأدب والنقد والتاريخ**، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979م
- علي شلق، **الفن والجمال**، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1982م:65
- غازي الخالدي، **علم الجمال نظرية وتطبيق في الموسيقا والمسرح والفنون التشكيلية**، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة، د. م، 1999م

- عز الدين إسماعيل، **الأسس الجمالية في النقد العربي(عرض وتفسير ومقارنة)**، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، 1974م.
- غينادي بوسبيلوف، **الجمالي والفني**، ترجمة عدنان جاموس، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1991م.
- محمد علي أبو ريان، **فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة**، قدّم له الدكتور: محمد عبد القادر حاتم، الطبعة الأولى، الدار القومية للطباعة والنشر، 1964م.
- محمد علي أبو ريان، عبد القادر ماهر، **دراسات في الفن والجمال (مدخل فلسفي)**، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م.
- محمد شكري عيّاد، **دائرة الإبداع (مقدمة في أصول النقد)**، الطبعة الأولى، دار الياس العصرية، القاهرة، 1973م.
- محمد كامل الخطيب، **نظرية النقد(مقالات نقدية)**، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2002م.
- محمد زكي العشماوي، **فلسفة الجمال في الفكر المعاصر**، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م
- محمود خضرة، **تاريخ التفكير الجمالي**، الطبعة الأولى، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1999م.
- محمود، زكي نجيب، **فلسفة النّقد**، د. ط، دار الشروق، بيروت، 1979م.
- مجموعة، **الجمال في تفسيره الماركسي**، عدد من الفلاسفة السوفييت، ترجمة يوسف حلّاق، مراجعة أسماء صالح، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، 1968م.
- مصطفى عبده، **المدخل إلى فلسفة الجمال(محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية)**، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م.
- مصطفى عبده، **فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني**، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م
- ن. غ. تشير نيشفسكي، **علاقات الفن الجمالية بالواقع**، ترجمة يوسف حلّاق، الطبعة الثالثة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1983م.
- هيجل، **فكرة الجمال**، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، 1981م.
- نيوتن، ك. م، **نظرية الأدب في القرن العشرين**، ترجمة د. عيسى علي العاكوب، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 1996م.
- ويليام .ك ويمزات، كلينيثث بروكس، **النقد الأدبي تاريخ موجز**، ترجمة حسام الخطيب، محي الدين صبحي، الطبعة الأولى، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، 1973م.

الرسائل الجامعية

- سعد الدين كليب، **القيم الجمالية في الشعر العربي الحديث 1950-1975**، رسالة قُدّمت لنيل شهادة الدكتوراة في الأدب العربي الحديث، إشراف فؤاد المرعي، جامعة حلب، 1989م.

المجلات والدوريات

- إبراهيم زكي خورشيد، **مفهوم الجمال**، مجلة الفيصل، السنة العاشرة، العدد 118، كانون الأول، 1986م.
- أحمد محمود، **مفهوم الجمال في فلسفة أفلاطون**، المعرفة، السنة الثلاثون، العدد 337، تشرين الأول، 1991م.
- جمال مقابلة، **اللحظة الجمالية محاولة فهم نقدية**، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 1، المجلد 35، يوليو سبتمبر، 2006م.
- رائدة نهار الدّالي، **في العشق الإلهي وفلسفة الجمال عند إخوان الصفاء**، مقالة غير منشورة.
- عبد العزيز طليمات، **الوقع الجمالي وآليات إنتاج الوقع عند وولف غانغ إيزر**، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، مطبعة النجاح الجديدة، العدد 6، الدار البيضاء، شتاء 1992م.
- عدنان الرشيد، **مفهوم الجمال في الفن والأدب**، مطابع مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، العدد101، د. ط، 1422هجري.
- عماد فوزي الشعيبي، **إبستمولوجيا الجمال والتناظر كأساس في الفيزياء عموماً والفيزياء الكمومية خاصة**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29، العدد 3-4. 2013م.
- عماد فوزي الشعيبي، **في إبيستمولوجية العلوم الاختزالية: من ايبستمولوجية (الواحد) إلى نظرية كل شيء**، مجلة جامعة دمشق، المجلد22، العدد (3+4)، 2006م.
- لؤي علي خليل، **الجمال في المرحلة الذهبية للفلسفة اليونانية**، مجلة المعرفة، السنة 3، العدد 336، آذار، 1994م.
- محمد غازي التدّمري، **الجمال أبعاد ومنطلقات**، مجلة الثقافة، دمشق، أيلول، 2006م.
- ممدوح أبو الوي، **علم الجمال عند النقّاد الروس**، مجلة الآداب الأجنبية، العدد 133، 2008م.
- منير العجلاني، **مدارس الجمال عند الغربيين**، المجلة العربية، السنة 10، العدد 106، آب 1986م.

التعريف بالكتب

ثقافة التأليف ودوافعه في التراث الأدبي الأندلسي

ابن بسام الشنتريني وكتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة نموذجاً"

د. بغداد عبد الرحمن
المركز الجامعي بمغنية
تلمسان– الجزائر

1. مدخل عام إلى الدراسة

عرفت الحضارة العربية في بلاد الأندلس حركة ثقافية واسعة خلال القرنيْن الخامس والسادس الهجرييْن، الحادي عشر والثاني عشر الميلادييْن، الذي عاش أبو الحسن علي بن بسام التغلبي الشنتريني في إبانه، أزهى حقبة عكف فيها العلماء والكتاب على التفرغ للتأليف والتصنيف في علوم العربية وآدابها المختلفة.

وإذا ما نظرنا إلى حركة التأليف الأدبي على وجه الخصوص، وجدنا أن مصادر الأدب الأندلسي بأقلام المؤلفين الأندلسيين أنفسهم، عُنِيتْ من الكثرة بمكان، بوضع معاجمَ أعلامٍ من صنوف شتى، سواء كان الأمر يتعلق بالملوك أو السلاطين والوزراء أو القواد والأمراء، أو الكتّاب والشعراء والعلماء. وإذا كان لنا أن نتمثلَ بذكر أسماء بعض هؤلاء الذين أسهموا في تصنيف معاجم الأعلام لطوائف الرجال، فإنه من العدالة بمكان أن نذكر كلاً من ابن الفَرَضي (ت**403**هـ/**1012**م) وابن خَيْر الإشبيلي (ت**575**هـ/**1179**م) وابن بَشْكَوال (**578**هـ/**1182**م) وابن عُمَيْرة الضَّبِّي (ت**599**هـ/**1203**م) وغيرهم.

واتساع نطاق هذا النوع من التراجم المليئة بالنصوص الشعرية وأخبار الشعراء، إنما مَرَدُّه إلى كثرة: "الأعيان الذين أَدَّوا أدواراً هامة في تاريخ الحياة العربية والمعرفة الإسلامية، والفنون الأدبية،

لذا كان من الطبيعي أن تتجه مناهج المؤلفين إلى الكتابة عن هؤلاء جميعًا بشكل يشفي الغُلَّة ويروي الظمأ في نطاق دراسة علم بعينه أو عالم بذاته أو شاعر بتفرده، أو في نطاق كل ذلك مجتمعًا. فكان أن نشأت أنماط من الكتب التي تتولى الترجمة لأعيان العلماء وعظماء الشخصيات، وكان أهم تلك جميعًا كتب الطبقات، وكتب التراجم"[1].

ولدينا مما ألف الأندلسيون في هذيْن القرنيْن من معاجم أعلام من أنواعٍ شتى: منها على وجه التخصيص كُتب تراجم لمشاهير الأدباء والشعراء، حيث يأتي كتاب "**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشَّنْتَرِينِيِّ**" من بين أشهر الكتب التي ألفها العلماء الأندلسيون وأنفسها قيمةً فيما يتصل بتراجمَ معاصريهم أو من سبقهم قليلاً في الزمان من الأدباء. ومن هنا تبدو ضرورة التعريف الموجز بابن بسام الذي ما يزال يحيا بيننا بلا تاريخ، ولقد عاش في الأندلس أخصب أيامه، وشهد أروع التحاماته، وسجل دقائق ما رأى وما سمع، وجاء من بعده قوم نقلوا عنه، وانتفعوا بعلمه[2].

2. حياته

هو أبو الحسن علي بن بسام التغلبي الشَّنْتَرِينِيِّ[3]، أصله من قبيلة "تغلب" ذات الشأن العظيم أيام الجاهلية، التي يقول فيها ابن بسام مفتخراً[4]:

يهنـي قـدومـك كـلاً يـا أبـا الحكـم يا دوحـة العـلـم والآداب والحـكـم

---

[1] مصطفى الشكعه، **مناهج التأليف عند العلماء العرب:** قسم الأدب، بيروت، دار العلم للملايين، ط 5، 2004، ص 443.

[2] ينظر: طاهر أحمد مكي، **دراسة في مصادر الأدب**، القاهرة، دار الفكر العربي، ط 8، 1999، ص318.

[3] ينظر: ابن سعيد المغربي، **المعرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط 4، 1993، ج 1، ص 417.

[4] ينظر: ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، ليبيا/تونس، الدار العربي للكتاب، ط2، 1981، ج4، ص597.

مذ غبت ما رنقت عيني إلى سنةٍ يا عمرو إلا لكي ألقاك في الحلم
إن كنت من تغلب في بيت سؤددها وكنت من مذحج في السؤدد العمم
فلم يضرنا تنائي النسبتين وقد رحنا نسيبين في علم وفي فهم

ونسبته إلى بلدة شنترين Santarem[1] تدل على أنه ولد فيها وعاش في رحابها معظم سني حياته: "مرفه العيش في بلد كثير الخيرات، معروفاً بين أبناء وطنه بأدبه ونسبه التغلبي، يخالط الأدباء والشعراء، ويحضر مجالسهم، وفي أحد تلك المجالس التقى الشاعر الكبير عبد المجيد بن عبدون، وجرت بينهما نادرة طريفة، ظل يذكرها حتى سجلها في الذخيرة. وكان يسافر إلى القرى المجاورة وإلى زعيم محلي هو الوزير الفقيه محمد بن إبراهيم الفهري"[2].

ومع أن ابن بسام قضى شطراً كبيراً من حياته في مدينته "شنترين"، فإن المصادر– على وفرتها لم تسعفنا في تحديد سنة ولادته، ولكن الأستاذ عمر رضا كحالة يرجح ولادة ابن بسام سنة 477هـ دون ذكر مصدر روايته[3]، على حين يُخمَّن الأستاذ عمر فروخ أنه ولد في الأغلب بعيد سنة 460هـ[4] في أسرةٍ غنيةٍ وجيهةٍ، في حين يقدر الأستاذ الثقة محمد عبد الله عنان تأريخاً تقريبياً لمغادرة ابن بسام شنترين وهو سنة 480هـ، وهو أقرب لواقع الحوداث التأريخية من غيره[5]، ومهما يكن من أمر الاختلاف في مولده، فإنَّ ما من شك أنه ولد في الربع الأخير للقرن الخامس الهجري.

---

[1] تقع في البرتغال على بعد 67 كيلومتر إلى الشمال الشرقي من لشبونة، استولى عليها ألفونسو الخامس القشتالي سنة 485هـ. ينظر: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** لابن بسام، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ب.ط، 1997، مج 1، ص 19.

[2] من موسوعة **أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين**، بيروت، دار الجيل، ط 1، 2004، ج1، ص421.

[3] ينظر: عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1993 ،ج 2، ص 410.

[4] ينظر: عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي: الأدب العربي في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين**، بيروت، دار العلم للملايين، ط 2، 1985، ج 3، ص 273.

[5] ينظر: محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الثاني، دول الطوائف، منذ قيامها حتى الفتح المرابطى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط4، 1997، ص 439.

هاجر ابن بسام من مدينته **(شنترين)** نحو سنة 480هـ – حين بدأت تتعرض للغزو الإسباني المسيحي وتضطرب أسباب العيش فيها، في أواخر عهد الطوائف، وأوائل عهد المرابطين، وهو يذكر ذلك في مقدمة كتابه مسجلاً تلك الأحداث الأليمة قائلاً: "وعَلِمَ الله تعالى أن هذا الكتاب لم يصدر إلا عن صدر مكلوم الأحناء، وفكر خامد الذكاء، بين دهر متلون تلون الحرباء؛ لانتباذي كان من شنترين قاصية الغرب، مفلولَ الغرب، مروعَ السرب؛ بعد أن استنفد الطريف والتلاد، وأتى على الظاهر والباطن النفاد، بتواتر طوائف الروم، علينا في عقر ذلك الإقليم؛ وقد كنا غنينا هنالك بكرم الانتساب، عن سوء الاكتساب"[1]، فاتجه مهاجراً إلى جهة الشرق حيث ألقى عصا الترحال في إشبيلية، وبها استقر مقامه بضع سنوات. ولما بلغه خبر سقوط مدينته العزيزة في يد الروم، وهو في مغتربه، خَلَّفَ ذلك في نفسه: "موقعاً أليماً، فكان من الأسباب التي أودت بحياته، لأنه عاش في إشبيلية حياةً مضطربةً غير مستقرة، محوطاً بالحُساد مُقتِّراً عليه في الرزق بعد رفاهية عيش في موطنه ونعومة حياة في بلدته شنترين"[2]. ومما زاد ابن بسام مكابدةً في غربته، إقامتُه بمدينة **إشبيلية** التي لم تكن من ناحية العلم والجد على مستوى رفيع بل كانت مدينة لهو وعبث، على عكس قرطبة التي كانت مدينة العلم والثقافة والنور، وهذا الأمر جعله يستشهد بقولٍ شبيهٍ بقول ابن رشد، القائل: ولا أُنْسَ إلا الانفراد، ولا تَبْلُغُ إلا بفضله الزادَ، والأدبُ بها أقَلُّ من الوفاء، حاملُه أَضْيَعُ مِنْ قمر الشتاء"[3]. ثم إن ابن بسام – بعد ذلك – لم يكن ينتقل عن إشبيلية إلا لزيارة قرطبة: "ذات المنزلة الثقافية العريقة، ونراه يزورها أول مرة سنة 494هـ، ويدخل عليه حيث يقيم هلال بن الأديب ويقرع سمعه بشعر لأبي بكر بن عبد العزيز"[4].

وعليه، يمكن تقسيم حياة ابن بسام إلى مرحلتين: **المرحلة الأولى** قبل سقوط شنترين، **والمرحلة الثانية** كانت بعد سقوطها. أما **حياته في شنترين**، فكانت حياة كريمة في بيت حسبٍ

---

[1] **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** لابن بسام، ج 1، ص 19.

[2] **مناهج التأليف عند العلماء العرب** لمصطفى الشكعه، ص 634.

[3] المرجع نفسه، ص 635.

[4] **من موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين**، ج 1، ص 421.

وعزٍّ وغنىً، صَدَّه نسبه عن الكسب المتدني، وأغناه ما ورث عن التقلب في مناكب الأرض، سعياً وراء الرزق، يقول في ذلك: "وقد كنا غنينا هنالك بكرم الانتساب، عن سوء الاكتساب، واجتزأنا بمذخور العتاد، عن التقلب في البلاد"[1]. ولعل غناه هذا هو الذي فسح له مجال التعلم والتثقيف، "فحفظ القرآن الكريم ودرس الشريعة وأصولها الفقهية، كما اهتم بالأدب، فأخذ يتردد على المجالس العلمية، ثم رحل إلى لشبونة عاصمة الغرب الأندلسي سنة 477هـ طلباً للعلم"[2]. والأمر نفسه ذكره طاهر أحمد مكي بأنه: "رحل إلى لشبونة طلباً لعلم وبحثاً عن مجال أوسع للثقافة، فليس يمكن أن نتصور غير هذا القصد هدفاً"[3].

أما **حياته بعد سقوط شنترين إلى زيارته لقرطبة**، فهي مرحلة: "وجد نفسه لاجئاً في بيئةٍ تعدُّه غريباً. وكانت إشبيلية في أواخر أيام بني عباد تُعاني أيضاً التغير الذي يصاحب انتقال السيادة من يدٍ إلى أخرى، فشهد فيها ابن بسام بقية من عظمة المعتمد، كما شهد مصيره النهائي على أيدي المرابطين. وتعرَّف بكثير من أحوال إشبيلية وأدبائها، ووصل نفسه بصداقة مع منجِّم المعتمد: أبي بكر الخولاني، وكان يتردد إلى بيته، ويروي عنه أخباراً وأشعاراً (...) ثم إنه لم يكن يعجبه في إشبيلية – وهو في المنفى من وطنه – تزلُّف الشعراء للحُكَّام ومخادعتهم بقولهم"[4]. والأغلب أن ابن بسام استقر في آخر أيامه بإشبيلية وتحديداً في سنة 502هـ، حيث سكن روعه، وتحسنتْ مع الزمن أحواله، ونال من مجتمعها مقاماً عالياً، يتعيش من قلمه، يدبج التراجم، ويكيل المديح لأصدقائه من الوزراء والشعراء، الذين يتسامر معهم ويروون له أخبارهم وما يتصل بحياتهم[5]. أما عن **وفاته**، فقد أجمعت المصادر أنها كانت سنة 542هـ/1148م بإشبيلية[1].

---

[1] **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** لابن بسام، ج 1، ص 19.

[2] علي بن محمد، **ابن بسام وكتاب الذخيرة**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 37-38.

[3] **دراسة في مصادر الأدب للطاهر** أحمد مكي، ص 330.

[4] **من موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين**، ج 1، ص 421.

[5] **دراسة في مصادر الأدب للطاهر** أحمد مكي، ص 331.

أما عن **شيوخه**، فكان ابن بسام متفرغاً للعلم وأهله، تدفعه رغبة عميقة في الاستكثار منه، والاستزادة في تحصيله، فانقطاعه للدرس والتحصيل لاحدود له. لكن يحدثنا طاهر أحمد مكي أن المعاجم الأندلسية وكتب الطبقات والتراجم أغفلت الحديث عن الشيوخ الذين درس عليهم إغفالاً تاماً، ومن ثَم يصح أن نزعم أنه كان طالباً ولنفسه عالماً (عصامياً)، حيث حفظ القرآن الكريم صبياً، ثم درس إلى جانبه شيئاً من الحساب والتاريخ، وحفظ قدراً من الشعر والنثر. وفيما تناثر من أخبار وإشارات في الذخيرة، نعرف أنه كان قارئاً وحافظاً ومستشهداً بأشعار أبي العلاء المعري، والمتنبي، وبقية كبار الشعراء العباسيين كابن الرومي وأبي نُواس وأبي تمام والبحتري وديك الجن والعباس بن الأحنف وأبي دهبل الجمحي، فضلاً على الشعراء الأندلسيين من معاصريه كابن زيدون وابن عبدون وابن شهيد. أما في مقام النثر، فكثيراً ما كان يستشهد بالجاحظ محتذياً بأسلوبه في الكتابة[2].

خلَّف ابن بسام آثاراً طيبةً تنم على ثقافته المتشعبة، التي تشير إلى علمه الوفير ومعرفته الغزيرة بالتأليف والتصنيف، خلَّدت اسمه في المكتبات العربية، وشغلت مكاناً متصدراً فيها. ومن بين كتبه التي أشار إليها في كتابه "الذخيرة" في سياق حديثه عن ابن وهبون:

1. الإكليل المشتمل على ذكر عبد الجليل (جمع فيه شعر ابن وهبون على حروف المعجم)
2. سلك الجواهر من نوادر ترسيل ابن طاهر (رسائل ابن طاهر صاحب مدينة مرسية)
3. الاعتماد على ما صح من أشعار المعتمد بن عباد
4. نخبة الاختيار من أشعار ذي الوزارتيْن أبي بكر بن عمار (ديوان شعر)[3]
5. ذخيرة الذخيرة (اختصار للذخيرة)[4]

---

[1] ينظر: **نفح الطيب للمقري**، ج 2، ص 309، دراسة في مصادر الأدب للطاهر أحمد مكي، ص 329، مناهج التأليف عند العلماء العرب لمصطفى الشكعه، ص 634.

[2] ينظر: **دراسة في مصادر الأدب للطاهر** أحمد مكي، ص 331–332.

[3] ينظر: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** لابن بسام، ج 3، ص 477.

[4] ينظر: **من موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين**، ج 1، ص 422.

6. مجموع من شعر الهجاء الذي قاله ابن بسام نفسه مما لم يُذِعْه في الناس[1]

3. كتاب الذخيرة

إن الكتاب الوحيد الذي أذاع ابن بسام ووصل إلينا هو "**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**"، وقد جمع فيه أشعار الأندلسيين المعاصرين للقرن الخامس الهجري ونثْرهم في ثمانية أجزاء. ومن حيث المكان فهو يقسم كتابه قسمة جغرافية، فيخصص **قسماً** لقرطبة وما يصاحبها من متوسط الأندلس، **وقسماً** لأهل الجانب الغربي، إشبيلية وما اتصل بها حتى ساحل المحيط، و**قسماً ثالثاً** للجانب الشرقي من الأندلس. ثم يخصص **قسماً رابعاً** نصفه لأهمّ مَنْ طرأ على الأندلس من إفريقية والشام والعراق، ونصفه الثاني لأشهر المعاصرين في هذه الأقاليم[2].

والذخيرة أوفى مرجع نملكه في تراجم شعراء الأندلس وأدبائه من أواخر القرن الهجري الرابع حتى أوائل القرن السادس، لكن لا نعرف على وجه التحقيق متى بدأ ابن بسام بتأليفه ومتى انتهى منه، وقد رجح الأستاذ عنان كتابة ابن بسام لمصنفه في حدود سنة **480**هـ وهو في إشبيلية[3]، ونحن نستقرئ نصوصاً من الذخيرة، نجد ابن بسام يذكر أنه ابتدأ بتحرير الذخيرة سنة **494**هـ[4]، في حين يذكر في موطن آخر تاريخ **500**هـ[5]، أما تاريخ الانتهاء من الكتاب فيحدد بنحو سنة

---

[1] ينظر: أنجل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 1928، ص 289.

[2] ينظر: **من موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين** ، ج 1، ص 422.

[3] ينظر: **دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان**، القاهرة، ص 439.

[4] يقول ابن بسام في ج 4، ص 536: "كنت بحضرة قرطبة أول سفري إليها سنة أربع وتسعين، فدخل عندي هلال بن الأديب، وقرع سمعي من شعر أبي بكر هذا بكل حسنٍ غريب، فكتبت معه رقعةً أخطب فيها وده، وأستجلب ما عنده".

[5] يقول ابن بسام في ج 3، ص 452: "فصيرني الشيب شيخ الدعاء ومَدَّ لأبي بكر هذا العمر وعاش إلى وقت تحريري هذا المجموع سنة خمسمائة".

502هـ[1]. ومن هذه الحقائق كلها، ومن استقراءٍ لأقوال ابن بسام نفسها، يكون لنا أن نرجح تأليف الذخيرة بين سنتيْ **493هـ** و**503هـ**[2].

أ. دوافع التأليف:

إن التأليف الأندلسي في القرن الخامس الهجري أنتج حركة ثقافية وفكرية أندلسية خالصة، جعلت الأندلسيين يفتخرون بتراثهم الثقافي والحضاري، ولعل ما يبرز هذا الافتخار والوعي الجماعي بوضوح، تفوقهم في التأليف في طبقات الشعراء والعناية بأخبارهم والترجمة لهم. وأقدم ما لدينا منها كتاب "طبقات الشعراء بالأندلس" لعثمان بن ربيعة الأندلسي **(ت 310هـ)**، ثم جاء بعده ابن أبي الفتح **(ت 338هـ)** كتاباً عن "الشعراء من الفقهاء بالأندلس"، وألف محمد بن هشام بن سعيد الخير **(ت 340هـ)** كتاب "أخبار الشعراء بالأندلس"، أما عبد الله بن محمد بن مغيث **(ت 352هـ)** فقد ألف كتاباً عن "شعر الخلفاء من بني أمية". وبلغ هذا النوع من التأليف ذروته في كتاب "الحدائق" لابن فرج الجياني **(ت 359هـ)** الذي عارض فيه كتاب "الزهرة" لأبي بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني. كما أسهم الفتح بن خاقان **(ت 529هـ)**، معاصر ابن بسام، بكتابيْه "قلائد العقيان ومحاسن الأعيان" و"مطمح الأنفس ومسرح التأنس".

ولعل هذا القدر من اهتمام الأندلسيين بالتأريخ الأدبي إنما يصور لنا المستوى الذي كانت عليه النهضة الثقافية في أيامهم[3]. لكن هذا لا يعني: "أن المؤلفين الأندلسيين انفصلوا عن جذورهم بانحرافهم عن اتجاه أسلافهم في الأندلس وفي المشرق، بل لقد أخصبوا هذا التقليد الثقافي والفكري لينتجوا عطاءً جديداً وأصيلاً وأندلسياً بكل ما في الكلمة من دلالةٍ"[4]. وأعرب

---

[1] يقول ابن بسام في ج 7، ص 7: "ذكر الكتاب الوزراء، والأعيان الأدباء والشعراء، الوافدين على جزيرة الأندلس، والطارئين عليها، من أول المائة الخامسة من الهجرة إلى وقتنا هذا الذي هو سنة اثنتين وخمسمائة".

[2] ينظر: ابن بسام وكتابه الذخيرة لحازم عبد الله خضر، مجلة آداب الرافدين، العدد 5، 1974، ص 102-103.

[3] ينظر: دراسة في مصادر الأدب للطاهر أحمد مكي، ص 333-335.

[4] محمد بن عبود، **جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري**، تطوان، مطبعة النور، 1987، ص 219.

طاهر أحمد مكي أنَّ ثمة فارقاً في النهج بين تآليف المشارقة والأندلسيين في أخبار الشعراء وأحوالهم: "فقد كان الأولون أقرب إلى الإحاطة والاستيعاب في مناهجهم، فكتبوا عن شعراء عصورهم في شتى الأصقاع، ولم يَقْصروا مؤلفاتهم على إقليم بعينه (...)، أما المغاربة وبخاصة الأندلسيين، فقد قصروا مؤلفاتهم على الأندلس في الشعر والأدب"[1]. ومن هذا التصور، كان هدف ابن بسام الأساسي في وضع كتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" أن يضعَ نهايةً للموقف الذي كان سائداً قبل ذلك والقائل بتبعية الأندلس الثقافية للمشرق العربي[2]. وقد عبر صراحةً عن نيته هذه في مقدمة كتابه بقوله: "فأضربت أنا عما أُلفِّ، ولم أعرض لشيء مما صُنِّف، ولا تعدَّيت أهل عصري، ممن شاهدته بُعمري، أو لحقه بعض أهل دهري؛ إذ كل مردد ثقيل، وكل متكرر مملول (...) ولو اقتصر المتأخرون على كتب المتقدمين، لضاع علم كثير، وذهب أدب غزير، وقد أودعت هذا الديوان الذي سميته بـ "كتاب الذخيرة في محاسن أهل هذه الجزيرة" من عجائب علمهم، وغرائب نثرهم ونظمهم"[3].

وإذا كانت الأمثلة على تَرسُّم الشاعر الأندلسي لخُطا صنوه المشرقي كثيرةٌ في الذخيرة (تأثر ابن أبي دراج القسطلي وابن هانئ الأندلسي بالشاعر العباسي أبي الطيب المتنبي مثلاً)، فهذا لم يمنع ابن بسام من النسج على منوال أبي منصور الثعالبي في كتابه "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر"، ويكفي التقارب بين عنوانيْ الكتابيْن دليلاً على إعجاب ابن بسام بالثعالبي وحرصه على ترسُّم خطاه في كتابه[4]. ولم يكن دافعَ ابن بسام إلى تأليف ذخيرته متابعةُ الثعالبي، إنما كان من حوافزه أيضا تقرير مجد أهل وطنه من خلال كتابات المشارقة، فلا يكاد يقع على خبر من ذلك حتى يمسك به، ويشير إليه، ويراه مهماً من الأمر، ومن ذلك ترجمته لابن دراج القسطلي:"

---

[1] **دراسة في مصادر الأدب** للطاهر أحمد مكي، ص 335.

[2] ينظر: **جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري** لمحمد بن عبود، ص 219.

[3] **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** لابن بسام، ج 3، ص 477.

[4] ينظر: أمجد الطرابلسي، **نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا**، دمشق، مطبعة الجامعة السورية، ج 1، ط2، 1956، ص181.

وقد أجرى الثعالبي طرفاً من أمره، وأغرب بلمع من شعره، فقال في كتابه المترجم بـ "اليتيمة": "بلغني أن أبا عمر القسطلي كان عندهم بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام؛ هو أحد شعرائهم الفحول هنالك. وكان يجيد ما ينظم"[1].

كان ذلك – إذن – طبع ابن بسام، لا يترك فرصة تمضي دون أن يسجلَ فيها تفوق الأندلسيين على المشرقيين، لكن ظل سعيه في التعريف بأهل الأدب الأندلسيين هو الدافع الأساسي في تصنيف كتابه، يقول في ذلك: "وما زال في أفقنا هذا الأندلسي القصي إلى وقتنا هذا من فرسان الفنَّين، وأئمة النوعين، قوم هُمْ ما هُمْ طِيْبَ مَكاسر، وصفاء جواهر، وعذوبةَ موارد ومصادر؛ لعبوا بأطراف الكلام المشقق، لَعِب الدجى بجفون المؤرق، وحدوا بفنون السحر المنمق، حداء الأعشى ببنات المحلق؛ فصبوا على قوالب النجوم، غرائب المنثور والمنظوم؛ وباهوا غرر الضحى والأصائل، بعجائب الأشعار والرسائل"[2].

ب. منهجه في الكتاب:

رسم ابن بسام منهجاً دقيقاً لأبواب كتابه وفصوله، بدأه بمقدمة أشار فيها إلى ولوع الأندلسيين بأدب المشارقة قائلاً: "حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طَنَّ بأقصى الشام والعراق ذباب، لَجَثوا على هذا صنماً، وتلوا ذلك كتاباً محكماً؛ وأخبارهم الباهرة، وأشعارهم السائرة، مرمى القصية، ومناخ الرذية، لا يعمر بها جنان ولا خلد، ولا يصرف فيها لسان ولا يد. فغاظني منهم ذلك، وأنفت مما هنالك، وأخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري، وتتبع محاسن أهل بلدي وعصري، غيرة لهذا الأفق الغريب أن تعود بُدُوْرُه أهلة، وتصبح بحاره ثماداً مضمحلة؛ مع كثرة أدبائه، ووفور علمائه؛ وقديماً ضيعوا العلم وأهله، ويا رُبَّ محسن مات إحسانه قبله؛ وليت شعري من قصر العلم على بعض الزمان، وخص أهل المشرق بالإحسان"[3].

---

[1] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، ج 1، ص 60.

[2] المصدر نفسه، ج 1، ص 11.

[3] **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** لابن بسام، ج 1، ص 12.

فضلاً على ذلك، كثيراً ما أكد ابن بسام أنه جعل كتابه الذخيرة قاصراً على أدباء عصره، فلا يذكر منهم إلا منْ أدركه بنفسه أو أدركه بعض معاصريه، يقول: "وقد كتبتُ لأرباب هذا الشأن، من أهل الوقت والزمان، محاسن تبهر الألباب، وتسحر الشعراء والكتاب. ولم أعرض لشيء من أشعار الدولة المروانية، ولا المدائح العامرية؛ (...) ولا تعدَّيت أهل عصري، ممن شاهدته بعمري"[1].

وقد قسم ابن بسام مادة كتابه على أربعة أقسام، هي:

1. **القسم الأول**: لأهل حضرة قرطبة وما يصاقبها من بلاد متوسطة الأندلس **(34 شاعراً)**.
2. **القسم الثاني**: لأهل الجانب الغربي من الأندلس وذكر أهل حضرة إشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط **(46 أديباً وسياسياً)**.
3. **القسم الثالث**: لأهل الجانب الشرقي من الأندلس **(33 أديباً وسياسياً)**.
4. **القسم الرابع**: لمن طرأ على جزيرة الأندلس من شعراء وكتاب، ولبعض مشهوري المعاصرين ممن نجم بإفريقية والشام والعراق **(32 أديباً وسياسياً)**[2].

أما المنهج الذي التزم فيه ابن بسام في تأليف كتابه، فيبدو منهجاً سليماً ودقيقاً، سهل عليه عملية الجمع والتصنيف والترتيب، يجمل الطاهر أحمد مكي عناصرها كالآتي[3]:

1. وجدناه **يعتذر في مطلع كتابه عما عسى أن يكون قد أغفله أو سها عن ذكره نتيجة الظروف الخاصة** التي أَلَّفَ فيها كتابه، يقول في ذلك: "إني أغفلت كثيراً، وذكرت خاملاً وتركت مشهوراً. وعلى رسله، فإنما جمعته بين صعبٍ قد ذل، وغرب قد فل، ونشاط قد قل، وشباب ودع فاستقل؛ من تفاريق كالقرون الخالية، وتعاليق كالأطلال البالية، بخط جهال كخطوط الراح، أو مدارج النمل بين مهاب الرياح؛ ضَبْطهم تصحيف، ووضْعهم تبديل

---

[1] المصدر نفسه، ج 1، ص 12-13.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 22-32.

[3] ينظر: **دراسة في مصادر الأدب للطاهر** أحمد مكي، ص 239-249.

وتحريف؛ أيأس الناس منها طالبها، وأشدُّهم استرابة بها كاتبها؛ ففتحت أنا أقفالها، وفضضت قيودها وأغلالها؛ فأضحت غايات تبيين وبيان، ووضحت آيات حسنٍ وإحسان"[1].

2. **لم يرتب ابن بسام تراجمه على حسب السنين وإنما رتبها على حسب مكانة المترجم له** كما رآها. وهو يبدأ عادةً بترجمة العَلَم المراد، شاعراً أو كاتباً أو سياسياً، مرسلةً في نثرٍ بديعٍ مسجوعٍ، ثم يذكر مؤلفاته، ويُطْري مواهبه الأدبية، ويورد مقتطفات من شعره ونثره. وفي الترتيب بين أصحاب الفنون يبدأ بذكر الأمراء، ويتلوهم بالكُتاب، فالوزراء، فأعيان الشعر، ثم بطائفة من المُقِلِّين من الشعراء.

3. **قَصَرَ مؤلفه على أهل زمانه**، من منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) إلى منتصف القرن السادس الهجري(الثاني عشر)، فلم يعرض لشيءٍ من أشعار الدولة الأموية إمارةً كانت أم خلافةً، ولا أيام الدولة العباسية، وإنما ذكر أهل عصره ممن شادهم، أو لحقه بعض أهل دهره، لأن بحسبه: "كل مردد ثقيل، وكل متكرر مملول، وقد مجَّت الأسماع: "يا إلادرا مّيَّة بالعلياء فالسند"، ومَلَّت الطباع: "لخولة أطلال ببرقة ثهمد"؛ ومحت: "قفا نبك" في يد المتعلمين"[2].

4. **وهو يخرج على قاعدة الفَضْلُ للمتقدم**، التي كانت سائدة في عصره وما قبله، حيث يرى: "على زمن بمقصور؛ وعزيز على الفضل أن ينكر، تقدم به الزمان أو تأخر، ولحى الله قولهم: الفضل للمتقدم، فكم دفن من إحسان، وأخمل من فلان. ولو اقتصر المتأخرون على كتب المتقدمين، لضاع علم كثير، وذهب أدب غزير"[3].

5. بيَّن **مذهبه في طريقة إيراد النصوص وعرضها، وأنه أراد بكتابه أن يظفرَ بكل لفظ مستحسن سبق ذكره**، وأشار إلى نقصه أو زاد عليه : "وهذا المجموع إنما هو لسان منظومٍ ومنثور، لا ميدان وتفسير، أورد الأخبار والأشعار لا أفك معماها، في شيء من لفظها ولا معناها، ولو

---

[1] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ، ج 1، ص 15-16.

[2] المصدر نفسه، ج 1، ص 13.

[3] **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** لابن بسام، ج 1، ص 13-14.

ذهبت فيه إلى إيضاح مبهم، وإعراب مستعجم، لكانت هذه الفصول أولى ما فتحت مقفله، وأكد ما أوضحت مشكله، على أني قد ألمعت فيه ببعض تنبيه، بين ذكرٍ أُجريه، ووجه عذر أُريه"[1].

6. **يمهد لما ذَكَر من أشعار ورسائلَ بما تعلق بها من أنباء الفتن**، وهو بذلك يحقق أدقّ قواعد النقد الأدبي الحديث التي تقرر بأن تفسير الأدب وتقويمه يكون أكثر وضوحاً، إذا عُرِفَتْ الظروف التي قيل فيها، والحوافز التي دفعته إليه، والملابسات التي صحبتْه: ليجمع هذا المجموع بين الشعر والخبر، جمع الروضة بين الماء والزهر، والزمان بين الأصائل والبكر، فإني رأيت أكثر ما ذكر الثعالبي من ذلك في "يتيمته" محذوفاً من أخبار قائليه، مبتوراً من الأسباب التي وصلت به وقيلت فيه؛ فأملَّ قارئَ كتابه منحاه، وأحوجه إلى طلب ما أغفله من ذلك سواه"[2].

وعليه، فقد سعى ابن بسام في أن يكون منهج ذخيرته واضحاً لا غموض فيه ولا إبهام، ليسهل تناول الِكتاب ويُقرب مأخذه، لأن هدفه عامة الناس وليس خاصتهم. وليس من المستبعد بعد هذا أن تتبوَّأَ الذخيرة مكانةً رفيعةً في أوساط الأدب والتاريخ عبر العصور الطويلة.

د. خصائص الذخيرة ومزاياها:

تبقى "الذخيرة" مصدراً نفيساً من مصادر الثقافة العربية والإسلامية منذ نشأتها، وتطلب لتحقيق ذلك من ابن بسام **جهداً وصبراً عظيميْن** على مدى سنوات، لذا كان يخشى: "أن يسيء الناس في إشبيلية وغيرها فهم ما يريد تحقيقه، كان يخشى أن يُتَّهَمَ بأنه إنما يريد أن ينتحلَ ما يصله من عيون الشعر والنثر. هذا إضافةً إلى ما لقيه من مشقة للحصول على ما يُعينه مِنْ وثائقَ ومَراجعَ، وما واجهه من قراءةِ خطوطٍ صعبةٍ، ومخطوطات حائلةٍ، بل ولما كَمُلَ كتابه

[1] المصدر نفسه، ج 8، ص 496.

[2] المصدر نفسه، ج 1، ص 35.

أهداه إلى شخصٍ لم يذكر اسمه"[1].

ومن خصائص الكتاب أيضاً، موضوعاته، فلعل أمر الوقوف عليها قد بدا واضحاً من مصادر الذخيرة نفسها، فالكتاب يحمل **مَسحةً تأريخيةً أدبيةً** على جانبٍ كبيرٍ من الفائدة، ولا تتأتى هذه الفائدة من ناحية كون التاريخ والأدب كلاهما مكمل للآخر، ولكن تبقى: "صفة الأدب أوضح فيها وأظهر، ذلك أنَّ تراجم ابن بسام التي أرْبتْ على مئة وخمسين ترجمةً أغلبها تراجم لكُتَّابٍ وشعراءَ ولكن ابن بسام لا يغفل خلال الترجمة ذكر الأمراء الذين عاصروا الأدباء أو كانت لهم صلة بهم، وربما عَرَّجَ على بعض الحوادث التأريخية المستقاة ممن سبقه من المُؤَلِّفين"[2].

ثم إننا لا نبالغ في الحكم إذا قلنا بأنَّ الذخيرة لابن بسام الشنتريني تحتل مكان الصدارة مع مصنفات أخرى في **طابعها الشمولي أو** "**العالمي**" من جهة المساهمة في التعريف بمفكريها وشعرائها وأمرائها، "فلا يمكن أن نذكر أعمالاً مثل "الفصل في الملل والنحل لابن حزم، و"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ضمن هذا الصنف"[3]. لذا وجدنا كثيراً من الدراسات تشيد بمكانة ابن بسام وذخيرته، وذلك ما نقله ابن سعيد في قوله: "من المسهب العجب أَنه لم يكن فِي حِسَاب الآداب الأندلسية أَنه سيبعث من شنترين قاصية الغرب وَمحل الطعْن وَالضَّرْب من ينظمها قلائد فِي جيد الدَّهْر ويطلعها ضرائر للأنجم الزهر، وَلم ينشأ بِحَضْرَة قرطبة وَلا بِحَضْرَة إشبيلية وَلا غَيرهمَا من الحواضر الْعِظَام من يمتعض امتعاضه لأعلام عصره ويجهد فِي جمع حَسَنَات نظمه ونثره وسل الذَّخِيرَة فَإِنَّهَا تعنون عَن محاسنه الغزيرة"[4].

أما صاحب نفح الطيب، فينقل لنا عن ابن بسام أنَّ: "شهرته تغني عن ذكره، ونظمه دون

---

[1] **من موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين**، ج 1، ص 422.

[2] ابن بسام وكتابه الذخيرة لحازم عبد الله خضر، ص 113.

[3] **جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري** لمحمد بن عبود، ص 227.

[4] ابن سعيد الأندلسي، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط 3، 1955، ج 1، ص 418.

نثره"[1]. ويشيد الأستاذ مصطفى الشكعه بالأثر الطيب لابن بسام وذخيرته على مَنْ جاء مِنْ بعده من المؤلفين المتأخرين على غرار أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت **685هـ**) بقوله: "إنَّ الذخيرة هي الأخرى مصدر غني ومورد عذب نَهَلَ منه بغزارةٍ كل مَنْ كَتَبَ بعد ابن بسام في تاريخ الأندلس وآدابها، ويكفي أن كتاب "المُغْرِب في حُلَى المغرب" أخذ عنه نيفاً وتسعين خبراً ونصاً"[2].

ومع هذا، يبقى التأليف الأدبي الغزير الذي عرفه القرن الهجري الخامس، ومنه ذخيرة ابن بسام على سبيل التمثيل، يتصف **بِبُعْدٍ كمِّيٍّ** تَجلّى في الإنتاج الفكري الضخم الذي تميزت به هذه الحقبة، و**بِبُعْدٍ كَيْفِيٍّ** تَجلّى هو الآخر في الشخصيات الفكرية البارزة المعاصرة لها.

4. الخاتمة

تبين لنا من خلال هذا البحث جملةٌ من الاستنتاجات منها:

1. يُبرز كتاب الذخيرة صورة دقيقةً وواضحةً لأوجه النشاط الفكري والأدبي والسياسي خلال القرن الخامس الهجري، سواء تعلق الأمر بالترجمة لأدباء هذا القرن ترجمةً تفي بغرض الدارس، أو بالتخصص – والتخصص سبيل الإجادة – في ذكر فضل الأندلسيين أنفسهم شعراً ونثراً.
2. تتميز الذخيرة بترتيب موادها ترتيباً موضوعياً، حيث اعتمد صاحبه على التقسيم الزماني والمكاني على حد سواء، مبتعداً عن كل حشوٍ ولغوٍ.
3. اعتمد عليه كثير من المؤلفين ممن جاؤوا بعده، لحسن ترتيبه وصدقه وسهولة الأخذ منه.
4. تكمن أهمية المصنف في كونه مرجعاً بيبليوغرافياً هاماً، يستفيد منه الكُتاب في الوقوف على موضوعاته وعلى أخبار الشعراء وعلاقتهم برجال السياسة.

---

[1] شهاب الدين المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط 1، 1997، ج 3، ص 458.

[2] شهاب الدين المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط 1، 1997، ج 3، ص 458.

5. برغم تحمس ابن بسام الشديد لأهل جزيرته فإنه يفاجئنا في القسم الأخير من كتابه بأدب الوافدين على الأندلس من المشرق، وهم كثيرون، وكلهم في الرتبة الرفيعة أدبًا وعلمًا، ولربما اعتبرهم أندلسيين ما داموا قد حلوا بالأندلس، وأقاموا فيها إقامة موقوتة أو دائمة.
6. يَعتبر ابن بسام هو نفسه تلميذاً للمشارقة، فمنهج كتابه صورةٌ دقيقةٌ للثعالبي في كتاب "يتيمة الدهر".

من أنشطة المركز
خلال النصف الثاني من عام 2018

مـن أنـشطـة المـركــز

خـلال النصف الثاني من عام 2018

تابع المركز في النصف الثاني من عام 2018، تنفيذ أنشطته المقررة للدورة المالية 2018-2017 على النحو التالي:

– تم إصدار الكتب التالية:

- مدخل إلى تصميم الدارات والنظم الرقمية باستخدام لغة VHDL.
- أطلس تقويم الأسنان (الحالات المعقدة).
- دراسة في تقييم الترجمة الآلية (تقييم المترجم الآلي "غوغل" نموذجاً).
- علم المعادن وسبائكها.
- ترجمة ومراجعة علمية وتدقيق لغوي لكتاب "المبادئ التوجيهية لتحسين استخدام تكنولوجيا الحوسبة السحابية في التعليم في الدول العربية" لصالح **إدارة تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.**
- ترجمة ومراجعة علمية وتدقيق لغوي لكتاب "خطة تنفيذ الاستراتيجية الوطنية لاستخدام الحوسبة السحابية في التعليم في الدول العربية" لصالح **المكتب الإقليمي للاتحاد الدولي للاتصالات – القاهرة.**

– كتب قيد الإصدار:

- الفرش التقني والغازات الطبية في المستشفيات
- ميكروبيولوجيا الأغذية

- زوّد المركز بعض الجامعات بإصداراته في إطار نشاط دعم الجامعات والمؤسسات العلمية.

- **شارك المركز بالمعارض العربية والدولية التالية:**

- معرض الشارقة الدولي للكتاب من 29 اكتوبر وحتى 10 نوفمبر 2018.
- معرض الدوحة الدولي للكتاب من 29 نوفمبر وحتى 12 ديسمبر 2018.

للإطلاع على إصدارات المركز كاملة

يرجى زيارة موقعنا على الروابط التالية

الموقع على الشابكة (الإنترنت) : www.acatap.org

الصفحة على موقع التواصل الإجتماعي (فيسبوك):

https://www.facebook.com/Acatap.Damascus

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة: E-mail: acatap2@gmail.com